الفداء بالمسيح

دراسة في تعاليم
الكتاب المقدس عن الفداء

الفداء يتحق
بالمسيح

دراسة حول تعاليم الكتاب المقدس عن الفداء

contactus@thewordoftruth.info

المحتويات

المقدمة ٥
الفصل الأول: الفداء يتحقق بالمسيح ٩
الفصل الثاني: الاستعداد لقدوم الفادي ١٩
الفصل الثالث: ظهور الفادي ٤٧
الفصل الرابع: تفسير الفداء ١٠٥
الفصل الخامس: تخصيص الفداء ١٣٧
الفصل السادس: توضيح الفداء ١٧٧
الفصل السابع: تتميم الفداء ٢٢٩
مراجع الكتاب ٢٥٣

المقدمة

الفداء يتحقق بالمسيح

كثيراً ما يعبر المسيحيون عن فكرة أننا سوف نقضي الأبدية متعجبين من خلاصنا الذي تم بواسطة الرب يسوع المسيح. ومع أن هذا سوف يكون في المستقبل، فإن هذا الكتاب يضع ترتيباً متميزاً للنصوص الكتابية المقدسة التي تعرض أمام القارئ خطة الله الرائعة للفداء الذي صار متاحاً لنا الآن. ويبرز هذا الكتاب بوضوح خطة الله لخلاص الناس من خطاياهم في الحياة الحاضرة وكذا تكميل الفداء في المستقبل. كما يعكس البحث الشامل للمؤلف في الكتاب المقدس عن الحق الذي يدعم هذه الفكرة الجوهرية. وسوف تتضح الشواهد الكتابية الغزيرة بشكل مفيد بواسطة التعليقات والتفسيرات الموضوعية. كما أن التفسيرات الموجزة المتكررة للتاريخ الكتابي يتم تقديمها بأسلوب يجعل لها معنى لنا. وفوق كل شيء، يركز الكتاب على الحاجة للفداء، وعلى مجيء الفادي، وثمن الفداء، وأخيراً، تتميم الفداء عندما يبقى المفديون مع المسيح للأبد.

يجب على كل مسيحي أن يكون لديه وعي بالماضي وتوقع مليء بالرجاء تجاه المستقبل. إن "*الفداء الذي يتحقق بالمسيح*" دراسة متميزة للكتاب المقدس سوف تساعد القارئ على التمسك بهذا الوعي بالتاريخ وتكون له نظرة إيجابية عن المستقبل.

وحيث إن المفديين يتوقعون الابتهاج بفداء المسيح طوال الأبدية، فمن الملائم أن يُمنَح الموضوع اهتماماً خاصاً في هذه الحياة الحاضرة أيضاً. فهذا سوف يعزز التوقعات المجيدة عندما يتجمع المفديون ليكرموا الفادي — ملك الملوك ورب الأرباب.

إن دخول الخطية إلى العالم سلب من الإنسان شركته الطاهرة مع الله. وهذا الكتاب يسلط الضوء على خطة الله لفداء الضالين وإرجاعهم إليه من جديد. ورغم أن الملائكة لا يمكنها أن تشارك في الفداء؛ إلا أنها مهتمة بهذا الموضوع. فإننا نحن البشر

لدينا امتياز أننا نستطيع أن نتمتع بالفداء ونُستَرَد إلى الشركة الحميمة مع الله. إنني أتحداك أن تقرأ هذا العمل المتميز بتمعن وتنهل مجاناً من هذا الموضوع المُقَدَم لك أنت، ليس للملائكة.

إنني أنصحك بهذه الدراسة!

سيمون شروك

تمهيد

يشهد عصرنا الحاضر تقدماً تكنولوجياً هائلاً تحقق بفضل المعرفة المتنامية بقوانين الطبيعة التي أوجدها الله لكي تحكم الكون المادي، لكن من المؤسف أن الكثير من الناس لا يفهمون علاقتهم الروحية مع الله، وهم يجهلون تماماً حقيقة الفداء الذي تحقق لهم بالمسيح وكيف يقبلونه؛ ولذا فمن المهم أن نتعلم من المسيح ما أعلنه لنا عن التوبة والإيمان والميلاد الجديد والتلمذة والروح القدس. عندها فقط سوف نفهم كيف ننال الخلاص.

إن الهدف من هذا الكتاب هو إبراز ما يعلنه الله عن الفداء الذي يتحقق من خلال المسيح. ومن أجل ذلك، كانت خطوة البداية في الكتاب هي قصة الخليقة وسقوط الإنسان ثم تقدمنا نحو دعوة إبراهيم وبني إسرائيل؛ ومنها إلى حياة وموت وقيامة المسيح يسوع؛ ثم إلى تفسير وشرح العهد الجديد للفداء؛ وأخيراً تنقلنا إلى النبوات التي سوف تتحقق في الأيام الأخيرة. كما تتركز هذه الدراسة على تعليم المسيح بأن الإنسان يجب أن يتبع المسيح ويكون تلميذاً أميناً له. فالتلمذة هي جزء ضروري من الإيمان المسيحي (يو ١٥: ٦).

حتى ندع الكتاب المقدس يخبرنا بقصته، فإن هذا الكتاب يتضمن اقتباسات وإشارات كتابية واسعة. وهكذا فإن ما ذكره ج. س. ونجر J. C. Wenger في التمهيد الخاص بالكتاب الأول في هذه السلسلة ينطبق بالمثل أيضاً على هذا الكتاب، حيث يقول:

هناك جانب مميز لهذا الكتاب يروقني كثيراً، وهو الاقتباس بحرية من الكتاب المقدس مما يؤكد ليس فقط على التقدير الكبير لدى المؤلف تجاه الكتاب المقدس، بل أكثر من ذلك أنه، أن هذا يعطي الفرصة لله لكي يستخدم كلمته القديرة لتمكين المسيحيين من

النمو في فهمهم لكفاية نعمة الله وفي إدراكهم لقدرته على تغيير حياتهم إلى الصورة الروحية لابنه، الرب يسوع.

إن التوسع في استخدام النصوص الكتابية المقدسة في هذا الكتاب لا يقصد بها أن تكون بديلاً للدراسة الكتابية الشخصية. حيث أن الكتاب المقدس هو مصدر رسالة الفداء، بل أننا نأمل أن يزيد هذا الكتاب من الاهتمام بدرس الكتاب المقدس ويصبح مرشداً لدراسة موضوع الفداء.

هذا الكتاب يعد مراجعة كبرى لكتاب المؤلف بعنوان: The Unfolding Plan of Redemption. أود أن أشكر ريتشارد بولسين Richard Polcyn لغناه في تقديم المفاهيم اللاهوتية والتحرير، وكذلك للويد هارتزلر Lloyd Hartzler ودلبرت ستروبر Delbert Strubhar وكلاي زيمرمان Clay Zimmerman لمراجعتهم اللغوية واقتراحاتهم. كذا فإنني أشكر الإخوة الآخرين الذين راجعوا هذا الكتاب وقدموا اقتراحات لتحسينه.

أصلي أن يساعد هذا الكتاب في ملء الفراغ في فهم الإنسان لرسالة الكتاب المقدس عن الفداء بواسطة المسيح يسوع، وزيادة من الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس.

المجد لله وحده (Soli Deo Gloria!)

للاند م. هايتز Leland M. Haines

الفصل الأول

الحاجة إلى الفداء

خلق الله الإنسان على صورته

"فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم" (تك١: ٢٧). جاء هذا الوصف لقصة خلق الإنسان عميقاً ومحيراً في ذات الوقت. فهو جزئياُ يجيب عن التساؤل لماذا يعد الإنسان كائناً متميزاً وفريداً عن سائر الخليقة. كما أنه يطرح في ذات الوقت أسئلة تتعلق بالطرق التي يتشابه فيها الإنسان مع الله. فقد كان الإنسان، عندما خلقه الله في الأصل، في أقرب صورة بشرية لله. غير أنه في الوقت نفسه كان الإنسان مختلفاً بشكلٍ كافٍ مما يجعله معتمداً على خالقه فيما يحصل عليه من معرفة وإرشاد.

عندما خلق الله الإنسان على صورته، أعطاه طبيعة ومكانة متميزتين في الخليقة (تك ٥: ٣؛ ٩: ٦؛ ١كو ١٥: ٣٩؛ يع ٣: ٩). فالإنسان هو "صورة الله ومجده" (١كو١١: ٧)، "تنقصه قليلا عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاءٍ تكلله" (مز٨: ٥؛ قارن عب ٢: ٩). وباعتبار أن الإنسان كائن متميز بين المخلوقات، فقد امتلك السلطة والسيادة على كل الأرض (تك ١: ٢٦، ٢٨).

بعد أن خلق الله الإنسان من عناصر الأرض، "نفخ في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية" (تك ٢: ٧). نتج عن ذلك العمل الإلهي أن صار للإنسان طبيعتان إحداهما مادية والأخرى روحية. تعكس الطبيعة الروحية للإنسان كونه مخلوقاً على صورة الله. وقد منح الله الإنسان عقلاً، مما يعني أنه يستطيع التفكير والتعقل. ولما كان الإنسان عاقلاً، فقد تميز عن سائر الخليقة، وتميز تميزاً واضحاً عن الحيوانات. وتعني صورة الله في

الإنسان أن الإنسان "مخلوق في البر والقداسة" (أف ٤: ٢٤؛ قارن كو ٣: ١٠). ومن ثم فقد حظي الإنسان بطبيعة تميل إلى فعل الصواب، وفي كماله الأدبي تمتع بتواصل وشركة حرة ومنفتحة مع خالقه، إذ كان الإنسان يسير ويتحدث مع الله.

آدم والخطية:

لم يُخلق الإنسان ليكون دُمية، ولكنَّه أُعطي القدرة على الاختيار بين اتباع وصية خالقه أو عدم اتباعها. ولتكون حريته في الاختيار حقيقة ملموسة، احتاج الإنسان أن يختبرها. ولقد أعطاه الله الفرصة ليقوم بذلك. "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجـــرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢: ١٥-١٧). في بداية وجود الإنسان، أعلن الله لآدم مشيئته من خلال وصية بسيطة. والآن أصبح الإنسان قادراً على اختبار حريته في الاختيار. ولقد كان الاختبار بسيطاً. ولم يُرغم آدم على التصرف بأي طريقة. غير أن اختيار طاعة الله يعني اجتياز هذا الاختبار، واختيار عدم الطاعة يعني الفشل فيه.

لقد خلق الله آدم وحواء في بيئة مثالية. فلم يعرفا أي شيء عن الشر المحيط بنا الآن. وقد أتى فهمهما الوحيد عن الشر والمـــوت من خـــلال إيمانهم البسيط بكلمة الله. فالملاك الذي ســـقط بسبب كبريائه، والذي دعي الشيطـــان (إش ١٤: ١٢-١٥؛ حز ٢٨: ١٥-١٧؛ ١تي ٣: ٦) جـــاء إلى حـــواء في صورة حـــية (٢كو ١١: ٣؛ رؤ ١٢: ٩؛ ٢٠: ٢). تحدت تلك الحية حواء لتعيد التفكير مرة أخرى في قبولها لوصية الله لآدم. وكذب الشيطان بشأن كلمة الله وقال: "... لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٤، ٥). أصغت حواء لإبليس وحملقت في الشجرة. "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها

بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل" (تك ٣: ٦).

وعندما عصى آدم وحواء الله، عرفا الشر. وبعد أن عصيا وصيته، اختبرا الإثم والخوف ومن ثم حاولا أن يختبئا من الله. ولكن الله علم مكانهما وما قد فعلاه. فسأل "... هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" (تك ٣: ١١). وقد حاول آدم في خوفه ويأسه أن يتجنب الاعتراف بخطيته بإلقاء اللوم على حواء فقال: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" (الآية ١٢)، وكذلك حاولت حواء أيضا أن تقدم عذراً عن نفسها فقالت: "الحية أغرتني فأكلت" (الآية ١٣).

في وقت السقوط، بدأ الله يكشف عن حاجة الإنسان للفداء. وقد تضمنت الخطوة الأولى إدانة الحية، أو إدانة الشيطان على أفعاله: "فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تك ٣: ١٤، ١٥). والجزء الأخير من العدد الخامس عشر هو نبوءة عن فداء الإنسان من عواقب خطيته.

وقد تأثر آدم وحواء بقضاء الله ضد الخطية. وبالرغم من مجهوداتهما لإلقاء اللوم بعيداً عنهما، إلا أنهما كانا مذنبين. فهما لم يصدقا الله و لم يطيعا أمره، وبالتالي صارا مسئولين عن أفعالهما مسئولية شخصية. فبالنسبة لحواء، وكل النساء من بعدها، كان كلام الله كالآتي: "تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يســـود عليك" (تك ٣: ١٦). أما بالنسبة لآدم، وكل الرجال من بعده، فقد صرَّح الله قائلاً: "بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخـــذت منها. لأنك تراب، وإلى تراب تعود" (الآية ١٩). لقد ضاعت الجنة، واختبر

الإنسان الخير والشر. "وأخرجه الرب الإله من جـــنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها" (الآية ٢٣).

ولأن الله قدوس وبار، فإنه لا يتسامح مع الخطية بأي شكل من الأشكال. والخطية هي فعل أو اتجاه إلى "عدم إصابة الهدف"، وهي تعني عدم القدرة على تطبيق معايير الله.

وقد كان أول ذكر *للخطية* بمناسبة تقدمة ثمار قايين، التي رفضها الله. "إن أحسنت أفلا رفع؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها" (تك٤: ٧). كان الفشل في إرضاء الله خطية؛ وعندما تتاح الفرصة للخطية، فإنها تتسلط على الإنســـان. ومن ثم تنشيء الخطـــية حاجزاً بين الله والإنسان. "بل آثامكم صـــارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم" (إش ٥٩: ٢). هذا الحاجز لم يترك الإنســـان بلا حســـاب عن خطيته. فالله عادل ويجب أن يعاقب عدم الطاعة. "وأما الظـــالم فسينال ما ظلم به" (كو ٣: ٢٥؛ قارن مت ١٦: ٢٧؛ ٢٥: ٤٦؛ يو ٥: ٢٩؛ رو ٢: ٦؛ ٢كو ٥: ١٠؛ ١بط ١: ١٧). وهكذا طُرد الإنسان من جنة عدن إلى العالم الذي ساد عليه الشر بصورة متزايدة. وأصبح الإنسان الآن غريباً عن خالقه (تك ٣: ٢٣، ٢٤).

جميع البشر أخطأوا

أصبح جميع البشر تحت الدينونة بسبب عدم طاعة آدم، وبسبب خطيته وِلد كل البشر بطبيعة خاطئة. وللوقت ظهرت خطية آدم بوضوح في ابنه قايين ثم امتدت إلى كل نسله المولودين منه. "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ... وفسدت الأرض أمام الله، وامتلأت الأرض

ظلماً. ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض" (تك ٦: ٥ ،١١، ١٢ قارن تك ٦: ١٣).

ويعلن العهد الجديد أنه من خلال أعمال حواء وآدم "... دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ اخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢). وكذلك "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاةً، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً" (الآية ١٩)؛ "فإنه إذ الموت بإنسان، ... في آدم يموت الجميع" (١كو ١٥: ٢١، ٢٢). وبسبب خطية آدم، أصبح البشر جميعاً "بالطبيعة أبناء الغضب" (أف ٢: ٣)، و"أجنبيين وأعداء في الفكر [الخاص بهم]، في الأعمال الشريرة" (كو ١: ٢١). ومن ثم فقد وُلِدَ كل إنسان بالطبيعة الخاطئة، التي لا تجعله يخطئ فقط بل أيضاً تجعله يرغب في عمل الخطية. وهكذا فإن البشر ليسوا مذنبين بسبب خطية آدم فقط، ولكنهم مذنبون أيضاً بسبب أعمالهم الشريرة.

عندما ارتكب آدم الخطية ألقى باللوم على حواء. وقد كان الاستسلام لتأثير إبليس من خلال حواء جزءاً من خطية آدم. ومن وقتها صار البشر يوصفون بأنهم "أبناء الشرير" (مت ١٣: ٣٨)، وأنهم "من أبٍ، هو إبليس" (يو ٨: ٤٤). والإنسان الطبيعي يتبع الشيطان الذي يسيطر عليه (يو ١٢: ٣١؛ أع ٢٦: ١٨؛ أف ٢: ٢). ويُوصف حكم إبليس بأنه "سلطان الظلمة" (كو ١: ١٣). وأنه " قد أعمى أذهان غير المؤمنين" (٢كو ٤: ٤). وإلى هذا اليوم فإن كل "من يفعل الخطية فهو من إبليس" (١يو ٣: ٨).

و لم يتوقف تأثير الشيطان عند آدم وحواء فقط، بل استمر ليؤثر على كل ابن وابنة من أبناء آدم بعد ذلك. "لأنه ليس إنسان لا يخطئ" (١مل ٨: ٤٦؛ قارن رو ٣: ٩). "لا إنسان صدِّيق في الأرض يعمل صلاحاً و لا يخطئ" (جا ٧: ٢٠). "كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحدٍ إلى طريقه" (إش ٥٣: ٦).

جميع الناس "أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو ٣: ٢٣). ويعد الوصف الكتابي للإنسان الساقط وصفاً مرعباً:

"كما هو مكتوب أنه ليس بارٌ ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملؤ لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق. وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عيونهم". (رو ٣: ١٠-١٨)

وكذلك تصور رسالة رومية ١: ١٨-٣٢ صورة مشابهة موحشة للانحطاط الأخلاقي للإنسان. كما يُعدد بولس الرسول في (غل ٥: ١٩-٢١) قائمة بـــ "أعمال الجسد". والذين يفعلون مثل تلك الأمور ليسوا جزءاً من ملكوت الله.

عواقب الخطية

حيث أن الإنسان الطبيعي "أخطأ وأعوزه مجد الله" (رو ٣: ٢٣)، فيجب عليه أن يتحمل عواقب خطيته. إذ أشعلت خطية الإنسان غضب الله (رو ١: ١٨). وصار الإنسان الطبيعي مُداناً وينبغي أن يُعاقب بحسب أعماله (مت ١٦: ٢٧؛ يو ٥: ٢٩؛ رو ٢: ٨ ،٩؛ كو ٣: ٢٥؛ رؤ ٢٠: ١٢-١٥). كما سيعطي الله: "نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاكٍ أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته" (٢تس ١: ٨ ،٩).

إن النتيجة النهائية والحتمية للخطية هي الموت. فقد قال الله لآدم: "... يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢: ١٧). كما أعلن الله لآدم بعد عصيانه: "... لأنك تراب وإلى ترابٍ تعود" (تك ٣: ١٩). وقد أدت اللعنة الواقعة على آدم وحواء إلى الموت الجسدي. و لم يكن الموت قاصراً على آدم وحواء فقط. فقد كتب بولس الرسول أنه:

"كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢؛ قارن رو ٥: ١٩). فالمبدأ العام هو أن "أجرة الخطية هي موت" (رو ٦: ٢٣). وهذا الموت لا يعني الموت الجسدي أو المادي فقط، بل يعني أيضاً الموت الروحي الذي يؤدي إلى انفصال أبدي عن الله. ولكن على الإنسان ألا ييأس، فكما سيرى القارئ في هذا الكتاب، فإن الله قد خطط وعَمِلَ لتكون للإنسان حياة أبدية من خلال ابنه.

الخطية معلنة بواسطة الناموس

يصور الكتاب المقدس الخطية بأنها عدم طاعة الإنسان لشخص الله الحي. فقد فشل الإنسان في أن يحيا وفقاً لوصايا ومعايير الله. هناك العديد من المبادئ الكتابية المحددة التي تقوم بتوجيه الإنسان خلال الحياة. وينبغي أن ننظر إلى تلك المبادئ ونراها تعبيراً عن إرادة الله أكثر من مجرد شرائع موضوعية جامدة.

وإذا كانت الخطية هي عدم طاعة إرادة الله، فإن الإنسان، بالتالي، حتى يكون مسؤولاً أو قابلاً للمحاسبة عن خطيته، لابد أن يكون قادراً على فهم إرادة الله. والله لا يحجب إرادته بل يعلنها من خلال: كلمته، والطبيعة، ومن خلال ضمير الإنسان أيضاً.

الكتاب المقدس هو الإعلان الأكثر تحديداً ودقةً لإرادة الله للإنسان. وقد أعلن بولس الرسول هذا عدة مرات: "لأن بالناموس معرفة الخطية" (رو ٣: ٢٠). وفي رومية ٧ يصف بولس الرسول بالتفصيل عمل الناموس في حياته: "فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا. بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته" (الآية ٧). إذاً فالناموس، الذي هو تعبير عن إرادة الله، يعلن الخطية، التي هي "التعدي" (١يو ٣: ٤).

ولأن الكتاب المقدس هو الإعلان الأكثر وضوحاً لله، فإن الذين ليس لديهم معرفة به لديهم على الأقل معرفة جزئية بإرادة الله. "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذرٍ" (رو ١: ٢٠). فيمكن لجميع البشر أن يعرفوا الله – حتى ولو بشكل غير كامل – من خلال العالم الطبيعي. ولكنهم، وبصفة عامة، يتجاهلون هذا الإعلان ويختارون أن يعبدوا المخلوقات بدلاً من الخالق. كما كشف الله عن إرادته من خلال ضمير الإنسان.

"لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم. الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجةً". (رو ٢: ١٤، ١٥)

ويعلمنا الكتاب المقدس أن هناك درجات من العقاب تتوقف على مدي معرفة الشخص بإرادة الله. فعلى سبيل المثال، أوضح الرب يسوع أن هناك اختلافاً بين كورزين وبيت صيدا وبين صور وصيدا: "... إن صور وصيدا تكون لهما حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما" (مت ١١: ٢١، ٢٢). وقد وجَّه الرب يسوع هذه الكلمات إلى اليهود، الذين كانوا يعرفون الكثير عن خطة الله للفداء على عكس الأمم. كما قام الرب يسوع بعمل "قوات" في كورزين وبيت صيدا، إلا أنهما لم تتوبا. ولذلك سيكون عقابهما أشد وطأة من عقاب صور وصيدا، اللتين كانتا مركزين للخطية. فقد عارض أهل صور وصيدا أناس الله، وارتفعت قلوبهم مجدفين لدرجة قالوا فيها: "أنا إله" (حز ٢٨: ٢؛ انظر أيضاً الأصحاحات ٢٦–٢٨). وعلى الرغم من ذلك فقد كانت معرفتهم بإرادة الله أقل من معرفة أهل كورزين وبيت صيدا، وسيتم أخذ هذا في الحسبان عند الدينونة. وقد أعلن الرب يسوع، المُعلِن والفادي المطلق، أن "العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل حسب إرادته فيضرب كثيراً. ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلاً" (لو ١٢: ٤٧، ٤٨).

وعد الرجاء

تُوصف العاقبة النهائية للخطية – ما لم تكن هناك توبة – بتعبيرات قوية تشير للدينونة، مثل النواح والبكاء، وصرير الأسنان، والطرح في الظلمة الخارجية، والنار الأبدية (مت ٨: ١٢؛ لو ٣: ٢٨؛ مت ٢٢: ١٣؛ ١٣: ٤٢، ٥٠؛ ٢٤: ٥١ ... الخ). غير أن الله لم يترك الإنسان بلا رجاء في الإفلات والنجاة من العقوبة. فعقب خطية الإنسان الأولى، وعد الله بأن نسل المرأة سيسحق قوة الشيطان، مما يجعل من الممكن استرداد علاقة الإنسان بالله (تك ٣: ١٥).

الفصل الثاني

الاستعداد لقدوم الفادي

عمل محبة الله وقداسته:

كثيراً ما توصف القداسة والمحبة بأنهما صفتان من صفات الله. وهناك صفات أخرى لله مثل أمانته، وغفرانه، وصلاحه، وعدالته، ورحمته، وبره، وصدقه. والسبيل الوحيد لكي نعرف كم أن هذه الصفات تعكس وتصف طبيعة الله يتيسر عن طريق دراسة الكتاب المقدس. فإعلان الله في الكتاب المقدس يعبر عن شخصيته بواسطة كلمات، كثيراً ما يستخدمها الناس. كذا فإننا لا نستطيع أن نفهم معنى هذه التعبيرات إلا جزئياً فقط. ولذا، فعلينا أن نكون حذرين في استخدامها حتى لا نبالغ في تبسيط طبيعة الله.

إن قداسة الله أمر مركزي في رسالة الكتاب المقدس. فقد قال الله: "إني أنا الرَّب إلهكم فَتَتَقَدَّسون وتكُونون قديسين لأني أنا قُدوس" (لا ١١: ٤٤؛ قارن ١٩: ٢). ويعلن الكتاب المقدس: "الرَّب بَار في كُل طرقه وَرَحِيمٌ في كل أَعماله" (مز ١٤٥: ١٧). "علوا الرَّب إلهنا واسجدوا في جبلِ قدسه لأَنَّ الرَّب إِلَهَنَا قدوس." (مز ٩٩: ٩). "بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ." (١بط ١: ١٥، ١٦). وقد خاطب يسوع المسيح الله الآب قائلاً: "أيها الآب القدوس" (يو ١٧: ١١) كما عَلَّم تلاميذه أن يوقروا الله (مت ٦: ٩). وقداسة الله هي السبب وراء انفصاله عن الخطية وكراهيته لها (مز ٥: ٥؛ ١١: ٥؛ ٤٥: ٧؛ أم ١٥: ٩؛ إش ٥٩: ١، ٢).

من الضروري أن يكون لدينا فهم سليم لقداسة الله ومحبته حتى نقدر قيمة خطة الخلاص. فأولاً: لو لم يكن الله قدوساً، لما كان عليه أن يفصل نفسه عن الخطية. ولما كانت هناك حاجة ضرورية لخطة للخلاص. وكان من الممكن لمحبته أن تتغاضى عن ضعف الإنسان وعصيانه. ولكن، حيث أن الله قدوس، فإن عدالته لن تسمح لمحبته أن تتغاضى عن خطية الإنسان دون أن يتم إرضاء متطلبات سمة القداسة لديه.

ثانياً: الله يتعامل مع الإنسان بحسب محبة الله التي تتجلى في اهتمامه الأبوي بالبشرية، وتصف كلمة الله اتجاهه الكريم وحُنوه على الإنسان. عندما أعطى الله الشريعة لموسى، كشف عن نفسه على أنه "الرب إله رحيم ورءوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية" (خر ٣٤: ٦، ٧؛ قارن عد ١٤: ١٨؛ نح ٩: ١٧؛ مز ١٠٣: ٨؛ إر ٣٢: ١٨؛ يون ٤: ٢). لقد أخبر موسى بني إسرائيل أن الله "يحبك ويباركك" (تث ٧: ١٣؛ قارن ٢٣: ٥؛ ٣٣: ٣؛ ١مل ١٠: ٩؛ ٢أخ ٢: ١١؛ ٩: ٨؛ مز ٩٧: ١٠؛ ١٤٧: ٨، إش ٤٨: ١٤).

وفي العهد الجديد يكتب الرسول يوحنا أن "الله محبة" (١يو ٤: ٨؛ قارن ٤: ١٦). كانت محبة الله هي الدافع الذي حركه لكي يبادر بخطته للخلاص. "بهذا أظهرت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد لكي نحيا به" (١يو ٤: ٩). "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). "الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح" (أف ٢: ٤، ٥؛ انظر أيضاً رو ٥: ٦-٨؛ ٨: ٣٢). لقد أراد الله أن يخلص الإنسان من الخطية لأنه أحب الإنسان.

لقد عملت قداسة الله ومحبته معاً على تحقيق الفداء للبشرية. وحيث أن الله *قدوس*، فبالخطية فصل الإنسان نفسه عن الله. ولكن حيث أن الله *محبة*، فقد وعد أن يرسل فادياً لكي يخلص الإنسان من الخطية.

الله يُعِد لمباركة الإنسان من خلال إبراهيم

قبل تأسيس العالم، خطط الله لخلاص الإنسان. إذ كان فداء المسيح "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١بط ١: ٢٠). حيث أن ذبيحة المسيح "وعد بها الله ... قبل الأزمنة الأزلية" (تي ١: ٢). "[الله] خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً ... بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (٢تي ١: ٩). وبالتالي، عندما ارتكب الإنسان الخطية ضد الله في جنة عدن، كان الله قد بدأ بالفعل في إعلان خطته للفداء.

في الوقت ذاته الذي أخبر فيه الله الإنسان بعواقب خطيته، نجده يقول للحية: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها" (تك ٣: ١٥). كانت تلك الإشارة إلى نسل المرأة هي أول نبوءة تشير إلى المسيح. لقد كان سر يسوع المسيح "مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان" (رو ١٦: ٢٥، ٢٦). وقد أخذ هذا السر يتكشف تدريجياً في العهد القديم ولكنه أُعلِنَ بصورته الكاملة وصار حقيقة على أرض الواقع في العهد الجديد.

الخطوة الأولى لإعداد الإنسان للخلاص وتحقيق الخلاص له كانت دعوة الله لأبرام. إذ تكلم الله له بطريقة مباشرة قائلاً: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة.

وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢: ١-٣). وهكذا تكونت دعوة الله لأبرام من أمر بالذهاب ووعد بالبركة.

صدق أبرام الله "فذهب أبرام كما قال له الرب" (تك ١٢: ٤). وقاده الله "إلى أرض كنعان ... وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض" (الآية ٥-٨). ومرة ثانية يعطي الله وعداً لأبرام، الذي من جديد آمن وكان عنده الرغبة لأن يشهد لرحمة الله بأن يبني "مذبحاً للرب ودعا باسم الرب" (الآية ٨). كان وعد الله الثلاثي يتضمن وعداً بالنسل والأرض والبركة. فأبرام هو من سيصبح أباً للشعب المختار الذين سينالون الأرض، حيث سيمكنهم أن يعيشوا منفصلين عن الآخرين، وحيث يستخدمهم الله ليكونوا بركة لكل الشعوب. وقد أعاد الله ذكر وعد النسل لأبرام في كنعان (تك ١٣: ١٦). ويبدو أن الله أختار أرض كنعان حيث كانت تقع على عدة طرق تجارية، مما سيمكن نسل أبرام من حمل رسالة الله إلى كل شعوب العالم.

يعد أصحاح ١٥ من سفر التكوين محورياً فيما يتعلق بقصة فداء البشرية. يبدأ الأصحاح بوعد الرب لأبرام بأن أجره سيكون كبيراً جداً (تك ١٥: ١)؛ ذلك لأن أبرام "آمن بِالرَّب فَحسِبَهُ لَهُ بِرّاً". (الآية ٦). إلا أن أبرام، الذي لم يكن له أبناء، سأل الرب كيف سيمتلك الأرض. عندها أرشد الله أبرام أن يحضر معه عجلاً صغيراً، وعنزة صغيرة، وكبشاً، بالإضافة إلى يمامة وحمامة صغيرتين. استجاب أبرام وأحضرها جميعاً، دون أن يسأل الله أي سؤال عما تمثله أو ما الذي سوف يفعله بها. (كذلك فإن موسى، كاتب سفر التكوين، لم يشرح معناها. إذ كان يعرف أن القراء يفهمون ما الذي كان يحدث). علم أبرام من واقعه الثقافي أن الله كان يستعد لإقامة عهد على نفس منوال الممارسات الكلدانية (قارن الآية ٧). لذا فدون أن يسأل، أخذ أبرام ثلاثة حيوانات وقسم كل حيوان إلى شطرين ووضع كل شطر مقابل الشطر الآخر لكي

يشكلا معاً ممراً من الدماء. وسوف يُقام العهد حينما يمر طرفا العهد بين الشطرين، وبالتالي فهما يتعهدان بحفظ شروط العهد، وأما الطرف الذي لا يحفظ العهد فإن الثمن يكون هو سفك دمه.

"ولما مالت الشمس إلى المغيب غرق أبرام في نوم عميق، وإذا بظلمة مخيفة ومتكاثفة تكتنفه" (تك ١٥: ١٢). كانت كلمة "الظلمة" هي الطريقة العبرية للقول إن أبرام كان مرتعباً من فكرة أنه مقدم على إقامة عهد ليس باستطاعته هو أو نسله أن يحفظوه. وحيث أن أبرام ونسله لم يكن بمقدرتهم أن يحفظوا العهد، فإن الله أخذ على نفسه عبء تعهدات الجانبين في هذا العهد. فعندما مالت الشمس، إذا "تنور مدخن" (التنور هو فرن به جمرات مدخنة كان يستخدم لإشعال النار، ١٥: ١٧؛ قارن ١٩: ١٨؛ عب ١٢: ٢٩) ممثلاً عن الله. وأما أبرام فكان يمثله "مصباح نار" (الآية ٧؛ قارن خر ٣: ٢-٤؛ ٢صم ٢١: ١٧؛ ٢٢: ٧، ٩، ٢٩؛ ١مل ١١: ٣٦؛ ١٥: ٤؛ الخ) والذي صرنا الآن ندرك أنه كان يرمز إلى الرب يسوع المسيح، نور العالم). وبالتالي فقد قطع الله العهد بأن أجتاز بين قطع الذبائح (الآية ١٧). وإذا فشل أبرام أو نسله في حفظ بنود العهد، فسوف يكلف ذلك الله دم ابنه (أي حياته). وكما سنرى لاحقاً، كلف ذلك الله دم المسيح (ابنه) الآتي إلى العالم.

بلغ أبرام تسعة وتسعين عاماً ولم يكن وعد الله قد تحقق بعد فظهر الله له من جديد، وقال له: "أما أنا فهوذا عهدي معك ... أجعلك أباً لجمهور من الأمم" (تك ١٧: ٤-٥). وقد تغير اسمه في ذلك الوقت إلى إبراهيم (الآية ٥)، وصار واجباً على نسله أن يحفظوا العهد، وتم ختان الأطفال الذكور كرمز للعهد (الآية ١١). كذلك وعد الله إبراهيم: "أباركها [سارة] وأعطيك أيضاً منها ابناً. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون" (الآية ١٦). ورغم أنه كان من الصعب على إبراهيم أن يفهم كيف يمكن لله أن يتمم وعده، إلا أنه آمن بالله، وكان الله أمينا لوعده. إذ ولدت

سارة ابناً، ودعوه إسحق (٢١: ١-٧). وكان هذا الابن هو بداية تتميم وعد الله لإبراهيم. وهكذا لم ييأس إيمان إبراهيم؛ وكان الله أميناً لوعده الذي قطعه له.

بعد ذلك تعرض إيمان إبراهيم في الله لاختبار فاق كل خبراته السابقة. فقد صدق إبراهيم الله وأطاعه عندما دعاه للخروج من مدينة أور. كما صدق الرب حينما قال له إن نسله سوف يكون كثيراً كنجوم السماء. ثم قال له الله: "خذ ابنك وحيدك (مع أن إسماعيل كان موجوداً إلا أن إسحق هو ابن الموعد فهو الابن الوحيد) الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك" (تك ٢٢: ٢). كان لابد من تقديم هذا الابن الذي سوف يتحقق به الوعد ذبيحة، ورغم أن الوعد لن يتحقق في ابن آخر، ولم يكن لدى إبراهيم أي أمل في إنجاب ابن نظراً لسنه الكبير، فقد آمن من جديد بالله وذهب إلى الجبل لكي يقدم إسحق ذبيحة. وقام إبراهيم بربط إسحق وقاده نحو المذبح. وفي اللحظة التي استل فيها إبراهيم السكين ليذبح ابنه، ظهر ملاك الرب وقال له: "لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (الآية ١٢).

أعد الله كبشاً، كان ممسكاً في الغابة بقرنيه، فأصعد إبراهيم الكبش "محرقة عوضاً عن ابنه" (تك ٢٢: ١٣). وبعد أن برهن إبراهيم على إيمانه بكونه مستعداً لطاعة أمر الله دون أي شروط، أعاد الله تأكيد وعوده التي قطعها من قبل: "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي" (الآية ١٨).

وقد تكرر وعد الله لإبراهيم مع ابنه إسحق (تك ٢٦: ٣، ٤)، الذي صار أباً لتوأم، عيسو ويعقوب. وقبل أن يولدا، قال الرب لرفقة أمهما: "في بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير" (تك ٢٥: ٢٣).

اختار الله يعقوب لكي يتسلم الوعد الذي قطعه الله مع إبراهيم. وقد كان من المفترض أن يرث عيسو الوعد حيث أنه الابن البكر. لكن يعقوب امتلك القدرات الروحية والقيادية

الضرورية لتتميم الوعد. وفي النهاية استطاع يعقوب أن يشتري بكورية عيسو نظير أكلة عدس (تك ٢٥: ٢٩-٣٤).

وعلى الرغم من أن يعقوب حصل على حق البكورية من أخيه، إلا أنه ظل في حاجة إلى البركة من أبيه إسحق. وبحسب عادات ذلك الزمان، أراد إسحق أن يمنح بركته لابنه البكر عيسو. فطلب من عيسو أن يحضر له طعاماً من الحقل، ويطبخه له، وقال له: "آتني بالصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي" (تك ٢٧: ٧). وعندما علم يعقوب بذلك، استطاع أن يحصل على البركة بمساعدة أمه، وذلك باستخدام الخديعة.

ولأن يعقوب حصل على البكورية والبركة، أراد عيسو أن يقتله، فخاف يعقوب من عيسو. وبناءً على نصيحة رفقة (تك ٢٧: ٤٣)، فر يعقوب إلى فدان آرام حيث عاش خاله لابان (تك ٢٧: ٣٠-٤٥). ولكن قبل أن يرحل، نال بركة إبراهيم (٢٨: ٤). ولما وصل إلى فدان آرام استقبله لابان بالترحاب وعرض عليه أن يعمل عنده. وهناك تزوج يعقوب من بنتي لابان ليئة ثم راحيل.

كان ليعقوب اثنا عشر ابناً، وهم الذين صاروا فيما بعد آباء لأسباط بني إسرائيل. وتطورت هذه الأسباط حتى شكلت شعب إسرائيل القديم. وأعطى الله يعقوب اسم إسرائيل (تك ٣٢: ٢٨). وأعاد الله تكرار وعده لإبراهيم وإسحق مع يعقوب أيضاً (تك ٣٥: ١٠-١٢). كما حفظ الله وعده وأنمى هذه العائلة حتى صارت شعباً، هو شعب بني إسرائيل.

العائلة تصبح شعباً في مصر

من بين كل أبنائه، أحب يعقوب ابنه يوسف أكثر من الجميع. وكان إخوة يوسف يكرهونه بسبب أحلامه التي تتنبأ بأنه سيسود عليهم. وعندما حانت الفرصة، دبّر إخوة

يوسف حيلة لقتله، غير أنهم في اللحظة الأخيرة قرروا بيعه كعبد لتجار متجهين نحو مصر (تك ٣٧).

وفي مصر، ارتفع يوسف من العبودية إلى السلطة بواسطة عناية الله. فنتيجة لقدرته التي منحها له الله على تفسير الأحلام (تك ٤١: ١٦)، صار يوسف مسئولاً عن مخازن غلال مصر، التي ملأها بالطعام استعداداً لسنوات المجاعة القادمة.

وهناك في كنعان، واجه يعقوب وأبناؤه الأحد عشر المجاعة. وعندما سمع إخوة يوسف عن وفرة الغذاء في مصر جاءوا إليها. وهكذا، نتيجة لتلك الأحداث المتعاقبة، نجا يعقوب وعائلته من الموت جوعاً في كنعان. وبينما كانوا راحلين إلى مصر، تلقى يعقوب ضماناً من الله أن نسله سوف يرجع من جديد إلى أرض الموعد، أرض كنعان (تك ٤٦: ٣، ٤).

سكن بنو إسرائيل في مصر لمدة أربعمائة وثلاثين سنة، وهناك نمت عائلة يعقوب جداً. وقد أكرم المصريون بني إسرائيل جداً عرفاناً منهم لدور يوسف في حماية المصريين من المجاعة. "وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جداً وامتلأت الأرض منهم" (خر ١: ٧).

ثم انقلبت الأوضاع ضد بني إسرائيل.

"ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: فيثوم ورعمسيس. ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا. فاختشوا من بني إسرائيل. فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل. كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً". (خر ١: ٨-١٤)

وكما لو أن ذلك لم يكن كافياً، سارع فرعون مصر إلى اتخاذ خطوة أكثر قسوة. فقد أمر القابلات، اللاتي تساعدن الأمهات العبرانيات على الولادة، بأن يقتلن كل طفل ذكر تلده امرأة عبرانية، غير أن القابلات لم يطعنّ أوامره (خر ١: ١٥-٢٢).

موسى والخروج

عَلِمَ الرب بما كان يعانيه العبرانيون من ظلم، فأعد مخلصاً لهم، وهو موسى. وقد استخدم الله النظام بما فيه القابلات لكي يحضر موسى إلى قصر فرعون استعداداً لقيادة العبرانيين إلى أرض الموعد. وبالتالي فقد استعلنت محبة الله ورحمته في شعبه:

"وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب". (خر ٢: ٢٣، ٢٤)

في الوقت المناسب، دعا الله موسى لكي يذهب إلى شعبه ويخلصهم من العبودية في مصر. وأخبر موسى أن يجمع الشيوخ، لكي يذهبوا إلى ملك مصر، ويطلبوا منه أن يسمح للعبرانيين بالذهاب في رحلة لمدة ثلاثة أيام لكي يقدموا ذبائح لإلههم. وعرف موسى أن فرعون لن يسمح لهم بالذهاب خوفاً من فقدانه السلطة على الشعب. فضرب الله المصريين بعشر ضربات قبل أن يدع فرعون العبرانيين يرحلون (خر ٣-١٢). وقد جاءت الضربات الواحدة تلو الأخرى، إلا أن فرعون لم يسمح للشعب بالذهاب. ولكن أخيراً، بعد حدوث الضربة العاشرة، التي تضمنت موت أبكار المصريين، غيَّر فرعون رأيه.

أسس الله الفصح كرمز لفدائه شعبه من مصر، إذ كان على كل عائلة من بني إسرائيل أن تذبح خروفاً وتضع بعض الدماء على العتبة العليا والقائمتين لأبواب منازلهم. فالدم هو الذي ميز بني إسرائيل عن المصريين.

"ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعيدونه عيدا للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية". (خر ١٢: ١٣-١٤)

فعل موسى وبنو إسرائيل كما أمرهم الله. ومات أبكار المصريين من أول بكر فرعون مصر وحتى بكر أفقر فلاحي مصر. هذه المأساة حولت قلب فرعون. فقال لبني إسرائيل: "خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا. وباركوني أيضاً" (خر ١٢: ٣٢).

رحل عن مصر "ست مئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد" (خر ١٢: ٣٧). في تلك الفترة كان بنو إسرائيل قد مكثوا في مصر لمدة "أربع مئة وثلاثين سنة" (الآية ٤٠). وخلال هذه السنوات تضاعف بنو إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر وعددهم حوالي سبعين شخصاً وخرجوا منها شعباً كبيراً مكوناً من ست مئة ألف رجل، ما عدا النساء والأطفال.

إعطاء الشريعة في سيناء

"في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر، في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء" (خر ١٩: ١). أقام بنو إسرائيل خيامهم عند سفح جبل سيناء لمدة أحد عشر شهراً. وقد تم تسجيل الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل في تلك الفترة في سفر الخروج ١٩ وسفر العدد ٩.

وفي سيناء دعا الله موسى ثانية وكشف له أكثر عن إرادته لبني إسرائيل، أن يدخل في علاقة عهد معهم تتطلب ولاءهم الكامل والمطلق له في الحياة. وفي المقابل سوف يقيم الله شركة حميمة مع شعبه. خلال تلك الفترة، التقى موسى مع الله سبع مرات. وفي أول لقاء بينهما قال الله لموسى:

"هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل". (خر ١٩: ٣-٦)

لقد تكلم موسى بهذه الكلمات للشيوخ ثم إلى الشعب، الذين أجابوا: "كل ما تكلم به الرب نفعل" (خر ١٩: ٨). أكد قبول الشعب كلمة الله العهد بينهم وبين الله. والآن سيصبح كل شيء مختلفاً. صار بنو إسرائيل شعب الله المختار، وكان عليهم أن يطيعوه للأبد، وتوجب عليهم أيضاً أن يصيروا نموذجاً للآخرين حتى يمكنهم هم أيضاً أن يتعرفوا على الله. كان قبول الشعب لكلمات الله أمراً ضرورياً لجعلهم أمة عظيمة يمكن لله أن يبارك بها كل أمم الأرض.

عند جبل سيناء، أعلن الله إرادته، التي تضمنت الوصايا العشر. تلك الوصايا، التي نجدها في سفر الخروج ٢٠: ٣-١٧، كانت في قلب شريعة الله. وتتناول الوصايا الأربعة الأولى علاقة الإنسان بالله، والستة الأخيرة تتناول علاقة الإنسان بالإنسان:

١. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.
٢. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ... لا تسجد لهن ولا تعبدهن.
٣. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً.
٤. اذكر يوم السبت لتقدسه.
٥. أكرم أباك وأمك لتطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.
٦. لا تقتل.
٧. لا تزن.
٨. لا تسرق.
٩. لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠. لا تشته ... شيئاً مما لقريبك.

وأثناء الشهور الأحد عشر في سيناء، أعلن الله شرائع أخرى تشكل القانون المدني الأساسي عند بني إسرائيل (خر ٢١: ٢٣).

أخبر موسى الشعب "بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل" (خر ٢٤: ٣). كتب موسى هذه الكلمات في كتاب العهد. وبعد أن قرأ ما في هذا الكتاب أمام الشعب، أجابوا مرة ثانية: "كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له" (الآية ٧). فأخذ دم ثور الذبيحة، ورشه على الشعب، ثم قال: "هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال" (الآية ٨). ومن خلال هذا العهد أسس الرب سلطانه على بني إسرائيل.

في تلك الفترة أعطى الرب أيضاً لبني إسرائيل تعليمات عن خيمة الاجتماع. فقد كان الهدف من هذه الخيمة أن تستخدم كموضع مقدس ومكان للعبادة ولتقديم الذبائح. هذا المكان المقدس كان موضع سكنى الله بين شعبه وكان أيضاً المكان الذي تم فيه حفظ لوحي الشريعة.

لقد أعلن الله كل جزئية صغيرة من تفاصيل بناء خيمة الاجتماع؛ ولم يكن بها أي جزء من تصميم البشر (خر ٢٥-٢٧). أُقيمت خيمة الاجتماع في ساحة يمكن الوصول إليها عبر بوابة واحدة فقط على الجانب الشرقي. وكان الشخص يدخل في البداية بالقرب من مذبح المحرقة، حيث كانت ترفع الذبائح. وبعد ذلك توجد المرحضة، وقد كانت وعاءً كبيراً مستديراً يستخدمه الكهنة في الاغتسال والتطهر الطقسي قبل الدخول إلى خيمة الاجتماع.

أما بالنسبة لخيمة الاجتماع نفسها، فهي عبارة عن مبنى صغير نسبياً، على شكل مستطيل (حوالي ٤٥ × ١٥ قدماً أي حوالي ١٤ × ٤,٥ متراً)، تقع عند النهاية الغربية للساحة. وقد كانت مقسمة إلى حجرتين، القدس وقدس الأقداس، وكان يفصل بينهما

ستار أو حجاب ثقيل. وكان المَعْلَم المركزي في خيمة الاجتماع هو تابوت العهد، الذي كان يوجد في قدس الأقداس. وعلى غطاء تابوت العهد، الذي كان يُعرَف أيضاً باسم كرسي الرحمة، كان يوجد تمثالان لملاكي كروبيم مصنوعان من الذهب. وكانت أجنحة كل ملاك تمتد نحو الآخر، وأعينهما موجهة لأسفل على كرسي الرحمة.

سكن الله كملك بين شعبه في قدس الأقداس. وكان باستطاعة رئيس الكهنة أن يدخل إلى محضره مرة واحدة كل سنة، في يوم الكفارة. في هذا اليوم كان رئيس الكهنة يدخل، محاطاً بسحابة من البخور، إلى قدس الأقداس حاملاً دم الذبيحة لكي يصنع الكفارة عن خطاياه وخطايا شعبه (لا ١٦: ١١-١٧؛ عب ٩: ٧).

كان هارون أول رئيس للكهنة. كما صار أولاده الأربعة أيضاً من الكهنة. غير أن اثنين من أولاده أحرقوا بخوراً بطريقة لا توافق الشريعة فماتا نتيجة لخطيتهم (لا ١٠: ١-٥). واستمر الكهنوت عبر الابنين الآخرين. وكان عليهما أن يقوما بتعليم "بني إسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها بيد موسى" (لا ١٠: ١١؛ قارن ١٠: ٦-٢٠). ونجد وصفاً للكهنوت في سفر الخروج ٢٨ و٢٩.

وفيما بعد منح الله سبط لاوي واجبات الكهنوت لأنهم حافظوا على أمانتهم عندما تمرد بنو إسرائيل وصنعوا لأنفسهم عجلاً ذهبياً ليسجدوا له (خر ٣٢: ٢٥-٢٩). وكانت الدعوة الكهنوتية لسبط لاوي أن يخدموا في خيمة الاجتماع.

"في ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب وليقفوا أمام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يكن للاوي قسم ولا نصيب مع إخوته. الرب هو نصيبه كما كلمه الرب إلهك" (تثنية ١٠: ٨، ٩).

وتم تكريسهم لهذه الخدمة بواسطة إجراء طقوس خاصة (خر ٢٩؛ لا ٨).

كان الكهنة يؤدون مهمة تقديم ثلاثة أنواع من التقدمات في خيمة الاجتماع: تقدمة شرب، تقدمة طعام، وتقدمة حيوانية أو ذبيحة. وكانت التقدمة الحيوانية هي مركز هذه العبادة. وكانت الذبيحة تتحدد بناءً على موارد الشخص، سواء كانت ثوراً أو خروفاً أو جدي ماعز أو حمامة، وفي جميع الأحوال لابد للذبيحة أن تكون خالية من العيوب. وكان الدم، الذي يصنع الكفارة عن الخطايا (لا ١: ٤؛ ١٧: ١١)، يتم رشه حول المذبح. وتحرق نيران المذبح بقية الحيوان.

الوظائف التعليمية للشريعة

لم يكن باستطاعة بني إسرائيل أن يعرفوا الغرض من وراء الشريعة وخيمة الاجتماع والتقدمات الذبائحية. وكان بنو إسرائيل هم تتميم الوعد الذي قطعه الله مع إبراهيم بأن نسله سوف يصير أمةً عظيمةً وبركة لكل الأمم. في تلك الفترة كانت المؤسسات الدينية تقوم بخدمات لصالح الشعب ولكنها كذلك كانت ظلالاً ورموزاً لأحداث آتية (كو ٢: ١٦، ١٧؛ عب ٨: ٥؛ ١٠: ١).

لقد كان للشريعة وخيمة الاجتماع والتقدمات أو الذبائح وظيفة تعليمية. فمن خلالها تعلم بنو إسرائيل – وفيما بعد كل البشرية – إرادة الله، ومن ثم صاروا على وعي بالخطية وبالحاجة للفداء (الخلاص من العبودية وعواقب الخطية). كتب بولس رسول يسوع المسيح أن اليهود علموا إرادة الله بأن كان لهم "صورة العلم والحق في الناموس" (رو ٢: ٢٠)، و"لأن بالناموس معرفة الخطية" (رو ٣: ٢٠). لقد دعا الله للطاعة الكاملة للناموس. "أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها. أنا الرب إلهكم. فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها" (لا ١٨: ٤، ٥). هذه الدعوة للطاعة يمكن أن ينتج عنها "بركة ولعنة. البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها

اليوم. واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم" (تث ١١: ٢٦-٢٨). واللعنة التي كانت الخطية تجلبها هي الموت: "النفس التي تخطئ هي تموت" (حز ١٨: ٤، ٢٠).

لقد كشفت طريقة بناء خيمة الاجتماع للإنسان حقائق الخطية وتأثيرها على علاقة الإنسان بالله، والسبل التي يستطيع بها الإنسان أن يأتي إلى محضر الله. فخيمة الاجتماع، وهي موضع سكنى الله، لم يكن من الممكن دخولها سوى من باب واحد في الحائط الذي يحيط بالساحة وذلك فقط بواسطة المرور على المذبح والمرحضة. وهذه المكونات علَّمت الإنسان الخطوات التي يجب اتخاذها قبل أن يتمكن من الدخول إلى محضر الله.

بواسطة خيمة الاجتماع تعلم بنو إسرائيل أن خطاياهم تعوق دخولهم إلى محضر الله وأن قداسة الله وبره وعدله تتطلب أن يموت جميع الخطاة. لقد علَّمت خيمة الاجتماع الإنسان أن موت البديل الطاهر وحده يمكن أن يرضي عدالة الله. وتحدث المذبح عن موت هذا البديل. وكان دم الذبيحة، الذي يمثل حياتها، يستخدم لأجل هذا الغرض. "لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس" (رو ١٧: ١١). وقد أوجز كاتب الرسالة إلى العبرانيين كل هذا حين قال: "وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة!" (عب ٩: ٢٢). وقد أُعلِن المعنى الكامل للذبيحة ولدمها بشكل تدريجي لبني إسرائيل.

تقف المرحضة في منتصف الطريق بين المذبح وبين خيمة الاجتماع. وكان الكهنة وحدهم لهم الحق في الدخول إلى خيمة الاجتماع، وذلك لا يحدث إلا بعد أن يجتازوا في تطهرات طقسية عند المرحضة. كشفت هذه التطهرات الطقسية للإنسان أن هناك أمور أخرى واجبة بالإضافة إلى تقديم الذبيحة على المذبح قبل أن يمكن للشخص أن يدخل إلى محضر الله. فهناك حاجة إلى "غسل الميلاد الثاني" الذي يطهر الشخص ويجعله "خليقة جديدة" (يو ٣: ٣-٧؛ تي ٣: ٥؛ ٢كو ٥: ١٧).

بعد رفع الذبيحة على المذبح والتطهر عند المرحضة، يمكن للكاهن أن يدخل إلى الحجرة الأولى في خيمة الاجتماع. وعلى اليمين توجد مائدة خبز الوجوه التي يوضع عليها اثنا عشر رغيف خبز، "خبز الوجوه" أو "الخبز الدائم." كان هذا الخبز "أمام الرب دائماً" (لا ٢٤: ٨)، وهو يرمز للشركة المستمرة بين الله وبين شعبه. وعلى الجانب الأيسر توجد السُرُج أو الشمعدانات الذهبية، التي تعطي مصدر الإضاءة الوحيد في القدس. وبواسطة هذه الإضاءة يتمكن الكهنة من خدمة الله. ثم مذبح البخور أمام الحجاب الذي يفصل بين القدس وقدس الأقداس. وهناك يتم إحراق البخور رمزاً للصلوات والعبادة.

أما تابوت العهد وكرسي الرحمة فقد كانا في قدس الأقداس، الذي لم يكن مسموحاً بدخوله سوى مرة واحدة سنوياً في "يوم الكفارة" (لا ١٦). وفي هذا اليوم كان الكهنة يحضرون اثنين من جداء الماعز أمام الله، وتجرى قرعة لتحديد أيهما سوف يكون الذبيحة وأيهما سيكون الجدي الذي يُطلق في الصحراء. ويُرَش دم الجدي المقدم كذبيحة أمام وفوق كرسي الرحمة. وهذا كان "يكفر عن القدس من نجاسات بني إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم. وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القائمة بينهم في وسط نجاساتهم" (الآية ١٦). وكان على هارون أن يضع يديه على رأس الجدي الحي، معترفاً عليه بنقائص بني إسرائيل، ثم يرسله بعيداً إلى البرية (الآية ٢١). إن الجدي الأول يرمز إلى ستر الخطايا عند كرسي الرحمة، والجدي الثاني يرمز إلى إزالة الخطايا بواسطة ذبيحة المسيح الآتي.

أرض الميعاد ودروسها

قضى بنو إسرائيل حوالي سنة عند جبل سيناء. بعد أن تلقوا الشريعة وقاموا ببناء خيمة الاجتماع، التي ظهر الله لهم فيها وأرشدهم بواسطة "عمود السحاب" (خر ١٤: ٢٤؛

٣٣: ٩، ١٠؛ ٤٠: ٣٤-٣٧؛ الخ) ليقودهم نحو أرض الميعاد. وعندما اقترب بنو إسرائيل من وجهتهم أرسلوا اثني عشر رجلاً ليتجسسوا أرض كنعان. وهؤلاء الرجال رجعوا ومعهم تقرير عن الأرض أنها " تفيض لبناً وعسلاً ... غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً." لكن اثنين فقط قالا: "إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها" (عد ١٣: ٢٧-٣٠). ارتاب الشعب وتزمروا ضد موسى وهارون. وتساءلوا: "لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟ ... أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟" (عد ١٤: ٣، ٤). ونتيجة للتمرد ولعدم ثقتهم، فإن كل الرجال من بني إسرائيل الذين تبلغ أعمارهم من عشرين سنة فصاعداً من الذين تذمروا ضد الله ماتوا في البرية.

طوال أربعين سنة تاه بنو إسرائيل في البرية نتيجة لرفضهم الدخول لأرض كنعان. وقرب نهاية تلك الفترة، عندما كان الشعب في قادش، حدث نقص في المياه؛ وبدأ الشعب يتذمر من جديد ضد موسى وهارون. فظهر الرب لموسى وهارون وطلب منهما أن يجمعا الشعب ويكلما "الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها فتخرج لهم ماءً" (عد ٢٠: ٨). ولكن موسى، بدلاً من أن يكلم الصخرة، ضرب الصخرة بعصاه. وبسبب عدم طاعته، لم يسمح الله لموسى بأن يقود بني إسرائيل عند دخولهم إلى أرض الموعد.

في السنة الأربعين من التيه في البرية، تكلم موسى إلى الشعب لكي يستعدوا للدخول إلى أرض الميعاد. وقال لهم إن إلههم إله غيور لكنه رحيم. وكان عليهم أن يتبعوا خطته حتى يأخذوا أرض الميعاد ويتخلصوا تماماً من سكان هذه الأرض (تث ٢: ٣٤؛ ٧: ٢). كما حذرهم أنهم إذا صنعوا تماثيل منحوتة، فإنهم سوف يفنون من الأرض، والقلة التي ستتمكن من البقاء سوف تتشتت بين الأمم (الأصحاح ٤). كان من الواجب على بني إسرائيل أن يحفظوا شرائع ووصايا الله. وذكرهم بأن الرب أخرجهم "من أرض مصر من بيت العبودية" (تث ٦: ١٢، ١٣). ثم قال موسى للشعب: "فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة" (٩: ٦). فإن

الكنعانيين الذين كانوا يملكون الأرض طُرِدوا منها بسبب شرورهم المتزايدة. ومنح الله الأرض لبني إسرائيل من أجل تتميم وعده لإبراهيم وإسحق ويعقوب (الأصحاح ٩).

وبناءً على وصايا الرب، كلَّف موسى يشوع ليخلفه (عد ٢٧: ١٨-٢٣). وبعد موت موسى تولى يشوع قيادة الشعب. وقال له الرب: "قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل". ووعده قائلاً: "لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك" (يش ١: ٢، ٥).

استطاع يشوع أن يهزم مدينة أريحا، وهي مدينة قوية محصنة في وسط أرض كنعان. ولم يستطع بنو إسرائيل أن يأخذوا المدينة إلا بواسطة المعونة المباشرة من الله. وظهر الرب ليشوع وأكد له حضوره وانتصاره، وبعد ذلك أعطى ليشوع تعليمات واضحة حول كيفية الاستيلاء على المدينة. كان على جيش يشوع أن يدور حول أسوار المدينة في صمت كل يوم لمدة ستة أيام، يتبعهم سبعة من الكهنة الحاملين بوق الهتاف، وتابوت العهد، وحارس. وفي اليوم السابع يدور الشعب حول المدينة سبع مرات مع الكهنة الذين ينفخون في الأبواق. وبعد المرة السابعة، ينفخ الكهنة في الأبواق لفترة طويلة وعندها يهتف الشعب هتافاً عظيماً. وفي تلك اللحظة سوف يهدم الله أسوار مدينة أريحا بطريقة معجزية، فتسقط في مكانها. واتبع الشعب هذه الأوامر، وسقطت الأسوار وأخذ الشعب المدينة (يش ٦).

بعد سقوط أريحا، تعرض بنو إسرائيل في الخطوة التالية لهزيمة ساحقة. وقد جاءت هذه الكسرة نتيجة لعصيان وصايا الله، وهذا جعل بني إسرائيل يدركون الدرس أن الله يطلب منهم الطاعة الكاملة (يش ٧، ٨). بعدها حاز بنو إسرائيل على النصر في المعركة التالية، لأن الله كان معهم. وعندما واجه بنو إسرائيل خمسة ملوك كنعانيين في معركة، جعل الله الشمس تقف في كبد السماء لكي تمنح الوقت ليشوع حتى يحقق انتصاراً كاملاً على أعدائه (يش ٩، ١٠). وبعد هذه المعركة انتصر يشوع على تحالف

لملوك الشمال، مما منحه السيطرة على كل الأرض (يش ١١، ١٢). بعد ذلك تم تقسيم أرض كنعان بين أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر. أما سبط لاوي فلم يحصل على نصيبه من الأرض (١٤: ٤؛ قارن أصحاح ١٣-٢٠). لأنهم ظلوا أمناء عندما صنع الشعب العجل الذهبي عند جبل حوريب، فإنهم صاروا يتولون مسئولية الخدمة في خيمة الاجتماع (خر ٣٢).

عندما شاخ يشوع، جمع شيوخ بني إسرائيل وقضاتهم وتكلم إليهم، وطلب منهم أن يلاحظوا كل ما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي يبقوا منعزلين عن الأمم التي تحيط بهم، ولكي يحبوا الرب إلههم. وحذر يشوع القادة بأن الرب لن يستمر في طرد الأمم المتبقية من الأرض لو ارتد بنو إسرائيل عن الرب واتحدوا مع أي بقية باقية من الأمم التي تحيط بهم. فإن بني إسرائيل سوف يفنون من الأرض الجيدة التي منحها الله لهم (يش ٢٣، ٢٤).

وبعد موت يشوع، دخل الشعب في حلقات من الخير والشر: "وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ... وتركوا الرب إله آبائهم ... وساروا وراء آلهة أخرى" (قض ٢: ١١، ١٢). وحينما كان غضب الرب يشتعل ضد شعبه بسبب خطاياهم كانوا يسقطون تحت سيطرة الأمم التي تحيط بهم، وكان بنو إسرائيل يصرخون إلى الرب، فيرسل لهم قاضياً يخلصهم. ثم وبعد فترة قصيرة كان الشعب يعيد الحلقة المفرغة. ويخبرنا سفر القضاة بالعديد من هذه الحلقات. لقد كان من الصعب على بني إسرائيل أن يتعلموا أن الله قدوس وبار وهو يريدهم أن يسلكوا في طاعته دائماً.

القضاة والملوك

ينتهي سفر القضاة بملاحظة هامة: "في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حسن في عينيه" (قض٢١: ٢٥). وقد كان بنو إسرائيل بلا ملك،

بخلاف الأمم التي تحيط بهم. وكان من المفترض أن تكون السلطة في إسرائيل سلطة دينية. إذ يملك الله من خلال كلمته، وعن طريق القضاة. إلا أن الشعب رفض أن يصغي، وأن يطيع، بل أنهم بدلاً من ذلك عملوا ما حسن في أعينهم.

وعندما شاخ صموئيل، آخر القضاة، عين ولديه كقضاة "وكان اسم ابنه البكر يوئيل، واسم الثاني أبيا. كانا قاضيين في بئر سبع. ولم يسلك ابناه في طريقه بل مالا وراء المكسب، وأخذا رشوة وعوجا القضاء" (١صم ٨: ١-٣).

وقد اضطرب شيوخ إسرائيل من جراء فساد ابني صموئيل، وطالبوه بإقامة ملك عليهم قائلين: "فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب" (١صم ٨: ٥). فساء هذا الأمر في عيني صموئيل. إلا أن الله أخبره أن طلبهم لملك نابع عن رفضهم له (لله). وقد حذر صموئيل الشعب من خطورة أن يكون لهم ملك، إلا أنهم رفضوا أن يسمعوا له. وصمموا على أن يُقِيم لهم ملكاً. وبدلاً من أن يأتي الملوك بالعدالة والبر للأمة، فإنهم غالباً ما تسببوا في رفض الشعب لله، والسقوط في الخطية.

وكان شاول هو أول ملوك إسرائيل (١صم ٩: ١٧،١٦). وقد تكلم صموئيل إلى الشعب عن رغبتهم في ملك. وذكَّرهم بأنهم هم الذين أرادوا ملكاً ليملك عليهم "ولما رأيتم ناحاش ملك بني عمون آتياً عليكم قلتم لي: لا بل يملك علينا ملك. والرب إلهكم ملككم. فالآن هوذا الملك الذي اخترتموه، الذي طلبتموه، وهوذا قد جعل الرب عليكم ملكاً" (١صم ١٢: ١٢، ١٣). ثم أخبرهم قائلاً: "إن اتقيتم الرب وعبدتموه وسمعتم صوته ولم تعصوا قول الرب، وكنتم أنتم والملك أيضا الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم. وإن لم تسمعوا صوت الرب بل عصيتم قول الرب تكن يد الرب عليكم كما على آبائكم ..." (١صم ١٢: ١٤، ١٥).

فماذا فعل ملكهم؟ على الرغم من أن اختيار شاول تم من خلال الله، إلا أنه كان لديه نقاط ضعف. وكان هذا واضحاً عندما اختار شاول ثلاثة آلاف رجلٍ ليحارب

الفلسطينيين فالتقوا بقوة كبيرة منهم وتمت هزيمتهم. ولم ينتظر شاول حتى يأتي صموئيل، فقام بتقديم المحرقة بنفسه. فقال له صموئيل: "أما الآن فمملكتك لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه، وأمره الرب أن يترأس على شعبه. لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب" (١صم ١٣: ١٤). غير أن شاول لم يكف عن حماقته، فارتكب خطأ آخر. حيث سعى لأن يقتل ابنه يوناثان بسبب أنه أكل، بغير علم، بعد أن كان أبوه قد أمر رجاله أن يمتنعوا عن الطعام أثناء المعركة (١صم ١٤: ٢٤، ٢٧، ٢٩). كذلك فقد أظهر شاول طاعة غير كاملة بعدم القضاء على كل عماليق. وبسبب هذا العصيان والعناد، ورفض كلمة الرب، رفض الرب شاول من المُلك. "لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك!" (١صم ١٥: ٢٣). وتبين تلك التجارب أن وجود ملك لم يحل مشاكل بني إسرائيل.

أما داود، ثاني ملوك بني إسرائيل، فقد كان مكرساً لله، وسلك في طرقه، إلا أنه لم يكن بلا خطية. وقد استخدم الله داود لتوحيد أسباط إسرائيل الاثني عشر في مملكة واحدة قوية. وأصبح داود هو الشخصية الرئيسية في تاريخ العهد القديم. وقد كافأ الله خدمة داود بوعده أنه سيُثبت بيته إلى الأبد. وكما استخدم الله إبراهيم لإيجاد الأمة الميسانية، كذلك استخدم داود ليبارك العالم بكونه رأس العائلة الميسانية. وهكذا فإن خطة الله كانت تقضي بإيجاد ملك واحد عظيم، يأتي من نسل داود لفداء البشر، وهذه الخطة بدأت تنكشف تدريجياً.

أما العصر الذهبي لإسرائيل فكان في أيام سليمان، ابن داود، وخليفته. ولم يستمر هذا العصر الذهبي طويلاً. فبعد مئة وعشرين عاماً من قيام المملكة، انقسمت إلى مملكتين. وقد جاء هذا الانقسام نتيجة ارتداد سليمان عن عبادة الله، حيث بنى سليمان مرتفعات لآلهة زوجاته الأجنبيات الكثيرات. ونتيجة لهذا الانقسام تكونت المملكة

الشمالية من عشرة أسباط، وسميت إسرائيل؛ أما المملكة الجنوبية فتكونت من سبطين وسميت مملكة يهوذا.

ابتعدت المملكة الشمالية عن الله وسقطت في براثن الوثنية. ولم يحث أي ملك من ملوكها الشعب على العودة إلى الله. وقد حذر الله الشعب عن طريق الأنبياء ليرجعوا عن طرقهـــم الشريرة، وأن يحفظوا وصاياه (٢مل ١٧: ١٤). ولذلك، وبعد مرور مائتي سنة من الانقسام، سمح الله لأشور أن تهزم المملكة الشمالية. وقد سُبيت تلك الأسباط العشرة، ولم ترجع مرة أخرى في صورتها الأصلية كشعب واحد.

أما يهوذا، المملكة الجنوبية، فقد أنقذها الله من الدمار الآشوري باستماعها لرسالة إشعياء النبي (٢مل ١٩). إذ حمى الله أورشليم من أجل وعده لداود. وفي ذلك الوقت تنبأ إشعياء:

"هوذا تأتي أيام يحمل فيها كل ما في بيتك وما ذخره آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل. لا يترك شيء، يقول الرب" (٢مل ٢٠: ١٧). ودخلت المملكة الجنوبية (يهوذا) في سلسلة متوالية من عبادة الأصنام والإصلاح. وأخيراً وصل شعب يهوذا إلى نقطة اللاعودة. فأخبر إرميا مملكة يهوذا أنها أكثر شراً من إسرائيل (المملكة الشمالية). إلا أن شعب يهوذا لم يدركوا أهمية مثال إسرائيل، فسبتهم بابل كما تنبأ إشعياء.

وبعد سبعين عاماً في السبي، هزمت مملكة فارس بابل، وعاد اليهود إلي فلسطين. وكان السبي قد شفاهم من الوثنية. وبعد العودة قرأ عزرا الشريعة على مسامع الشعب، وبمساعدة اللاويين أفهموا الشعب الشريعة "ويشوع وباني وشربيا ويامين وعقوب وشبتاي وهوديا ومعسيا وقليطا وعزريا ويوزاباد وحنان وفلايا واللاويون أفهموا الشعب الشريعة والشعب في أماكنهم" (نح ٨: ٧). وقد سبب هذا انتعاشاً عظيماً لبقية المؤمنين. "وانفصل نسل إسرائيل من جميع بني الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم" (نح ٩: ٢؛ انظر الأصحاحين ٨، ٩).

الأنبياء والرسالة المسيانية

عبر تاريخ إسرائيل أتى الأنبياء بالتفسيرات الإلهية لما كان يحدث، كما أتوا بالتأكيدات على أن فشل الشعب لم يلغ خطة الفداء التي أعدها الله. فربما يكون سقوط الشعب قد أبطأ فقط من خطة الله ولكنه لم يلغها، فإنها كانت ستتم حتماً في ملء الزمان.

ولكن الله لم يتخل عن شعبه. فأرسل لهم ستة عشر نبياً كتبوا سبعة عشر سفراً من أسفار العهد القديم من إشعياء إلى ملاخي. وبدأت تلك الفترة النبوية في أيام سليمـــان، عندما حدث ارتداد الأسباط العشرة. وجاءت أعظم فترة عمل نبوي قبل هزيمة يهوذا مباشرة، عندما استولى نبوخذ نصر ملك بابل على أورشليم. وفي أثناء السبي (٦٠٦-٥٨٦ ق.م) كان هناك ثلاثة عشر نبياً، وثلاثة أنبياء في فترة مابعد السبي (فترة العودة) (٥٣٦-٤٤٤ ق.م).

وبالإضافة إلي النبوات بشأن القضاء على إسرائيل، حيث كان لدى الأنبياء الكثير ليقولوه بشأن وثنية إسرائيل، والفساد السياسي، والأخلاقي. فقد تنبأوا أيضاً بشأن نسل المرأة الموعود به في تكوين ٣: ١٥، على الرغم من أنهم لم يفهموا كل تفاصيل خطة الله للفداء. "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١بط ١: ١٠، ١١).

وقد كتب إشعياء، الذي تنبأ عندما دُمرت المملكة الشمالية على يد أشور، أول وأكبر الكتب النبوية. وتحوي نبوته بعض المقاطع الواضحة عن المسيا في العهد القديم. "قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه" (يو ١٢: ٤١). وبعض نبوات إشعياء بخصوص المسيح هي:

"ولكن يُعطِيكم السيد نفسه آية: ها العَذرَاء تحبل وتَلد ابناً وَتَدعو اسمه عمَّانوئِيل". (إش٧: ١٤)، والذي تفسيره، الله معنا (مت ١: ٢٣).

"ولكن ... عبر الأردن جليل الأمم. الشـــعب السالك في الظلـــمة أبصر نوراً عظيماً. الجالســـون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" يشار إلى.إش ٩: ١، ٢ في مت ٤: ١٥، ١٦–وهذه نبوة عن خدمة المسيح للأمم.

"لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش ٩: ٦).

"صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيـــلاً لإلهـــنا". (إش ٤٠: ٣)–والتي تصف النذير(يوحنا المعمدان)؛ انظر (مت ٣: ٣).

"محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي؟ وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش. أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" (إش ٥٣: ٣–١٢).

"فتـــرى الأمم برك وكل الملـــوك مجدك وتسمين باســـم جديد يعينه فم الرب" (إش ٦٢: ٢).

"وتخلفون اسمكم لعنة لمختاري فيميتك السـيد الرب ويسمي عبيده اسما آخر" (إش ٦٥: ١٥) – فسيدعى شعب الله باسم جديد.

وبعد مائة عام من مجيء إشعياء جاء إرميا. وتنبأ ليهوذا قبل أن تسقط في يد بابل. وبعد سقوطها، جاء إرميا برجاء عهد جديد للشعب سيضع شريعة الله في قلوبهم.

"ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً". (إر ٣١: ٣١-٣٤)؛ انظر (عب ٨: ٨-١٢)

وبعض النبوات الأخرى عن المسيح هي:

"ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى". (يوئيل ٢: ٢٨)-"وقد حدث هذا الملء في يوم الخمسين"؛ انظر (أع ٢).

"أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألـوف يهوذا فمنك يخـرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل". (مي ٥: ٢) – وهي نبوءة عن مكان ميلاد المسيا؛ انظر (مت ٢).

"لأني هئنذا آتي بعبدي [الغـصن] ... وأزيل إثم تـلك الأرض في يـوم واحد" (زك ٣: ٨، ٩)

"ابتهجي جدا يا ابنة صهيـون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان". (زك ٩:٩)؛ انظر (يو ١٢: ١٥).

وهذه النبوات مع غيرها من النبـــوات (الثلاثون من الفضة، زك ١١: ١٢ – انظر مت ٢٧: ٣؛ الراعي المضروب زك ١٣: ٧؛ قارن مت ٢٦: ٣١؛ مر ١٤: ٢٧)، تعطي تفاصيل عن حياة المسيح والتي تحققت في مجيئه الأول.

أما ملاخي آخر أسفار العهد القديم، فيصف الإعداد الأخير للمسيا. "هئنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به. هوذا يأتي قال رب الجنود" (ملا ٣: ١). "هئنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم. لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن" (ملا ٤: ٥، ٦). وقد تحققت نبـــوة إيليا هذه في خدمة يوحـــنا المعمدان. (انظر مت ٣؛ ١٧: ١١-١٣).

وبعد أن أُعطي الوعد، وخطة مجيء المسيا، لم يـــتم سماع أي صوت نبوي لمدة أربعمائة عام. وكانت تلك الفترة لدراسة تفاصيل الكلمة المكتوبة بخصوص هذه الخطة. ووجد احترام عظيم للكتب المقدس بين اليهود في ذلك الوقت. أما المجمع اليهودي، والذي دخل حيز الأهمية أثناء السبي البابلي، فأصبح مركزاً هاماً للعبادة في يوم السبت، وكذلك مكاناً للاجتماع. وتبين الأناجيل أن العديد من المجامع كانت توجد في فلسطين، كما يوضح سفر الأعمال أن تلك المجامع كانت توجد في عدة أجزاء من العالم الروماني. وهنا، في المجمع كانت تتم قراءة الكتب المقدسة، ومناقشتها. وكان قادة تلك المجامع، وشيوخها، يمارسون التعليم والتهذيب ويراقبون أخلاقيات الشعب.

وخلال فترة تلك الأربعمائة سنة، تشتت اليهود في أنحاء العالم المعروف وقتها. وقد هيأهم هذا لتنفيذ مهمتهم بالإعلان عن رجاء إسرائيل.

في ملء الزمان

وأخيراً، "لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني" (غلا ٤: ٤، ٥). فقد تحققت خطة الفداء عندما كانت كل الظروف مواتية لذلك – أي عندما كانت الظروف السياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والدينية جميعاً مناسبة. فقد كان الوقت ملائماً لنشر الأخبار السارة عن خطة الله التي أعدها لخلاص الإنسان الهالك من خطيته بسرعة. وكانت بعض الظروف التي تكاتفت معاً لتحقيق الوعد في "ملء الزمان":

١. سياسياً، حيث كان العالم موحداً تحت سلطة الحكومة الرومانية. وكانت تلك الفترة فترة سلم، وعندها تم فتح الحدود الوطنية للسماح للأخبار السارة أن تنتقل بحـــــُرية. ولم يكن الشعب خائفاً من اندلاع الحرب، وكان لديهم وقت للاستماع للأخبار السارة عن فداء الله. كذلك كان لدى الإمبراطورية الرومانية طرق جيدة، مما جعل من الممكن للمبشرين الأوائل أن يتنقلوا بحرية. وكذلك تحطم حاجز اللغة. حيث كان معظم الناس في أرجاء الإمبراطورية يتحدثون لغتين، بالإضافة إلى اليونانية التي كانت لغة التجارة الشائعة. وقد سهل هذا قراءة أسفار العهد الجديد في جميع أنحاء الإمبراطورية. واستطاع المبشرون أن يخبروا بالقصة في كل مكان عالمين أن الناس باستطاعتهم أن يفهموا لغتهم.

٢. اقتصادياً، لم يكن العالم يتمتع بالرخاء الاقتصادي. إذ كان الفقر أمراً شائعاً. وكان عدد العبيد في الإمبراطورية الرومانية يقارب ثُلثي عدد السكان. وقد تضافرت تلك العوامل معاً لتجعل الحياة كئيبة. وعلى النقيض من هذا فقد ظهرت الأخبار السارة كنورٍ لامع، وكان الكثيرون مستعدين للإصغاء. ودائماً ما يتحول البشر بسهولة إلى الدين الجديد في أوقات الكساد الاقتصادي أكثر منها في أوقات الرخاء.

٣. أخلاقياً، كان الناس في حالة من الانحطاط الأخلاقي. ويصف الأصحاح الأول من رسالة رومية الأوضاع في تلك الأيام. وقد أدى هذا الفساد الأخلاقي إلى دفع الناس للبحث عن بديل آخر أفضل أخلاقياً.

٤. دينياً، لم تستطع الآلهة والأصنام القديمة التي صنعها الناس أن تسدد الاحتياج الداخلي للإنسان بأن يكون في علاقة جيدة مع خالقه. وكانت أديان تلك الحقبة تتعرض للرفض. حيث كانت عبادة القيصر إجبارية على الكثيرين، في حين صارت الآلهة المصنوعة بالأيدي غير مرضية. وعلى المستوى الروحي والأخلاقي كان هناك فراغ متزايد سعى هؤلاء الناس لملئه.

وباختصار، فإن الحالة السياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والدينية تضافرت معاً لتجعل الأزمنة ملائمة لإعلان خطة الله للفداء. وانتشرت الأخبار السارة عن مجيء ابن الله لخلاص الإنسان من خطيته بسرعة.

الفصل الثالث

ظهور الفادي

ميلاد الفادي

"ولكن لما جاء ملء الزمان"، أرسل الله ابنه إلى العالم لكي يفدي الإنسان الساقط (غلا ٤: ٤). وحدثت أول خطوة "في أيام هيرودس، ملك اليهودية" (لو ١: ٥)، وتضمنت رجلاً كاهناً اسمه زكريا وزوجته إليصابات. "كانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم." (الآية ٦). لم يكن لديهما أطفال، وكان أملهما في الإنجاب يتضاءل حيث أنهما أصبحا متقدمين في السن.

كان من المألوف إجراء قرعة لتحديد من هو الكاهن الذي "يدخل إلى هيكل الرب ويبخر" (لو ١: ٩). وبينما كان زكريا يخدم في الهيكل، وقعت عليه القرعة لكي يقوم بهذه المهمة. وقد كان الكاهن يتمتع بهذه الميزة مرة واحدة في حياته. وأثناء هذه الخدمة ظهر الملاك جبرائيل لزكريا وقال له إنه حتى رغم كونه هو وزوجته قد تقدما في العمر، فإنهما سيرزقان بطفل. كما أخبره أنه سوف يدعو ابنه يوحنا. وهو "يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً" (الآية ١٥-١٧). لقد تنبأ سفر إشعياء بخدمة يوحنا حين قال: "ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدامك. صوت صارخ في البرية اعدّوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة". (مر ١: ٢، ٣، مقتبسة من إش ٤٠: ٣؛ قارن مت ١١: ١٠؛ لو ٧: ٢٧).

وبعد ستة أشهر من حمل إليصابات، ظهر الملاك جبرائيل مرة أخرى:

"إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست اعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها.الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٢٧-٣٥).

كذلك ظهر الملاك ليوسف وشرح له ما الذي سوف يحدث: "يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (مت ١: ٢٠، ٢١).

لقد جاءت نبوءات عن هذه الأحداث على لسان "النبي القائل. هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (مت ١: ٢٢، ٢٣؛ مقتبسة من إش ٧: ١٤). كان يسوع هو نسل المرأة (تك ٣: ١٥) وليس نسل الرجل. لقد كان الميلاد المعجزي ليسوع هو الطريقة التي أختارها الله لكي يحضر ابنه، القدوس الذي سيخلص شعبه من خطاياهم، إلى العالم. وهكذا فقد جاء حمل العذراء مريم بواسطة الروح القدس ليجمع في شخص واحد الطبيعة الإلهية لله والطبيعة البشرية الخالية من الخطية (يو ١: ١، ١٤). أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية (رو ٨: ٣)، "آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس" (في ٢: ٧). "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما" (عب ٢: ١٤). عندما لبس يسوع جسداً بشرياً وطبيعة بشرية، لم يشترك في الخطية. إذ كان بلا خطية (عب ٤: ١٥؛ ١بط ٢: ٢٢؛

٢كو ٥: ٢١). لاحظ أيضاً أن مريم ويوسف كانا من نسل داود (مت ١: ١٦؛ لو ٣: ٢٣، ٣١)، وداود هو الشخص الذي تنبأ الأنبياء أن المسيا سوف يأتي من نسله.

"ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك" (مت ٢: ١). لقد تنبأ ميخا النبي أن ميلاد يسوع سوف يكون في بيت لحم (مي ٥: ٢). في ذلك الوقت أصدر أغسطس قيصر، الإمبراطور الروماني، أمراً إمبراطورياً يقضي بأن على كل شخص أن يعود إلى مدينته الأصلية لكي يسجل نفسه فيها من أجل الضرائب. وكان يوسف ومريم، عائلة يسوع، يعيشان في الناصرة، فسافرا إلى "مدينة داود، التي تدعى بيت لحم" (لو ٢: ١-٧)، حيث أنهما كانا من بيت وذرية داود.

ورغم كونه ابن الله والجالس على عرش السماء، إلا أن ميلاد يسوع كان متواضعاً. إذ لم يكن هناك غرفة واحدة يمكن استئجارها في أي فندق في بيت لحم عندما حان الوقت لكي تلد. المكان الوحيد الذي كان متاحاً هو إسطبل للحيوانات، وكان سريره هو المزود الذي تأكل فيه الماشية (لو ٢: ٧). ومع ذلك فإن ميلاده كان مميزاً وبارزاً. إذ ظهرت الملائكة لتزف خبر ميلاده إلى "رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" (الآية ٨). فجلبوا لهم البشارة "بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (الآية ١٠، ١١).

في الميلاد المتواضع ليسوع، تجنب خالق الكون استخدام بعض السمات الإلهية وذلك لكي يصير إنساناً حقاً. هذا الطفل، المولود في بيت لحم، كان هو الكلمة الذي به كان كل شيء. لقد جاء إلى العالم، لكن "لم يعرفه العالم. إلى خاصته [اليهود] جاء وخاصته لم تقبله ... والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ... مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١: ١٠، ١٤؛ انظر ٨: ٥٨؛ ١٧: ٥؛ وفي ٢: ٦-٨ للبرهان على وجوده المسبق).

يستخدم مصطلح "تجسد" ليصف أن ابن الله صار جسداً، أي إنساناً. وهذه واحدة من الحقائق الأكثر صعوبة في تعقلها في التاريخ. من الصعب أن نفهم كيف يمكن للسمات الإلهية والبشرية أن تتواجد معاً في ابن الله المتجسد. يعلمنا الكتاب المقدس أن الابن له طبيعة إلهية (إش ٩: ٦؛ إر ٣٣: ١٤-١٦؛ ملا ٣: ١، ٢؛ يو ١: ١-٣، ١٤؛ ٥: ١٧، ١٨؛ رو ٨: ٣، ٤؛ كو ١: ١٩؛ عب ١: ٢، ٣). كذلك يُعلِّم الكتاب المقدس أن ليسوع طبيعة بشرية (مت ٢٦: ٢٦، ٢٨، ٣٦؛ لو ٢٣: ٤٦؛ ٢٤: ٣٩؛ يو ١: ١٤؛ ٨: ٤٠؛ ١١: ٣٣؛ أع ٢: ٢٢؛ رو ٥: ١٥؛ ١كو ١٥: ٢١؛ ١تي ٢: ٥؛ ٣: ١٦؛ ١يو ٤: ٢).

كيف ولماذا تخلى ابن الله عن حقوقه الإلهية، يمكننا أن نفهم ذلك فقط من خلال رؤية قداسة الله ومحبته في تجاوبها مع خطية الإنسان. عندها فقط يمكننا أن نبدأ في تقدير قيمة آلام يسوع الفدائية لأجل الإنسان.

لقد كان التجسد أمراً ضرورياً في خطة الله لأجل فداء الإنسان من الخطية. لم يكن الهدف أبداً من وراء الشريعة أن تُخلِّص الإنسان. بل كان غرضها أن تظهر للبشر أنهم خطاة. ولكن الإله وحده-الإنسان المتجسد يمكنه أن يفدي الإنسان بأن يقدم نفسه ذبيحة عنا. "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن" (رو ٨: ٣، ٤). لقد جاء ابن الله "ليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٨).

وبعد ميلاد يسوع، الفادي، بثمانية أيام تم ختانه بحسب شريعة موسى وكنتيجة لبشريته. لقد لبس ابن الله جسداً عندما وُلِدَ من امرأة. وحيث أنه عاش تحت الناموس وجاء ليكمل كل بر، فإن ختانه كان الخطوة الأولى في مسيرة حياته كلها في طاعة الشريعة. وهذا أيضاً ساعد في تعريفه على الوعد الذي قطعه الله مع إبراهيم "يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي" (تك ٢٢: ١٨).

كانت الشريعة تتطلب أن يتم تكريس كل ابن بكر للرب. فإذا جاء الطفل البكر ذكراً، كان يجب أن يتم تقديمه للرب. "كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب. ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب". لذلك، جاء يوسف ومريم ومعهما الطفل يسوع إلى الهيكل في أورشليم لكي يُقدم إلى الرب (لو ٢: ٢٣، ٢٤؛ قارن خر ١٣: ٢، ١٣؛ عد ١٨: ١٥، ١٦).

كان سمعان الشيخ رجلاً باراً وتقياً، انتظر طويلاً لكي يرى تعزية إسرائيل. وقد أعلن له الروح القدس أنه لن يموت قبل أن يرى المسيح. وعندما جاء الطفل المسيح إلى الهيكل سرعان ما تعرف عليه سمعان: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٢٩-٣٢).

وكانت هناك أيضاً نبية متقدمة في الأيام اسمها حنة، وكانت أرملة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً، وهي أيضاً عرفت يسوع وأدركت أنه المسيح. "فهي في تلك الساعة وفقت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم" (لو ٢: ٣٦-٣٨).

أما يوسف، فلأنه تلقى تحذيراً من ملاك الرب بخصوص الشر الذي يكنه هيرودس تجاه الطفل يسوع، هرب إلى مصر مع عائلته. وهذا "لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني" (مت ٢: ١٣-١٥؛ مقتبسة من هو ١١: ١). وعندما عاد يوسف ومريم والصبي إلى أرض إسرائيل بعد موت هيرودس، وجدوا أن أرخيلاوس ابن هيرودس يملك على اليهودية. فخافت الأسرة الصغيرة من أرخيلاوس خاصة مع تحذير الله لهم، لذا فقد ارتحلوا إلى الجليل، حيث سكنوا في مدينة الناصرة. كما قال الأنبياء عنه: "إنه يدعى ناصرياً" (الآية ٢٣).

ليس لدينا سوى القليل من المعلومات عن الحياة المبكرة ليسوع. فالبشير لوقا يخبرنا أن يسوع "كان ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه" (لو ٢: ٤٠). ولأن يسوع نشأ في أسرة فقيرة، فلعله لم يحصل على أي تعليم منتظم، بل اقتصر الأمر على التدريب من والديه كما كانت تنص الشريعة وكذلك بعض الوصايا التي تعلمها في المجمع. لكنه درس الكتب المقدس بنفسه، وكان ينمو ويتدرب بشكل واسع. وعندما بلغ من العمر اثني عشر عاماً ذهب مع عائلته إلى أورشليم، وتركه والداه وحده دون قصد ورجعا (إذ ظنا أنه مع أقاربه)، وكان يسوع يملك حكمة عظيمة. فعندما عاد والداه "وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته" (لو ٢: ٤٦، ٤٧). وعندما سألاه عن سبب بقائه ورائهم، قال لهم: "لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي" (الآية ٤٩). ففي هذا السن المبكر، كان يدرك جيداً مهمته الإلهية.

يوحنا المعمدان يعد الطريق

بينما كان يسوع ينمو في العقل والحكمة والجسد، كان يوحنا المعمدان، الذي جاء ميلاده أيضاً ببشارة من الملاك جبرائيل، يستعد هو الآخر لخدمته. فقد كان يوحنا "ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل" (لو ١: ٨٠). لم يكن يوحنا ينمو جسدياً فقط، لكنه كان ينمو كذلك روحياً. إذ عاش في البرية، مبتعداً عن الخلافات الموجودة بين الناس، وهناك تلقى كلمة الله. لم يحصل يوحنا على التعليم التقليدي للكهنة. ومع نهاية هذا الإعداد، ربما عند عمر الثلاثين، "كانت كلمة الله على يوحنا ... فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن، يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا" (لو ٣: ٢-٤). قال يسوع لمن يتعمدون إن يوحنا المعمدان هو إيليا الذي تكلم عنه النبي ملاخي (ملا ٣: ١؛ ٤: ٥، ٦؛ قارن مت ١١: ١٣-١٥؛ لو ١: ١٧).

وتكلم يوحنا كما تنبأ النبي إشعياء: "صوت صـــارخ في البرية أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة" (مت ٣: ٣). وتجاوب الكثيرون مع رسالة يوحنا، معترفين بخطاياهم، واعتمدوا منه (الآية ٦).

كان هناك الكثير من قادة الطوائف الدينية اليهودية، من الفريسيين والصدوقيين، يأتون لكي يعتمدوا أيضاً. وهذا أدهش يوحنا حيث أنه كان يعلم نظرتهم المتشامخة لأنفسهم وكذلك آراءهم المغرورة التي ترى أن كل ما يفعلونه على ما يرام طالما أن باستطاعتهم أن يقولوا: "لنا إبراهيم أباً" (مت ٣: ٩). لكن يوحنا واجههم، قائلاً: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟" (الآية ٧). وحذرهم من ألا يكتفوا بأن يأتوا لكي يعتمدوا لكن أن يتوبوا أيضاً كما فعل الآخرون. وهذه التوبة يجب أن تكون أكثر من مجرد كلمات: فعليهم أن يصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ... فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (مت ٣: ٨، ١٠؛ قارن غش ٤٠: ٣؛ مر ١: ٣؛ لو ٣: ٤-٦؛ يو ١: ٢٣).

لم تكن خدمة يوحنا هدفاً في حد ذاتها. فقد كان يعلم أنه يعد الطريق لمن سيأتي بعده: "أنا أعمدكم بماء التوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس والنار" (مت ٣: ١١).

يوحنا يعمد يسوع

بينما كان يوحنا يعمد ويعظ برسالته، غادر يسوع الجليل وذهب إليه لكي يعتمد. "لكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ" (مت ٣: ١٤). شعر يوحنا بعدم الاستحقاق؛ فهو من يحتاج أن يعمده يسوع. لكن يسوع أجابه: "اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (الآية ١٥). لقد أراد يوحنا أن يتمم كل الوصايا التي وضعها الله لبني إسرائيل، لذلك قام بتعميد يسوع. وفي الحال "إذا السموات قد انفتحت له فرأى [يوحنا] روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه [يسوع] وصوت من السموات قائلاً

هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (الآية ١٦، ١٧؛ قارن يو ١: ٢٩-٣٤). كان هذا المشهد، الذي نزل فيه الروح القدس وصوت من السماء في حضور جموع كثيرة، شهادة تعلن أن خدمة يسوع على وشك البداية. وعقب ذلك "نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). لقد أبصر يوحنا بصورة جلية عمل المسيح باعتباره المُخَلِّص، الذي سيرفع خطايا العالم. أدرك يوحنا أن مهمته التبشيرية سرعان ما ستكتمل وأنه سوف يتناقص بينما تتزايد خدمة يسوع. قال يوحنا: "ينبغي أن ذاك يزيد وأنا أنقص" (يو ٣: ٣٠). لقد أدرك يوحنا أن يسوع "يأتي من فوق [و] هو فوق الجميع ... لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله ... الآب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو ٣: ٣١، ٣٤-٣٦).

تجربة يسوع

بعد معمودية يسوع، أصبح الاتساع الكامل لخدمته ظاهراً وجلياً. وسرعان ما واجه قرارات مصيرية تتعلق بحياته. "وللوقت أخرجه الروح إلى البرية" (مر ١: ١٢)، حيث قضى أربعين يوماً وحده يصلي ويتأمل ويصوم. وخلال تلك الفترة واجه يسوع تجربة من الشيطان (مت ٤: ١-١١؛ مر ١: ١٢، ١٣؛ لو ٤: ١-١٣).

بعد أن صام لمدة أربعين يوماً، شعر يسوع بالجوع. فجاء إليه المجرب وبدأ بنفس المدخل الذي استخدمه مع آدم وحواء في جنة عدن. إذ قال له الشيطان: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت ٣: ٤). عرف يسوع أنه ابن الله ولم يفقد الثقة في أبيه؛ لذا رفض أن يطيع طلب إبليس بأن يبرهن على بنويته للآب. لقد وثق يسوع في أبيه ولجأ إلى كلمته ليدافع عن نفسه في مواجهة التجربة الأولى لإبليس، قائلاً: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (الآية ٤).

كانت الكلمات التي نطق بها يسوع جزءاً من خطاب موسى إلى بني إسرائيل بخصوص أهمية حفظ وصايا الله. إذ قال موسى: "جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تحيوا" (تث ٨: ١). أخبرهم موسى أن عليهم أن يتذكروا رحلتهم التي استمرت أربعين عاماً في البرية وأنها كانت "لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا" (الآية ٢). لقد علمهم الله أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش "بالخبز وحده، بل بكل ما يخرج من فم الله يحيا الإنسان" (الآية ٣). وبالتالي فإن تحدي إبليس ليسوع كان أمراً خاطئاً. كان باستطاعة يسوع أن يحول الحجارة إلى خبز، ولكن كان الأكثر أهمية بالنسبة ليسوع أن يتبع كلمة أبيه. فيسوع لم يكن ليفقد الثقة في الله أو يمتحنه بأن يتجاهل جزءاً من كلمة الله. رفض يسوع طلب إبليس في هذه التجربة الأولى واجتاز أول تحد واجهه لكي يشبع أهم احتياج روحي لدى الإنسان (قارن لو ٤: ١-٤؛ تث ٨: ٣).

عرف الشيطان أن يسوع قبل كلمات الكتاب المقدس كحق إلهي، لذا ففي المرة التالية استخدم الكلمة المقدسة بشكل غير صحيح لكي يجربه. فأخذ يسوع إلى "المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك" (مت ٤: ٥-٦؛ قارن مز ٩١: ١١-١٢). وهكذا من جديد يطالب الشيطان بأن يبرهن يسوع أنه ابن الله، ومن جديد لا يذعن يسوع لطلب الشيطان. كان إبليس يعلم أن يسوع هو ابن الله. لأن اتباع يسوع لأي من رغبات إبليس سوف يكون خاطئاً، بما فيه طلبه أن يبرهن يسوع بالمزيد من الأدلة على ألوهيته. ولكي يحبط مطلب إبليس، لجأ يسوع إلى الكتب المقدسة مرة ثانية: "لا تجرب الرب إلهك". لقد كان الشيطان مضللاً في اقتباسه من الكتاب المقدس لأنه سعى لأن يركز على آية ويتجاهل الآيات الأخرى التي ستوضح معنى هذه الآية (مت ٤: ٧؛ قارن لو ٤: ٥-١٢).

بعد ذلك جعل الشيطان يسوع يرى "جميع ممالك العالم، ومجدها؛ وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي" (مت ٤: ٨-٩). تحدى الشيطان يسوع بأن يقدم له مُلكاً أرضياً إذا سجد له بدلاً من الله. غير أن يسوع رد عليه من الكتاب: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (الآية ١٠؛ قارن تث ٦: ١٣؛ ١أخ ٢١: ١). بعد أن تصدى يسوع لهذه التجارب، تركه الشيطان، كان ذلك مؤقتاً إلى أن يجد فرصة أفضل لمزيد من التجارب ليسوع (لو ٤: ١٣؛ قارن مت ٤: ١١).

لقد ساعدت تجربة يسوع على أن يفهم الإنسان أن التجربة في حد ذاتها ليست خطية، وأن للإنسان مُخلِّص "مُجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب ٤: ١٥). إذ كان يسوع مشابهاً "إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب ٢: ١٧، ١٨). وبتصديه للتجارب، بدأ يسوع سلسلة من الأحداث كانت نتيجتها سحق قوى الشر وتحقيق الفداء للإنسان.

يوصف الرب يسوع بأنه "حمل الله" (يو ١: ٢٩)، "حمل بلا عيب ولا دنس" (١بط ١: ١٩؛ قارن عب ٩: ١٤)، وهو الذي "لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر" (١بط ٢: ٢٢). وكلمة *حمل* تفيد ضمناً معنى الذبيحة في العقلية العبرانية. هذا "الحمل بلا عيب" كان الذبيحة التي ستقدم لأجل خطية الإنسان.

كان يسوع في أثناء حياته على الأرض يواجه تجارب الشيطان، الذي أراد أن يمنع الحمل من أن يصير الذبيحة التي ستُقدم عن خطايا العالم. غير أن يسوع لم يخضع لإبليس بل ظل بلا خطية بشكل مطلق من خلال إطاعته الكاملة لمشيئة الله. وفيما بعد تحدى أعداءه حين قال: "من منكم يبكتني على خطية؟" (يو ٨: ٤٦). ولم يستطع أحد منهم أن يشير لأي خطية في حياته. فقد أحضر الله يسوع إلى العالم إنساناً كاملاً، "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه"

(٢كو ٥: ٢١). وحيث أن يســـوع كان بلا خطية، فقد كان مؤهلاً ليكون وسيطاً بين الله والإنسان (١تي ٢: ٥).

خدمة يسوع

بعد التجربة ظل يسوع يحيا حياة الطاعة المطلقة لمشيئة الله، شاهداً "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" (يو ٨: ٢٩). كان يسوع الرجل الكامل، وآدم الأخير، الروح معطي الحياة (١كو ١٥: ٤٥؛ قارن يو ٥: ٢١؛ رو ٨: ٢؛ عب ٩: ١٤). وهكذا كان كماله يتحكم كلياً في سماته وسلوكه.

وبعد ذلك بوقت ما، قابل يسوع يوحنا ومعه اثنين من تلاميذه، ومن جديد شهد يوحنا عنه: "هوذا حمل الله! فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع" (يو ١: ٣٦، ٣٧). وكان أندروس أحد هذين التلميذين، فذهب ووجد " أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيا. الذي تفسيره المسيح" (الآية ٤١). كان يسوع هو المسيح الذي كان اليهود يتوقعون مجيئه (إش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٨). وأحضر أندروس أخاه سمعان إلى يسوع، الذي قال لسمعان إنه سيدعى صفا. والاسم "صفا" هو اسم آرامي، الذي تفسيره "بطرس"، وهذا الاسم الأخير يعني "الصخرة" (يو ١: ٤٠-٤٢). وفيما بعد سوف نرى أهمية هذا التغيير في الاسم.

بعد ذلك تقابل يسوع مع فيلبس في طريقه إلى الجليل " فقال له اتبعني" (يو ١: ٤٣). فتبعه فيلبس. وسرعان ما وجد فيلبس نثنائيل وقال له: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء: يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة" (الآية ٤٥). ولابد أن نثنائيل كان دارساً للكلمة، لأنه فهم ما يعنيه فيلبس. وبعد أن تقابل نثنائيل مع يسوع، أدرك أن يسوع هو "ابن الله! أنت ملك إسرائيل!" (الآية ٤٩).

ذهب يسوع مع أمه وتلاميذه إلى حفل زواج في قانا الجليل. وخلال حفل الزواج نفذت ما لديهم من الخمر. وحيث أن العذراء مريم كانت تعرف أن يسوع يمكنه أن يصنع المعجزات، فقد تحدثت معه عن هذا الموقف. فاستجاب لطلبتها بقوله: "ما لي ولك يا امرأة! لم تأت ساعتي بعد" (يو ٢: ٤). ولعل رد يسوع قد يبدو لنا غير لائق، غير أن رد يسوع كان ملائماً تماماً بحسب الثقافة اليهودية القديمة. إذ كان يسوع يعني بذلك كما لو أنه يقول: "ما الذي يمكنني أن أفعله تجاه نقص الخمر؟" وربما تضايق يسوع قليلاً نتيجة لهذا الموقف، لكنه مع ذلك تجاوب معه، وطلب أن يتم ملء ستة أجران حجرية بالماء، وهي كمية تعادل حوالي ٧٥ إلى ١١٥ لتراً. ثم طلب من الخدام أن يستقوا عينة من السائل ويقدموه إلى رئيس المتكأ الذي هو بمثابة المشرف على الحفل. وعندما ذاق المشرف العينة وجد أنها خمر جيدة. هذه المعجزة أظهرت مجده (الآية ١١)، وهذا جعل تلاميذه يؤمنون به. كانت تلك أول معجزة للرب يسوع، أول آية تشهد عن ألوهيته (قارن يو ٢٠: ٣٠، ٣١).

وعقب ذلك ذهب يسوع إلى أورشليم لحضور عيد الفصح. وهناك تعجب من أن الهيكل، الذي يفترض أنه مكرس لله، قد أصبح مكاناً يجمع الصيارفة والباعة الذين يبيعون الثيران والخراف والحمام. تحرك يسوع بدافع من غيرته المقدسة وغضبه لكي يطرد الحيوانات خارج ساحة الهيكل. وأمر يسوع قائلاً: " ارفعوا هذه من ههنا. لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة" (يو ٢: ١٦).

تساءل اليهود بأي سلطان يُطَهِر يسوع الهيكل وطلبوا منه آية أو معجزة. فأجاب بأن أنبأ عن حدث سوف يقع في المستقبل: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو ٢: ١٩). ورغم أن هذه الآية سوف تكون شديدة الإقناع لهم، إلا أن اليهود لم يفهموا معنى كلمات الرب يسوع. إذ أنهم لم يفكروا سوى في الهيكل المادي الذي احتاج بناؤه إلى أربعة وستين عاماً كاملة. و لم يدركوا أن يسوع كان يشير إلى جسده،

الذي سوف يقيمه في ثلاثة أيام بعد أن يضحي بحياته من أجل مصالحة الإنسان مع الله.

كان نيقوديموس، وهو أحد قادة اليهود، غالباً واحداً من هؤلاء الذين آمنوا بيسوع بسبب الآيات التي صنعها (يو ٢: ٢٣). لكن إيمان نيقوديموس كان ضعيفاً، لذا "جاء إلى يسوع ليلا وقال له: يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه" (يو ٣: ٢). تجاهل يسوع التحية المعتادة، وتكلم إلى نيقوديموس عن الخلاص. "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (الآية ٥) لا يمكن لأحد أن يرى (أو يفهم) ملكوت الله إلا إذا اختبر تغييراً في قلبه. كان من الصعب على نيقوديموس أن يفهم هذا. "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (الآية ٦). الميلاد الجديد، التجديد للإنسان الخاطئ، لم يكن عملية طبيعية بل أمراً روحياً. لقد ذكَّر الرب يسوع نيقوديموس أنه لا يندهش من الأمور الطبيعية التي لا يفهمها (على سبيل المثال، من أين تأتي الرياح أو إلى أين تذهب). هكذا الحال مع كل شخص يولد من الروح. فإن الميلاد الجديد سوف يكون أمراً حقيقاً تماماً كتأثير الرياح على حياة الشخص، حتى إذا لم يستطع أن يفهم كيف يحدث ذلك.

سأل نيقوديموس سؤالاً آخر: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" (يو ٣: ٩). فأجاب يسوع:

"أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا! الحق الحق أقول لك: إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء. وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا

ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٠-١٥).

وبعد ذلك يأتي ملخص للحق المركزي في الإنجيل:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو ٣: ١٦-٢١).

بعد أن تقابل الرب يسوع مع نيقوديموس، ذهب إلى اليهودية حيث استمر يعلم عن ملكوت الله. ثم ذهب يسوع إلى الجليل عن طريق السامرة. وأثناء رحلته توقف ليستريح عند بئر كان من المُعتقد أن النبي يعقوب قد حفرها قديماً. وبينما كان يسوع هناك، جاءت امرأة سامرية لتستقي ماءً. طلب يسوع منها أن تعطيه ليشرب. وهذا أدهش بعضاً من أتباعه لأن اليهود يحتقرون السامريين. لأن السامريين كانوا من أجناس مختلطة نتيجة لعمليات من التهجير القسري خلال القرن الثامن قبل الميلاد. حيث احتل الأشوريون مملكة إسرائيل الشمالية، وهؤلاء المهاجرون المختلطو الأنساب صاغوا ديانة توحيدية شبيهة بديانة اليهود.

وأثناء حديث المرأة السامرية مع الرب يسوع، أثارت قضية طالما أشاعت الكراهية بين اليهود والسامريين، إذ سألته: أين ينبغي أن يتم السجود لله، هل في جبل جرزيم أم في الهيكل؟ كان السامريون قد بنوا هيكلاً على جبل جرزيم حينما رفض اليهود قبول مساعدتهم في إعادة بناء الهيكل بعد أن عاد اليهود من السبي البابلي. فأجاب

يسوع: "تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ... الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو ٤: ٢١-٢٤). لقد أكد يسوع على أن العبادة بالروح وباتجاه قلبي حقيقي أهم من مكان السجود.

وبعد أن اجتاز في السامرة، "جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشـــارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٤، ١٥؛ انظر أيضاً مت ٤: ٢٣-٢٥). وسريعاً ما اجتذب يسوع الجماهير. حيث أن الناس "بهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (الآية ٢٢). لم يتّبع يسوع ممارسات الكتبة اليهود المعتادة بأن يذكر عدة سلطات لتدعيم أقواله. بدلاً من ذلك، فقد تكلم بالحق الذي يشهد عن قوته بنفسه؛ ولا يحتاج إلى أي سلطات لكي تدعمه.

وفي بداية خدمة يسوع في الجليل، عاد إلى مدينة "الناصرة، حيث كان قد تربى" (لو ٤: ١٦). وأثناء إقامته هناك حضر خدمة العبادة يوم السبت في المجمع فتقدم وخاطب الحاضرين.

"فدفع إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه: روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه" (لو ٤: ١٧-٢٠؛ قارن إش ٦١: ١).

وعندها أعلن يسوع: "إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم" (لو ٤: ٢١). وفي البداية شهد اليهود له، وكانوا "يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه"، ولكنهم تذكروا أنه ابن يوسف، لذا فقد رفضوه. فقال لهم: "الحق أقول لكم إنه ليس

نبي مقبولاً في وطنه" (الآية ٢٤). "فامتلأوا غضباً" من نحوه "فقاموا وأخرجوه خارج المدينة" (الآية ٢٨، ٢٩). وأخذوه ليطرحوه من على حافة الجبل ليقتلوه، لكنه رحل عنهم بطريقة معجزية و"جاز في وسطهم ومضى" (لو ٤: ٣٠). وبعد أن رفضه يهود الناصرة، غادر يسوع مدينتهم وذهب إلى كفرناحوم، والتي جعل منها مركزاً لخدمته طوال ما يقارب السنة والنصف.

ملكوت الله

تؤكد الأناجيل على دور الرب يسوع باعتباره المعلم والسيد (مت ٤: ٢٣؛ ٧: ٢٩؛ ٩: ٣٥؛ ١١: ١؛ ١٢: ٣٨؛ مر ٥: ٣٥؛ لو ١٨: ١٨؛ يو ١: ٣٨؛ ٣: ٢؛ ١٣: ١٣)، وكواعظ (مت ٣: ١٧، ٢٣؛ ٩: ٣٥؛ ١١: ١؛ مر ١: ١٤، ٣٨، ٣٩؛ لو ٤: ٤٤؛ ٨: ١)، كما تسجل الكثير من تعاليمه. والعديد من هذه التعاليم تسلط الضوء على خطة الفداء. ومن العبارات المحورية في خدمة الرب يسوع كانت تلك التي قال فيها: " قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥). (يستخدم كل من البشير مرقس ولوقا تعبير "ملكوت الله"، بينما يستخدم البشير متى تعبير "ملكوت السموات"، وربما يرجع ذلك لكونه يكتب إلى قراء من اليهود الذين كانوا يتحاشون النطق باسم الله).

لم يكن مفهوم الملكوت جديداً على سامعي يسوع. حيث اعتاد اليهود منذ زمن طويل على الإشارة إلى الله باعتبار أنه يمتلك السيادة على البشر والخليقة. وكان ذلك يتضمن في الماضي أيضاً سيادة الله على بني إسرائيل، غير أن السيادة السياسية لم تعد موجودة مع دمار أورشليم على يد البابليين. رغم ذلك ظلت فكرة الملكوت باقية مع اليهود. ولقرون طويلة كانوا يتطلعون لقيام مملكتهم من جديد التي من خلالها سوف يعود الله ليملك على شعبه. هذا التوقع جعل الكثير من اليهود يحصرون فكرهم في

الجانب السياسي فقط. ولم يستطع الكثير من اليهود أن ينسوا أن بلدهم كانت مملكة يسود الله عليها ويحكم شعبها من خلال ملوكهم. ومرت القرون منذ جاء البابليون وأخذوهم إلى السبي؛ إلا أن بعض اليهود آمنوا أن الحكم الروماني سوف ينهار وسوف تعود إسرائيل لتكون مملكة سياسية ذات سيادة.

إن ملكوت الله الذي له طابع روحي فيه يحكم الله في قلوب الذين يتبعون خطة الفداء التي جاء بها يسوع المسيح. لقد استخدم يسوع تعبير *الملكوت* كرمز للحكم الروحي لله على البشر في هذا الزمان. ولم يقدم يسوع أي تعريف للملكوت لكنه شرح ما الذي يشبه الملكوت من خلال الأمثال. فقد علَّم بأن ملكوت الله يشبه بذرة مزروعة يمكن أن تلقى بعيداً أو تخنقها الأعشاب، أو قد تنمو لتنضج وتنتج محصولاً وفيراً (مت ١٣: ٣-٩، ١٨-٣٠، ٣٦-٤٣؛ قارن مر ٤: ١-٢٠؛ لو ٨: ٤-١٥). إن ملكوت الله سوف يستمر في التواجد إلى جانب الشر وسوف يواجه المقاومة من الشرير أي الشيطان. كذا فإن ملكوت الله يشبه حبة خردل (مت ١٣: ٣١، ٣٢؛ قارن مر ٤: ٣٠-٣٢) ومثل خميرة تنمو من شيء صغير إلى شيء كبير وتعمل في كل أنحاء العالم (مت ١٣: ٣٣؛ قارن لو ١٣: ٢٠، ٢١). هذه الأمثال تظهر أن ملكوت الله سوف ينمو وينتشر في كل أنحاء العالم.

يشبه الملكـــوت كنزاً مخفياً في حقل (مت ١٣: ٤٤) ويشبه أيضاً لؤلؤة حسنة (الآية ٤٥)، التي عندما يعثر عليها الإنسان تستحق منه أن يبذل كل ما بوسعه لكي يحصل عليها. إن ملكوت الله يستحق أن نبذل كل جهدنا لكي ندخله. وهذا لا يعني أن دخول ملكوت الله يمكن استحقاقه بأعمال الناموس، بل أنه يعني أن على من يطلب ملكوت الله أن يتوب ويؤمن ويتبع الرب يسوع بكل قلبه. يشبه ملكوت الله شبكة صيد تجمع بداخلها السمك الجيد والسمك الرديء، ولكن في النهاية يتم الفصل بينهم، وتُطرَح الأسمال الرديئة بعيداً (مت ١٣: ٤٧-٥٠). وهكذا فإنه في نهاية الأيام سوف

ينفصل الأتباع الأتقياء للمسيح عن الأشرار. وبإيجاز، تظهر هذه الأمثال أن ملكوت الله ومملكة الشر سوف تتواجدان جنباً إلى جنب. ولكن في نهاية هذا الدهر، سوف يكون هناك فصل للخير عن الشر، وسوف يعيش أبناء الملك في ملكوت مجيد.

سوف يتأسس الملكوت الروحي على نعمة الله وعلى عمل الروح القدس، وهذا سيجعل من الممكن أن يتقدم الناس بصورة منفردة ويخضعون أنفسهم لله. وسوف يكون على الناس ألا يفكروا في أنفسهم كعظماء بل عليهم أن يرجعوا ويصيروا مثل الأطفال لكي يدخلوا هذا الملكوت. قال يسوع: " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ١٨: ٣). وهذا يتضمن أن على الأفراد أن يولدوا الولادة الجديدة (انظر يو ٣: ٣-٧)، فهذا ما يمنحهم علاقة جديدة مع الله. إن ملكوت الله يشير ببساطة إلى حكم الله الذي أُعيد تأسيسه في قلوب شعبه. سوف يعود الناس إلى علاقة مع الله تقارب تلك العلاقة التي كانت للإنسان مع الله قبل السقوط. وسيتوجب عليهم أن يتوبوا، أو يرجعوا عن عصيانهم ضد الله ويثقوا في الله ويطيعوه. ويجب على كل إنسان أن يتواضع مثل طفل (مت ١٨: ٤). إن الأطفال الصغار يظهرون تواضعهم من خلال ثقتهم واعتمادهم على الآخرين. في هذه الحالة فإن الشخص المتمرد يجب عليه أن يتواضع ويعتمد على يسوع وحده في تحقيق التغيير أو التحول الضروري. إن هذا "خبر سار" لمن يتوبون ويؤمنون. وتعبير "خبر سار" وهو ترجمة للتعبير اليوناني euaggelion، الذي عادة ما يتم ترجمته بكلمة "إنجيل".

إن ملكوت الله منفصل عن ومناقض لمملكة هذا العالم، التي تتكون من أتباع إبليس (مت ١٣: ٣٨؛ يو ٨: ٤٤) والتي يحكمها إبليس (أف ٢: ٢). هدف ملكوت الله هو الإطاحة بمملكة الظلمة بواسطة هزيمة سلطان إبليس على الإنسان (مت ١٢: ٢٢-٣٠؛ رو ١٣: ١٢) وبمنح الإنسان طبيعة جديدة من خلال الميلاد الثاني (يو ٣: ٣؛ أف ٤: ٢٢، ٢٣؛ كو ٣: ٩، ١٠؛ ١بط ١: ٢٣؛ ٢: ٢). وهذا الإنسان الجديد ليس

من العالم لكن الرب يسوع اختاره من العالم (يو ١٥: ١٩؛ ١٧: ١٤). لقد أعطاهم الآب ليسوع " من العالم" (يو ١٧: ٦). وأضاف يسوع شارحاً ذلك بأنهم " ليسوا من العالم" (الآية ١٦).

يحمل تعبير "ملكوت الله" شهادة أيضاً على الطبيعة الروحية للملكوت، التي منبتها ومصدرها في الله. وقد أجاب الرب يسوع على الفريسيين الذين سألوه عن ملكوته الآتي، قائلاً: "لا يأتي ملكوت الله بمراقبة. ولا يقولون: هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧: ٢٠، ٢١). لم يكن ملكوتاً مصمماً على نموذج مملكة إسرائيل، التي كان لها عادات طقسية، وموقف سياسي ... وغيره. فالكلمة اليونانية entos تُرجِمت إلى " داخلكم" أي " فيكم، أو في قلوبكم،" وأحياناً تترجم "بينكم، أو في وسطكم." يتطلب الدخول إلى هذا الملكوت الروحي أن يحدث تجديد أو ميلاد جديد في حياة الشخص. وبدونه لا يستطيع الإنسان غير المتجدد وغير المستنير روحياً أن يرى أو يدخل ملكوت الله (يو ٣: ٣، ٥).

إن مفهوم ملكوت الله، الذي فيه يأتي الإنسان ثانية إلى الخضوع لسلطان الله، يتضمن أن من ينتمون إلى هذا الملكوت يمتلكون منظومة جديدة من القيم الأخلاقية. وتعد الموعظة على الجبل (مت ٥-٧) مثالاً واضحاً لهذه المعايير الجديدة. هذه القيم الجديدة تتعامل مع علاقة الإنسان بإخوته من البشر (مت ٥: ٢١-٢٦)، ومع الزنا (الآية ٢٨)، ومع الطلاق (الآية ٣١، ٣٢)، ومع إلقاء القسم (الآية ٣٣-٣٧)، ومع مقاومة الشر (الآية ٣٨-٤٢)، ومع أعداء الإنسان (الآية ٤٣-٤٨)، ومع إعطاء الصدقة (مت ٦: ١-٤)، ومع الصلاة (الآية ٥-١٣)، ومع الغفران (الآية ١٤، ١٥)، ومع الصوم (الآية ١٦-١٨)، ومع تكديس الثروات الأرضية (الآية ١٩-٢١)، ومع الولاء (الآية ٢٤)، ومع القلق (الآية ٢٥-٣٤)، ومع الدينونة (مت ٧: ١-٥)، ومع طلبك من الآب السماوي أن يسدد احتياجاتك (الآية ٧-١٢).

وتختتم الموعظة بتذكير سامعيه قائلاً: "ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه" (مت ٧: ١٣، ١٤). كذلك يحذر يسوع أتباع من الأنبياء الكذبة الذين يأتون "بثياب الحملان" (مت ٧: ١٥ وما بعدها) وعليهم كذلك أن يحترزوا من أن:

"ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما". (مت ٧: ٢١-٢٧)

مما سبق يتضح أن الموعظة على الجبل تمثل منظومة جديدة من المعايير تختلف اختلافاً جذرياً عن الناموس وعن تعاليم الكتبة. تظهر الموعظة أن يسوع مهتم للغاية بالقضايا الأخلاقية. وأن تعاليمه أكثر عمقاً بكثير عن التشريعات اليهودية. "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ٥: ٢٠). وعلى الرجل الحكيم أن يسمع هذه الأقوال ويعمل بها، ولكن يجب ألا يكون ذلك بطريقة سطحية، كما يفعل الفريسيون، بل عليه أن يرى ويتبع المعنى العميق فيها أيضاً. والحكيم سوف ينتبه إلى تحذيرات يسوع بشأن عواقب عدم أتباعها. فإن عاقبة عدم أتباع هذه التعاليم خطيرة، إذ أنها تشبه من يبني بيته على الرمل فلا يستطيع أن يقوى أمام العاصفة.

التلمذة

أثناء خدمته على الأرض، كان يسوع يعلم الناس أن يتبعوه وأن يصيروا تلاميذ له. ومن قبلوا هذه الدعوة كان عليهم أن يحسبوا حساب النفقة. وعندما قال له رجل: "يا سيد أتبعك أينما تمضي" (لو ٩: ٥٧)، فإن يسوع ذكَّره بأن "للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار؛ وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (الآية ٥٨). إن تبعية يسوع أمر مكلف، لذا من الأفضل أن يحسب الإنسان تكاليف التبعية قبل أن يبدأ فيها.

في ذلك الوقت قَبِلَ رجل آخر دعوة يسوع أن يتبعه، لكن يبدو أنه كان لديه أمور منطقية عليه القيام بها أولاً: "يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي" (لو ٩: ٥٩). عندما يسمع الشخص الذي سوف يكون تلميذاً دعوته من الرب قائلاً "اتبعني" فلا ينبغي لأي شيء أن يعوق تبعيته–حتى لو أن هذا يعني أن نترك الموتى يدفنون موتاهم. "وقال آخر أيضاً: أتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولاً أن أودع الذين في بيتي" (الآية ٦١). ولكن كان على يسوع أن يذكر هذا الشخص أنه "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (الآية ٦٢). ومرة أخرى قال يسوع للشخص المزمع أن يكون تلميذاً أنه لا شيء يمكن أن يفصل بينه بين تبعيته للرب.

يمثل متى نوعية الاستجابة التي كان الرب يسوع يتطلع إليها. فهذا الجابي للضرائب كان يجلس عند مائدة الضرائب الخاصة به عندما قال له يسوع: "اتبعني. فقام وتبعه" (مت ٩: ٩). وقد انتقد الفريسيون يسوع لأنه دعا عشاراً لتبعيته. " لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟" (الآية ١١). فبالنسبة للفريسيين، كان متى خائناً لأنه باع نفسه للسلطة الرومانية وكان يعمل لصالحهم. أما يسوع فذكَّر هؤلاء القادة الدينيين: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (الآية ١٢–١٣). لقد تاب متى، وتغيرت حياته، فأصبح جديراً بالتلمذة.

عند ميلاد يسوع، سبحت الملائكة في السماء قائلة: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢: ١٤). إن حضور السلام يعتمد على تجاوب الإنسان تجاه الخبر السار. ربما تسبب الدعوة للتلمذة احتكاكاً بين من يتبعون يسوع وبين أفراد عائلتهم وأصدقائهم الذين لا يتبعونه. وقد ذكَّر يسوع تلاميذه قائلاً:

"لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها". (مت ١٠: ٣٤-٣٩)

بعد أن أخبر يسوع تلاميذه أنه يجب أن يتألم ويموت في أورشليم، قال لهم: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" (مت ١٦: ٢٤، ٢٥؛ قارن مر ٨: ٣٤-٩: ١؛ لو ٩: ٢٣-٢٧؛ ١٤: ٢٧؛ ١٧: ٣٣). وتعبير "ينكر نفسه" يعني يتبرأ من شخصيته ورغباته ويخضع نفسه بالكامل للرب. كتب بولس الرسول إلى أهل فيلبي أن يفتكروا بفكر المسيح عندما أخلى نفسه وتواضع، وصار مطيعاً حتى الموت، موت الصليب (في ٢: ٥-٨). ويرمز الصليب إلى الآلام-وإذا تطلب الأمر حتى الموت-التي يقبلها التلميذ حينما يتبع ربه. فالرب يسوع لن يكون وحده الذي يتألم؛ بل سيتألم تلاميذه أيضاً. كما يرمز الصليب أيضاً إلى الصلب، وهو مصطلح استخدمه بولس الرسول ليصف المسيحي: "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غلا ٥: ٢٤). فمن خسر الحياة الدنيوية سوف يعوض بحياة أبدية.

كتب لوقا عن حادثة فيها تحدث يسوع للجموع الذين كانوا يرغبون في أن يكونوا تلاميذ. وفي تعليقه على التلمذة، تحدث يسوع أولاً عن الحاجة إلى "بغضة" أعضاء الأسرة بل بغضة النفس: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٦؛ قارن ١٢: ٥١-٥٣). تلك كانت كلمات صعبة. والفكرة هنا أن على التلاميذ أن يتخلوا عن كل اهتماماتهم التي تعيق الخضوع الكلي والولاء الكامل للمسيح. ويمكننا أن نفهم هذه البغضة من خلال مقارنتها بالمحبة التي أمر بها الرب يسوع. فقد قال لتلاميذه: "أعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (مت ١٠: ٣٦، ٣٧). يجب على التلاميذ أن يحبوا الرب يسوع فوق كل شيء آخر. وهذا سوف ينتج عنه إخلاص تام وولاء مطلق للرب يسوع المسيح يسمو فوق كل العلاقات العائلية وفوق رغبات الإنسان. فلا شيء يمكن أن يقف في طريق تبعية المسيح. قال يسوع: "ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٧). بعد ذلك ذكر يسوع أن الشخص الذي ينوي بناء برج سوف يحسب أولاً تكاليف البناء ليتأكد أن باستطاعته أن يكمله، وأنه لا يوجد ملك يمكن أن يخرج للحرب دون أن يدرس في البداية مدى إمكانية أن ينتصر. "فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (الآية ٣٣). إن التلمذة والخلاص أمران شديدا الأهمية ويتطلبان التزاماً كاملاً في البداية ووضع كل شيء آخر في المرتبة الثانية طوال الحياة. إذ يجب أن يكون يسوع المسيح في المرتبة الأولى في حياة التلميذ.

وخشية أن يظن البعض أن التلمـــذة حمل ثقيل، قال الرب يسوع: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني؛ لأني وديع ومتواضع القلب: فتجدوا راحة لنفوســكم. لأن نيري هين وحملي خفيف"

(مت ١١: ٢٨-٣٠). كيف يمكن للتلمذة أن تكون سهلة؟ الحل يكمن في اختبار الولادة الجديدة. حيث تتغير الطبيعة الداخلية للتلميذ مما يجعله يشتاق أن يعمل مشيئة الله ومن ثم يجد البر والسلام والفرح (يو ١٤: ٢٧؛ ١٦: ٣٣؛ رو ١٤: ١٧؛ ١٥: ١٣؛ غلا ٥: ٢٢ ... وشواهد أخرى). إن التغيير الداخلي يزيل الأحمال، حتى لو أن التلميذ تألم من أجل المسيح (مت ١٠: ١٦-٢٥؛ لو ١٠: ٣؛ ٢١: ٥-١٩؛ رو ٨: ١٧؛ في ١: ٢٩، ٣٠؛ ٣: ١٠؛ ٢تي ٢: ١٢؛ ١بط ٤: ١٢-١٤؛ ٥: ١٠).

الطريق الوحيد

كانت دعوة الرب يسوع للتلمذة هي دعوة لتبعية الطريق الوحيد للفداء. قال يسوع:

"أنا هو خبز الحياة ... لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير ... فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إليَّ ... من يؤمن بي فله حياة أبدية. أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم". (يو ٦: ٣٥، ٤٠، ٤٥، ٤٧-٥١)

قال الرب يسوع: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو ٨: ١٢؛ قارن ٩: ٥؛ ١٢: ٣٥، ٣٦). يسوع هو الذي يحرر الإنسان من خطيته فلا يعود يسير في الظلمة بل في النور.

تحدث الرب يسوع إلى اليهود الذين آمنوا به قائلاً: "إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يو ٨: ٣١، ٣٢). وشرح لهم " إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (الآية ٣٤). و"العبد لا يبقى

في البيت إلى الأبد أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (الآية ٣٥-٣٦). أن تكون حراً فهذا يعني أن تتحرر من سلطان العواقب الأبدية للخطية. " إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (الآية ٥١).

من يبحثون عن الحياة الأبدية لابد أن يدخلوا من هذا الباب. لقد استخدم الرب يسوع هذا التشبيه ليصف غاية وجوده. "الحق الحق أقول لكم: إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف" (يو ١٠: ١، ٢). كانت حظيرة الأغنام محاطة بسور ولها باب للدخول إليها؛ وقد دخل يسوع حتى يكون للآخرين حياة. ثم أصبح هو الباب لكي يدخل منه الآخرون. لقد قال الرب يسوع: "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ... أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل. أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ... لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً" (يو ١٠: ٩-١١، ١٧؛ قارن الآية١٥). في الملكوت، يكون الرب يسوع هو الباب الوحيد طالما أنه هو من بذل حياته حتى يخلص التائبون.

عندما مات أحد الأصدقاء المقربين إليه، أقامه الرب يسوع وأعاده إلى الحياة. وأثناء هذه الحادثة أوضح يسوع قائلاً: "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو ١١: ٢٥، ٢٦). إن الرب يسوع هو مصدر الحياة والقيامة من الأموات. ولا يمكن للحياة ولا القيامة أن تتواجد بعيداً عنه. فالنصرة على الموت ممكنة فقط لمن يؤمنون به.

قال الرب يسوع بوضوح إن من يسمعه سوف يحصد عاقبة أبدية:

"وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في

اليوم الأخير. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم" (يو ١٢: ٤٧-٥٠).

كانت غاية الرب يسوع أن يُخلِّص الخطاة، ولكن إذا رفضه الخاطي، فلن يكون هناك سبيل آخر. وسوف يدان الخاطي بما رفضه-أي الكلمة التي حملها إليه الرب يسوع. إن الدينونة سوف تحدث على أساس سلطان الله. فالله منح الرب يسوع السلطان لغفران الخطايا، كما شهد له في بداية خدمته (مر ٢: ١٠؛ لو ٧: ٤٨).

من يؤمنون بالرب يســـوع ويفهمون المحبة التي له تجاههم سوف يحبونه. قال يسوع: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" (يو ١٤: ١٥). ووعد أنه سوف يرسل لهم معزياً، الروح القدس، ليرشدهم ويعلمهم. كما أوضح يسوع:

"الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي. قال له يهوذا ليس الإسخريوطي: يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع: إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني" (يو ١٤: ٢١-٢٤).

لقد توقع الرب يسوع ممن يحبونه أن يحفظون كلمته. ومن يؤمنون به ويحفظون كلمته سوف يأتون بثمار. "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام ... كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم" (يو ١٥: ١، ١١). إن ثمار الطاعة تنشأ من حياة المؤمن في المسيح وتجلب المجد لله والفرح للمسيح وللمؤمن.

أعماله القديرة

تسجل الأناجيل العديد من المواقف التي قام فيها الرب يسوع بأعمال قديرة. على

سبيل المثال، ذكر البشير متى عشر معجزات شفاء محددة ومثال لسلطانه على قوى الطبيعة في الأصحاح الثامن والتاسع من إنجيله. لقد شفى يسوع الرجل الأبرص (مت ٨: ٢-٤)، وشفى خادم قائد المئة (الآية ٥-١٣)، وشفى حماة بطرس من الحمى (الآية ١٤، ١٥)، وأخرج العديد من الشياطين (الآية ١٦)، وسكَّنَ العاصفة (الآية ٢٣-٢٧)، وشفى اثنين من الذين عليهم أرواح شر (الآية ٢٨-٣٤)، وشفى مفلوجاً (٩: ١-٨)، وشفى امرأة مصابة بترف دم (الآية ٢٠)، وأقام ابنة الحاكم من الأموات (الآية ١٨-٢٦)، وشفى الرجلين الأعميين (الآية ٢٧-٣٠)، وشفى المجنون الأخرس (الآية ٣٣-٣٤).

هناك عدد قليل من المعجزات التي تم تسجيلها في الأناجيل. كتب متى البشير أنه في أماكن عديدة، حينما كان يسوع يذهب ليعلم ويعظ بالإنجيل، كان أيضاً يشفي "كل مرض وكل ضعف في الشعب" (مت ٩: ٣٥). كما كتب يوحنا البشير أن الرب يسوع صنع أيضاً العديد من الآيات الأخرى لم تُسجل لأنها سوف تحتاج إلى مساحة كبيرة للغاية لكي تدون فيها (يو ٢٠: ٣٠؛ ٢١: ٢٥). هذه الأعمال شهدت له، ومنحته شهرة كبيرة (مت ٩: ٨، ٢٦، ٣١، ٣٣)، ونتج عنها أن آمن الكثير من الناس به (يو ٢: ١١، ٢٣؛ ٣: ٢؛ ٦: ٢، ١٤؛ ٧: ٣١؛ ٩: ١٦، ٣١-٣٣؛ ١٢: ١٨؛ وغيرها من الشواهد).

على الرغم من أن الرب يسوع صنع العديد من الأعمال المعجزية، إلا أنها لم تكن مركز خدمته. في الحقيقة، فقد كان يحاول كثيراً أن يجعل الناس لا يعطون اهتماماً كبيراً بهذه المعجزات حيث كان يطلب من الذين شفاهم أن يمتنعوا عن إخبار الآخرين (مت ٨: ١-٤؛ مر ٣: ١٢؛ ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٢-٢٦، ٣٠؛ ٩: ٩). وكثيراً ما كان يُضَمِن درساً روحياً مع تلك الأعمال المعجزية لكي يرى الناس ما هو أبعد من مجرد المعجزة. كانت خدمة يسوع الأساسية خدمة روحية. وقد صنع معجزات لتأييد

خدمته، وليس لإعاقتها. فإن إيجاد حلول للمشكلات الجسدية يجب ألا يتداخل مع حل المشكلات الجذرية للإنسان، وهي المشكلات الروحية.

التلاميذ الاثنا عشر

لم تكن خدمة الرب يسوع محصورة في عمله هو وحده. فقد اختار اثني عشر تلميذاً أو رسولاً ليمثلونه في خدمته. "وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف" (مت ١٠: ١). لقد أرسلهم لكي يعظوا "إنه قد اقترب ملكوت السماوات" (الآية ٧).

كما حذر الرب يسوع تلاميذه: "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم" (مت ١٠: ١٦-١٨؛ قارن مر ١٣: ٩؛ لو ٢١: ١٢). وعندما جاءوا بهم ليمثلوا أمام السلطات، وعدهم الرب يسوع بأن الروح القدس سوف يرشدهم. "فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (الآية ١٩، ٢٠؛ قارن مر ١٣: ١١؛ لو ٢١: ١٤، ١٥). وطوال خدمتهم كان التلاميذ يتوقعون أن الناس سيكرهونهم ويضطهدونهم (قارن لو ١٠: ٣؛ ٢١: ١٢-١٩).

هذا الوعد بأن الروح القدس "يعلمكم [الرسل] كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٦). وهو "يرشدكم [الرسل] إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية" (يو ١٦: ١٣؛ قارن الآية١٤، ١٥؛ ١٤: ١٦، ١٧؛ ١٥: ٢٦، ٢٧؛ ١٧: ٧، ٨، ١٧، ٢٠؛ أع ١: ٨). إن حقيقة هذا الوعد تسمح للتلاميذ أن يتذكروا ويعلموا كل الأمور التي علمها الرب يسوع لهم،

وهذا يجعل من الممكن بالنسبة لهم أن يسجلوا كلمته وبالنسبة لنا أن نعرف تعاليمه وخطته للخلاص.

أما الاضطهاد الذي تعرض له التلاميذ فقد كان انعكاساً للرفض المتزايد الذي واجهه يسوع. "ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده. يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده. إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحري أهل بيته!" (مت ١٠: ٢٤، ٢٥). لقد توقع التلاميذ أن يحصلوا على معاملة مماثلة لما تعرض له معلمهم وأن يطلق عليهم ألقاب مماثلة لسيدهم. غير أن هذا لم يعيقهم. إذ كان عليهم أن يعلموا ما سبق أن تعلموه من معلمهم وينادوا "به على السطوح" (الآية ٢٧) ولا يخافوا من هؤلاء الذين يقتلون بل يخافوا "بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (الآية ٢٨).

يوحنا المعمدان

بعد أن أتم يوحنا المعمدان خدمته، انتهت حياته بطريقة مأساوية. إذ قام هيرودس الحاكم بالقبض على يوحنا ووضعه في السجن لأن يوحنا كان يشجب معيشة هيرودس مع زوجة أخيه هيروديا. أراد هيرودس أن يقتل يوحنا لكنه "خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي" (يو ١٤: ٥). وفي حفل لعيد ميلاد هيرودس، قامت ابنة هيروديا ورقصت أمامه فسر قلبه بذلك، "ومن ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها" (الآية ٧). وبتشجيع من أمها، طلبت الفتاة رأس يوحنا المعمدان. "فاغتم الملك. ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى" (الآية ٩)، وهكذا لبى هيرودس ما طلبته الفتاة وقتل يوحنا المعمدان (مت ١٤: ١-١٢؛ قارن ٦: ١٤-٢٩؛ لو ٩: ٧-٩).

عندما سمع يسوع عن موت يوحنا، انسحب إلى مكان منفرد لكي يستريح. إن موت يوحنا زاد من المعارضة التي يواجهها، وهي التي سوف تدفعه خلال السنة التالية أن يضحي بحياته لكي يفدي الإنسان. لقد كان يسوع وتلاميذه في حاجة إلى الراحة قبل أن يواصلوا خدمتهم النشيطة (مر ٦: ٣١). إذ لم يكن قد مضى وقت طويل على عودة التلاميذ من رحلة مرهقة للتعليم والوعظ جلبت جموع ضخمة، وهم لذلك في حاجة للطعام والراحة.

وبالرغم من حاجة يسوع للراحة، استمر الناس في اتباعه (مت ١٤: ١٣؛ مر ٦: ٣٢، ٣٣). فتحنن عليهم وشفى المرضى وأطعم الجوعى (مت ١٤: ١٣-٢١؛ مر ٦: ٣٥-٤٤). بعد أن أرسل الرب يسوع تلاميذه إلى الجانب الآخر من بحر الجليل في مركب، صرف الناس. وبعد ذلك ذهب يسوع إلى الجبل ليصلي، عالماً أن بعد موت يوحنا سوف يحين سريعاً الوقت لكي يعبر عن محبته في صورتها المطلقة - الصليب. وعندما جاء المساء، ذهب لكي يلحق بتلاميذه في المركب، ومشى على البحر (مت ١٤: ٢٢-٣٦)، وهكذا كشف من جديد عن ألوهيته بطريقة معجزية.

تصاعد المعارضة

زاد الفريسيون والصدوقيون من معارضتهم ليسوع. وسعوا وراء أي فرصة للإمساك بزلة له. فذات مرة اتهموا تلاميذه بانتهاك تقاليد الشيوخ لأن تلاميذه لم يغسلوا أيدهم قبل أن يأكلوا. وبخ يسوع الفريسيين لأنهم يبطلون قوة كلمة الله بتشريعاتهم، وقال لهم: "وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟" (مت ١٥: ٣). فقد ابتدعوا طريقة لتجنب وصية إكرام الوالدين. فقال لهم يسوع: "يا مراؤون! حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلا: يقترب إليّ هذا الشعب بفمه

ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (مت ١٥: ٧-٩؛ قارن مر ٧: ١-١٣).

أوضح الرب يسوع للجموع أن ما يأكله الإنسان بأيدي غير مغسولة ليس هو ما ينجسه "بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان" (مت ١٥: ١١؛ مر ٧: ١٥). وقال يسوع: الذي يخرج من الفم يأتي من القلب، وهذا هو ما ينجس الإنسان. "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف" (مت ١٥: ١٩؛ قارن مر ٧: ١٤-٢٣). ولاحظ التلاميذ أن هذا الكلام ضايق الفريسيين. فقال لهم يسوع: "كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلَع. اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في الحفرة" (مت ١٥: ١٣، ١٤).

لم يتراجع الفريسيون عن تعقبهم ليسوع، لأنهم سريعاً ما عادوا يطلبون منه أن يصنع آية. ومن جديد وبخهم بأن قال لهم إنهم يعرفون كيف يميزون حالة الطقس وهل سيكون عاصفاً أم صحواً بالنظر إلى السماء. وقال لهم: "يا مراؤون! تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون!" (مت ١٦: ٣). وأضاف: "جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي" (الآية ٤؛ قارن مر ٨: ١٠-١٢).

تلك كانت حادثتين فقط لصدام وقع بين الرب يسوع وبين الفريسيين. وقبل ذلك اصطنعوا صراعات معه بشأن الصوم (مت ٩: ١٤-١٧؛ مر ٢: ١٨-٢٨؛ لو ٥: ٣٣-٣٨)، وبشأن قطف سنابل القمح والشفاء في يوم السبت (مت ١٢: ١-١٤؛ مر ٢: ٢٣-٣: ٥؛ لو ٦: ١-١١)، وبشأن امرأة زانية دهنت قدمي يسوع بالطيب بينما كان في بيت أحد الفريسيين (لو ٧: ٣٦-٥٠)، وشفى رجلاً مشلولاً عند بركة بيت حسدا (يو ٥: ١-١٨)، وما فعله مع المرأة التي أمسكت في حالة تلبس بالزنى (يو ٨: ١-١١).

وجهة نظر يسوع عن الكتاب المقدس

حيث إن هناك صدام ظهر بين يسوع وبين القادة الدينيين لليهود، من الأفضل لنا أن نفهم وجهة نظر الرب يسوع بشأن الكتاب المقدس. لقد كان يتعامل مع الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله، وإعلان إله إسرائيل. وذات مرة قال يسوع: "لا يمكن أن يُنقَض المكتوب" (يو ١٠: ٣٥)، وإنه لم يأت لينقض الناموس أو الأنبياء بل ليكمله (مت ٥: ١٧). كما حذر أنه:

"فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات. فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات". (مت ٥: ١٩-٢٠)

عندما وبخ الرب يسوع الكتبة والفريسيين، فعل ذلك بسبب أسلوبهم الناموسي في التعامل مع النص المقدس كثيراً ما أبطل فعالية كلمة الله. إذ أنهم ابتدعوا منظومة من التقاليد لم تتأسس على النصوص المقدسة. لم يعارض يسوع هؤلاء الناس لأنهم أرادوا اتباع مشيئة الله بل لأنهم أساءوا فهم مشيئته ورفضوا محاولة إصلاحهم. ونتيجة لرغبته أن يتبع كل الناس إرادة الله، استغل يسوع كل فرصة متاحة لكي يشرح بوضوح أكثر معنى وصية السبت والصوم وتقديم الصدقة والصلاة وغيرها من شرائع الله.

وفي حالات كثيرة أعاد يسوع تأسيس الغاية الأصلية للشريعة. فعلى سبيل المثال، نجده يعيد تأسيس دوام رباط الزواج. فقد سمحت الشريعة الموسوية بالطلاق بسبب قساوة قلب الإنسان. لكن الرب يسوع لم يسمح بأي سبب للطلاق. والاستثناء الموجود في إنجيل متى يبدو أنه مخصص لإنهاء علاقة الخطوبة نتيجة للزنى. لقد كُتِبَ إنجيل متى للقراء اليهود الذين كانوا يهتمون كثيراً بفترة الخِطبَة، ويلتزمون بصيغة رسمية للطلاق في حالة إنهاء علاقة الخِطبَة (مت ١: ١٨-٢٢؛ ١٩: ١-١٢).

وخلال واحدة من مواجهاته مع اليهود، قال لهم الرب يسوع إن أبيهم "إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يو ٨: ٥٦). لقد كان قديسو العهد القديم يتطلعون بالإيمان نحوه، ولكن "مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها" (عب ١١: ١٣؛ انظر أيضاً ١١: ٣٩، ٤٠). قال يسوع لتلاميذه: "طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم: إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (مت ١٣: ١٦، ١٧؛ قارن لو ١٠: ٢٣، ٢٤). كما كتب الرسول بطرس فيما بعد: "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١بط ١: ١٠، ١١). وقد تحدث الرب يسوع بوضوح لتلاميذه عن كونه الشخص الذي أشارت إليه الكتب المقدسة (انظر لو ٢٤: ٢٧، ٤٤ وما بعدها).

اعتراف بطرس

في البداية لم يفهم التلاميذ مهمة الرب يسوع فهماً كاملاً. وتنامت أهميته تدريجياً عبر فترة خدمته. ويمكننا أن نرى مثالاً على ذلك في بطرس. إذ قام أخوه أندروس بتعريفه بيسوع، وقال له إنهم وجدوا المسيا (يو ١: ٤١). لكن المغزى الكامل لهذه الكلمات لم يصل إلى بطرس إلا بعد ثلاث سنوات.

وعندما جاء يسوع مع تلاميذه إلى قيصرية فيلبس، سألهم: "من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟" (مت ١٦: ١٣). وبعد أن ذكر التلاميذ بعض البدائل الشائعة حول هوية الرب يسوع، سأل: " وأنتم من تقولون إني أنا؟" (الآية ١٥). فتحدث بطرس أولاً، كما كان يفعل غالباً، وقدم اعترافاً: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (الآية ١٦).

ونال بطرس مدح الرب يسوع على جوابه. لقد كان معنى خدمة يسوع قد بدأ للتو في الوضوح أمام تلاميذه. وقال يسوع لبطرس إن ما فهمه لم يكن نتيجة لفطنة بشرية، بل أن الآب هو الذي أعلنه له. ثم قال لبطرس: "أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات" (الآية ١٨-٢٠؛ قارن مر ٨: ٢٧-٣٠؛ لو ٩: ١٨-٢١).

هناك ارتباك كبير فيما يتعلق بموضوع "الحل والربط". فقد أشار الرب يسوع مرتين إلى هذا المفهوم، مرة بمعنى تعليمي والأخرى بمعنى تهذيبي.

إن مفهوم "الحل والربط" الذي تحدث عنه الرب يسوع لبطرس يستخدم بمعنى تعليمي. وبذلك يصير الحل والربط منهجاً للتعليم عن الملكوت الذي فيه سوف يكون معنى كلمة الله محلولاً حتى يتمكن الناس من فهم الكلمة ونوال الخلاص. وقد أدرك سريعاً هؤلاء التلاميذ هذا كمفهوم تعليمي حيث أن "المفاتيح" كانت رمزاً للكتبة، معلمي الشريعة.[١] وبالتالي فإن "المفاتيح" كانت مفاتيح الفهم. كان الأساس الذي عليه يقوم الخلاص والدينونة قد تحدد بالفعل في السماوات. فمن آمن بأن يسوع هو المسيح واتبعه سوف يجد باب السماء مفتوحاً له. ومن رفض وأنكر المسيح سوف يجد باب السماء مغلقاً بإحكام ضده. ومن ثم، كمنهج للتعليم، فإن جعل رسالة الإنجيل واضحة سوف يكون له إما تأثير رابط أو مطلق ومحرر على من يسمعونه.

كانت هذه المفاتيح قد أعطيت في البداية لبطرس (أع ٢)، ولكن أع ١٥ يظهر أن هذه المفاتيح أُعطيت أيضاً للرسل بوجه عام. فقد تم دعوتهم معاً لحضور مؤتمر في

---

(١) G. Campbell Morgan, The Gospel According to Matthew, Old Tappan, N.J.: Fleming Revell Co., p. 215.

أورشليم لمناقشة مسألة كيف ترتبط شريعة موسى بالأمم. ولم يقرر بطرس الجواب لهذه المسألة بمفرده، كما لو أنه وحده لديه المفاتيح للملكوت.

لقد وعد الرب يسوع بمجيء "المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٦). وهذا الوعد له أهمية بالغة؛ لأنه يربط بين تذكر الرسل لكلمات الرب يسوع وبين الرب يسوع المسيح نفسه. لقد وعد بأن الروح القدس سوف يرشد الرسل في تعاليمهم وكتابتهم، وهذا سيمكنهم من استرجاع وتعليم كل الأشياء التي علّمَهم إياها. كما تكرر هذا الوعد قبل صعوده (أع ١: ٨).

في رسالته لكنيسة أفسس، يشير بولس الرسول لتعاليم الرب يسوع عندما كتب: "أهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف ٢: ١٩، ٢٠). لقد بُنِيت الكنيسة على يد الرسل، كجماعة، الذين امتلكوا المفاتيح. هذه المفاتيح مكنتهم من بناء كنيسة الرب يسوع وتدوين كلمة الله في شكل مكتوب بعد قيامة المسيح. وهذا سمح للمسيحيين أن يعرفوا الأحداث الفدائية ومشيئة الله لأجل حياتهم.

التجلي

عقب اعتراف بطرس، جاءت حادثة التجلي لتؤكد أن يسوع هو ابن الله. حيث أخذ الرب يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا لجبل عالٍ، وهناك "تغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه" (مت ١٧: ٢، ٣). كان هذا اختباراً جديداً لهؤلاء التلاميذ. وتجاوبوا مع ذلك بأن أرادوا بناء مظال للرجال الثلاث. وفي تلك اللحظة "إذ سحابة نيرة ظللتهم

وصوت من السحابة قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا" (الآية ٥). فامتلأ التلاميذ بالرهبة.

بعد ذلك انتهت حادثة التجلي بصورة مفاجئة. وعادوا من فوق الجبل، فطلب الرب يسوع من تلاميذه قائلاً: "لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات" (مت ١٧: ٩). وعندها سأله التلاميذ عن عودة إيليا قبل مجيء المسيا. فشرح لهم يسوع أن إيليا قد جاء، لكنهم "لم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم" (الآية ١٢). وفهم التلاميذ أنه كان يتكلم عن يوحنا المعمدان (الآية ١٣؛ قارن مر ٩: ٢-١٣؛ لو ٩: ٢٨-٣٦).

وقد ذكر بطرس الرسول حادثة التجلي في رسالته الثانية: "لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس" (٢بط ١: ١٦-١٨). كان التجلي حدث من ضمن ثلاثة أحداث تضمنت شهادة صوتية من الله الآب (قارن مت ٣: ١٧؛ يو ١٢: ٢٨).

يسوع يتنبأ بموته وقيامته

بعد أن أعلن الرب يسوع لبطرس أنه سوف يبني كنيسته، وقبل التجلي، بدأ يسوع "يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم" (مت ١٦: ٢١). لم يصدق بطرس أن ذلك لابد أن يحدث ووبخ يسوع لإعلانه مثل هذا التصريح. ولكن يسوع قال لبطرس: "اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (الآية ٢٣؛ انظر أيضاً ١٧: ٢٢، ٢٣؛ قارن مر ٩: ٣١، ٣٢؛ لو ٩: ٤٤، ٤٥).

لقد خطط الرب يسوع لأن يذهب إلى أورشليم لحضور عيد الفصح، لكن بعض الفريسيين حذروه أن هيرودس يخطط لقتله. فقال لهم:

"بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً! والحق أقول لكم: إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب". (لو ١٣: ٣٣-٣٥؛ قارن مت ٢٣: ٣٧-٣٩)

وفي طريقه إلى المدينة، أوضح الرب يسوع أكثر خطته: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم" (مت ٢٠: ١٨، ١٩؛ قارن مر ١٠: ٣٢-٣٤؛ لو ١٨: ٣١-٣٣). وزاد من شرحه لهذا عندما أجاب على طلب زوجة زبدي بأن يجعل ابنيها يجلسان على يمينه ويساره في ملكوته:

"أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٥-٢٨؛ قارن مر ١٠: ٤٢-٤٥).

كانت الغاية من مجيء يسوع إلى الأرض هي خلاص العالم (يو ١٢: ٤٧؛ قارن ٣: ١٧). لقد كان هو الراعي الصالح، الذي أتى "لتكون لهم [الناس] حياة وليكون لهم أفضل ... الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ... لأني أضع نفسي لآخذها أيضا. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو ١٠: ١٠-١٨). إن يسوع سوف

يتخلى عن حياته طواعيةً لكي يفدي الإنسان من العواقب الخطيرة للخطية وسلطانها الأبدي.

الفصح الأخير

عندما اقترب يسوع من أورشليم، أرسل اثنين من تلاميذه لكي يحضرا حماراً وجحش ابن أتان. وهذا لكي يتمم النبوءة المتعلقة بدخوله إلى أورشليم: "قولوا لابنة صهيون: هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان" (مت ٢١: ٥؛ قارن زك ٩: ٩).

"وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما. والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق. وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق. والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون: أوصنا لابن داود! مبارك الآتي باسم الرب! أوصنا في الأعالي!. ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل" (مت ٢١: ٧-١١؛ قارن مر ١١: ١-١٠؛ لو ١٩: ٢٨-٤٠؛ يو ١٢: ١٢-١٩).

دخل الملك، في ضعف وفقر، إلى مدينة أورشليم. لقد كان دخولاً انتصارياً، فيه ملك يركب على حيوان متواضع لن يقبل أي ملك "سياسي" أن يمتطيه، ويلبس رداءً منسوجاً في البيت بلا خياطة، ويسير في الشوارع التي تغطيها أغصان الأشجار - إنه ذاك الرجل من الناصرة الذي تجاهله بيلاطس البنطي والرومان. لم يكن هناك سوى الناس العاديين الذين هتفوا له، وبالطبع تواجد بعض القادة اليهود الذين كانوا ساخطين لأنهم لم يكونوا مركز الاهتمام. حقاً، يا له من دخول انتصاري لملك الملوك!

وحتى مع هذا الدخول الانتصاري الذي كان يهز المدينة، وقف البعض معارضين لما يحدث. "وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له: يا معلم انتهر تلاميذك.

فأجاب: أقول لكم: إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ!" (لو ١٩: ٣٩، ٤٠؛ قارن مت ٢١: ١٥، ١٦). لقد عارض بعض الفريسيين الدخول الانتصاري ليسوع – إذ أرادوا أن يتم تجاهل يسوع المسيا. لكن يسوع لم يوبخ تلاميذه، لأنهم كانوا يفعلون شيئاً عظيم الأهمية، ولو أنهم صمتوا فسوف تهتف الحجارة.

مع دخول الرب يسوع إلى المدنية، شاهد أمامه هيكلها الرائع. الهيكل العظيم، المغطى بألواح لامعة من الذهب، والذي يقف شامخاً في مكاناً متميزاً، إلى جانب أبنية كثيرة محلاة برخام أبيض. كانت المدينة، وهي رمز الاستقرار والرخاء، محاطة بجدران هائلة. غير أن يسوع رأى أكثر من هذا، وبكى على المدينة قائلاً:

"إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة. ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك". (لو ١٩: ٤١-٤٤؛ قارن مت ٢٤: ٢؛ مر ١٣: ٢)

حتى عندما كان يسوع يسمع هتاف الجموع قائلين "أوصنا"، فقد كان يدرك ما النتائج المترتبة على رفض اليهود له على مستقبل المدينة.

كان من المعتاد لمدينة أورشليم أن تستقبل الكثير من الزائرين خلال عيد الفصح، غير أن هذا الموسم كان أكثر إثارة، لأن خدمة يسوع كانت قد اجتذبت اهتمام الكثير جداً من الناس، حتى أن المدينة بجملتها قد انتفضت لمجيئه. لكن الجموع الذين فرشوا أغصان الأشجار وهتفوا بترنيمة "أوصنا" بالتأكيد فشلوا في إدراك أنهم أيضاً يتممون نبوءة زكريا النبي وبالتالي يعترفون بيسوع على أنه هو المسيا.

قبيل ذهابه إلى أورشليم، كان الرب يسوع قد صنع معجزة إقامة لعازر من الأموات. "لهذا أيضاً لاقاه الجمع لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية" (يو ١٢: ١٨). كان

القادة اليهود مغتاظين من شعبية يسوع ومقدار الاهتداء الذي نتج عن إقامة لعازر؛ لذا فقد طرح مجلس السنهدريم هذا السؤال:

"ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا. فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً. ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة. وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يو ١١: ٤٧-٥٢).

من ذلك اليوم فصاعداً حُسِمَ أمر مشكلة يسوع بالنسبة لقادة اليهود؛ إذ شرعوا يبحثون عن سبيل لتسليمه للموت (يو ١١: ٥٣). وبدا أنهم مهتمون بالحفاظ على مناصبهم ومؤسساتهم أكثر من فهم مغزى الآيات التي يصنعها يسوع. ولذلك فحيث إن دخول يسوع إلى أورشليم أحدث مثل هذه الإثارة، أصبح القادة خائفين أن الجميع سوف يؤمنون به. لقد شعروا بالعجز وقالوا بعضهم لبعض: "انظروا! إنكم لا تنفعون شيئا! هوذا العالم قد ذهب وراءه!" (يو ١٢: ١٩).

الأحداث في أورشليم

وفي اليوم التالي ذهب يسوع إلى الهيكل، وللمرة الثانية طرد كل من يبيعون ويشترون من الهيكل. "وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب: بيتي بيت الصلاة يدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص!" (مت ٢١: ١٢، ١٣؛ قارن مر ١١: ١٥-١٧؛ لو ١٩: ٤٥، ٤٦). وقبل ذلك بثلاثة أعوام، وفي بداية خدمته، كان يسوع قد طهر الهيكل أيضاً. لقد كان تغيير العملة وبيع الذبائح تجارة مربحة للغاية للأشرار. وهذا التطهير لثاني

مرة أكد بوضوح على هوية يسوع باعتباره المسيا، لأنه أظهر أن لديه سلطاناً من الله أن يتولى مسئولية الهيكل. كذلك فإن التطهير الثاني للهيكل جلب استجابة قوية من رؤساء الكهنة والكتبة عندما سمعوا بما حدث. "فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه" (مر ١١: ١٨).

وفي اليوم التالي جاء رؤساء الكهنة والشيوخ ليتحدوا سلطان يسوع على أمل أن يعيقوا تقدمه. وكان يسوع قد تكلم بوضوح عن مهمته وخدمته قبل أن يأتي إلى أورشليم. والآن، مع دخوله الانتصاري ومع تطهيره للهيكل، بدا واضحاً للجميع ما الذي يحدث؛ غير أن القادة والكثير من الناس كانوا معاندين ورفضوا أن يؤمنوا به. وعندما عاد يسوع إلى الهيكل في اليوم التالي، "تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين: بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان؟" (مت ٢١: ٢٣). كان هذا سؤالاً جيداً؛ إلا أنهم لم يسألوه بحثاً عن إجابة. إذ علم القادة اليهود بما كان يعلمه يسوع، وما الذي يقوله عن نفسه، لكنهم لم يبدو اهتماماً بجواب على سؤالهم. فهم أرادوا فقط أن يختبروه. فأجاب يسوع: "وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضا بأي سلطان أفعل هذا: معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟" (الآية ٢٤، ٢٥). فلم يجيبوا لأنهم أدركوا أنهم إذا قالوا إن معمودية يوحنا من السماء، فسوف يسألهم عندها، "فلماذا لم تؤمنوا به؟" (الآية ٢٥). وإذا قالوا إنها "من الناس" سوف يغضب الجموع، لأن الناس كانوا يعتبرون يوحنا بمثابة نبي. لذلك لم يجيبوا، وكذا لم يجيب يســـوع على سؤالهم (قارن مر ١١: ٢٧-٣٣؛ لو ٢٠: ١-٨).

وبينما كان يسوع يتجاوب مع اختبار اليهود، سرد عليهم ثلاثة أمثال ليحذر الشعب من عناد وعمى القادة اليهود. المثل الأول، الذي كان يتكلم عن ابنين، وهو يظهر أن القادة اليهود كانوا غير مستعدين ليقبلوه. لكن "أناس أدنى"، وليسوا

المختارين، هم من كانوا مستعدين. المثل الثاني، وهو عن الكرمة، أظهر أن اليهود كانوا دائماً يقتلون أنبياء الله وكانوا يستعدون لقتل ابنه. ألم يقرأوا في الكتب المقدسة: "الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؟" (مت ٢١: ٤٢). لذا فإن هذه المرة سوف يعني رفضهم له أن "ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" (الآية ٤٣). أما المثل الثالث فكان عن حفل عرس، وهو يظهر كيف أن الدعوة التي رُفِضت أُعطيت لآخرين. وبالمثل، فإن يسوع دعا اليهود لاتباعه، ولكن حيث أنهم رفضوه، فإنه سوف يوجه الآن دعوته للآخرين (مت ٢١: ٢٨-٢٢: ١٤؛ قارن مر ١٢: ١-١١؛ لو ٢٠: ٩-١٨).

الفكرة من وراء هذه الأمثال أن "كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون" (مت ٢٢: ١٤). وبسماعهم ذلك، فإن القادة اليهود بالتأكيد تذكروا تعليقات يسوع السابقة التي قال فيها إن "ملكوت الله ينزع منكم [اليهود] ويعطى لأمة تعمل أثماره" (مت ٢١: ٤٣). لقد فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أن يسوع كان يتحدث عنهم. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً كانوا يحاولون القبض عليه لكنهم خافوا من الجموع الذين كانوا ينظرون له كنبي. وتوجب على القادة أن يجعلوا الشـــعب يكرهه قبل أن يتمكنوا من القبض عليه (مت ٢١: ٤٥، ٤٦؛ مر ١٢: ١٢؛ لو ٢٠: ١٩، ٢٠).

"حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة" (مت ٢٢: ١٥). فدبروا له أن يسألوه ثلاثة أسئلة. السؤال الأول يتعلق بالضرائب. "أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟" (الآية ١٧). علم يسوع بنيتهم الشريرة، فأجاب "لماذا تجربونني يا مراؤون؟" (الآية ١٨). وأخذ عملة تحمل صورة قيصر عليها، وأعطاهم إجابة بسيطة: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (الآية ٢١؛ قارن مر ١٢: ١٣-١٧؛ لو ٢٠: ٢١-٢٦).

كان السؤال الثاني للصدوقيين يتعلق بالقيامة والزواج في السماء. كان تأثير هذا السؤال (وإجابة يسوع) على الناس مناقضاً تماماً لما كان ينتظره الصدوقيون. "فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه" (مت ٢٢: ٣٣؛ مر ١٢: ١٨-٢٧؛ لو ٢٠: ٢٧-٤٠).

جاء السؤال الثالث من الفريسيين: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" (مت ٢٢: ٣٦). لقد كان هذا السؤال من الأسئلة المفضلة عند هذه الجماعة التي تحرص دائماً على فحص الناموس. فأجابهم بسرعة: " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكـــرك. هذه هي الوصـــية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (الآية ٣٧-٤٠؛ قارن مر ١٢: ٢٨-٣٤).

بعد أن أجاب على هذه الأسئلة الثلاثة، وبينما كان الفريسيون واقفين معاً، سألهم الرب يسوع: "ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟" (مت ٢٢: ٤٢). فردوا عليه بسرعة أنه ابن داود. فسألهم يسوع: " فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟" (الآية ٤٣-٤٥؛ قارن ١٢: ٣٥-٣٧؛ لو ٢٠: ٤١-٤٤).

بعد ذلك تكلم يسوع إلى الجموع عن الكتبة والفريسيين وكيف أنهم مراؤون يقودون الناس قيادة كاذبة. فهم من "يقولون ولا يفعلون" (مت ٢٣: ٣)، وهم يضعون "أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل" (الآية ٤) على أكتاف الناس، لكنهم لا يساعدون الآخرين في تحريكها. وهم من أغلقوا ملكوت السماوات أمام الناس (الآية ١٣). لأنهم لن يدخلوا ولن يتركوا الآخرين يدخلون. ونطق الرب يسوع بالويل عليهم، مشيراً إلى أنهم هم "القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل! ... تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة! ... تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة" (الآية ٢٤،

٢٥، ٢٧). هؤلاء القادة مثلهم مثل آبائهم الذين سفكوا دماء الأنبياء. "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خرابا! لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب!" (الآية ٣٧-٣٩؛ مر ١٢: ٣٨-٤٠؛ لو ٢٠: ٤٥-٤٧).

كانت كلمات الرب يسوع قوية وصريحة. إذ لم يكن هناك حاجة أخرى لتجنب مضايقة القادة الدينيين اليهود. لأنهم كشفوا عن حقيقتهم من خلال محاولاتهم المستمرة للبحث عن زلة يمسكونها عليه في كلماته.

لقد رفض اليهود الرب يسوع "مع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به" (يو ١٢: ٣٧). وهذا الرفض من قِبَلهم جاء تحقيقاً لنبوءة إشعياء (إش ٥٣: ٣). لكن رفض اليهود لم يكن رفضاً كاملاً، لأن البعض آمنوا به؛ "غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" (يو ١٢: ٤٢، ٤٣).

جاء يسوع إلى العالم كنور. ومن سمعوا وأطاعوا أقواله، فلن يدينهم. لأنه قال: "لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم" (يو ١٢: ٤٧). لكن من أنكروه فستقع عليهم الدينونة. "الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (الآية ٤٨). إن مهمة الرب يسوع، الذي جاء مرسلاً من الله ليعطي الحياة الأبدية لمن يقبلونه كرب ومخلص، صارت الآن قريبة من التحقق.

بعد أن علم الرب يسوع تلاميذه عن خراب أورشليم ونهاية العالم (مت ٢٤ و٢٥)، تحول إلى تلاميذه وقال لهم: "تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب". وبلغت المعارضة ليسوع حداً خطيراً حتى "اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع

بمكر ويقتلوه" (مت ٢٦: ١-٥؛ قارن مر ١٤: ١، ٢؛ لو ٢٢: ١، ٢). فاتفقوا مع أحد تلاميذ يسوع أن يسلمه لهم مقابل مبلغ مالي مقداره ثلاثين من الفضة (مت ٢٦: ١٥).

العشاء الرباني

طلب الرب يسوع من تلاميذه أن يعدو للفصح، إذ أن ساعته قد اقتربت. وفي هذا العشاء أسس الرب يسوع ممارستين ينبغي على أتباعه من بعده أن يتبعاها: وهما العشاء الرباني وغسل الأقدام. "أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٦-٢٨؛ قارن مر ١٤: ٢٢-٢٥؛ لو ٢٢: ١٧-٢٠؛ ١كو ١١: ٢٣-٢٦). فالخبز يُكسر تذكاراً لجسد المسيح المكسور. والكأس يذكرنا بدم المسيح المسفوك لأجلنا. وهكذا فإن العشاء الرباني رمز للعهد الجديد الذي تحقق بواسطة دمه.

وبعد العشاء تقدم يسوع "ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها" (يو ١٣: ٥). وبعد أن غزل الرب يسوع أقدامهم، شرح لهم ما الذي كان يفعله. وقال لهم: "أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسنا تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض؛ لأني أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً ... إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه" (يو ١٣: ١٣-١٥، ١٧). لقد استخدم الرب يسوع مناسبة العشاء لكي يقدم لهم طقس ديني جديد يذكر التلاميذ بالخدمة الأخوية. وهذا مثال ينبغي على كل مسيحي أن يتبعه، فينال بركة عن طاعته.

وبعد العشاء الرباني، ذهب يسوع ومعه تلاميذه على جبل الزيتون. وهناك حذر يسوع تلاميذه من أن "مكتوب: أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية" (مت ٢٦: ٣١). جميع التلاميذ سوف يتخلون عنه، وسيكون عليه أن يواجه الصليب بمفرده (قارن مر ١٤: ٢٦-٣١؛ لو ٢٢: ٣١-٣٨).

ثم ذهب يسوع إلى مكان يسمى جثسيماني. وقال للتلاميذ الثلاثة الذين رافقوه إن نفسه حزينة جداً حتى الموت، وطلب منهم أن يمكثوا على مقربة منه بينما سيذهب هو ليصلي.

"ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلا: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت. ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم أيضا نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة. فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: «ناموا الآن واستريحوا. هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة. قوموا ننطلق. هوذا الذي يسلمني قد اقترب". (مت ٢٦: ٣٩-٤٦؛ قارن مر ١٤: ٣٢-٤٢؛ لو ٢٢: ٣٩-٤٦)

في تلك اللحظة، تقدم يهوذا الإسخريوطي، وهو أحد التلاميذ الاثني عشر، وأحضر معه الجنود وجمع كثير لكي يقبضوا على يسوع. وحتى يتمكن الجنود من معرفة يسوع، اقترب يهوذا منه وحياه بقُبلَة. فأخذ الجنود الذين أرسلهم رؤساء الكهنة والشيوخ يسوع. وقد كان باستطاعته أن يستدعي جيوش كثيرة من الملائكة لتحامي عنه؛ غير أنه علم أن وقت آلامه قد حان. وبدلاً من أن يتجنب أعداءه كما فعل من

قبل، تقدم يسوع وأسلم نفسه لهم، متمماً بذلك ما جاء عنه في الكتب المقدسة (انظر مت ٢٦: ٤٧-٥٦؛ مر ١٤: ٤٣-٥٠؛ لو ٢٢: ٤٧-٥٣؛ يو ١٨: ٣-١١).

المحاكمة

بعد ذلك أحضروا يسوع أمام رئيس الكهنة (قيافا)، والكتبة والشيوخ لكي يحاكموه. وكل هؤلاء القادة كانوا "يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا. ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا" (مت ٢٦: ٥٩-٦٠). وبحسب الشريعة اليهودية، كان لابد من توافر اثنين من الشهود حتى يمكن إصدار حكماً. ويبدو أن هذين الشاهدين ذكرا حادثتين منفصلتين ولم يكن هناك اتفاق بين شهادتيهما (تث ١٩: ١٥). وظلوا يطلبون المزيد والمزيد من الشهود حتى تقدم شاهدان في النهاية وذكرا نفس الاتهام: أن يسوع قال: "إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه" (مت ٢٦: ٦١). وحيث أن أي تهديد يوجه ضد الهيكل يمكن أن تكون عاقبته الحكم بالموت، فقد أسرع المحاكمون بالتمسك بهذه التهمة.

سأل رئيس الكهنة يسوع عن رده على هذا الاتهام، لكن يسوع ظل صامتاً طالماً لم يتم تقديم أي دليل ضده. ثم طرح رئيس الكهنة سؤالاً آخر: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت ٢٦: ٦٣). وحيث أن هذا السؤال سبقه استحلاف بالعهد، كان على الرب يسوع أن يجيب. فإذا ظل صامتاً فهذا يعد جريمة. كذا فمن المستحيل أن يجيب بإجابة كاذبة. ومن ثم كان هذا هو الوقت لكي يتكلم يسوع ويعلن الحق؛ ولذا، أكد أنه هو المسيح. "قال له يسوع: أنت قلت! وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (الآية ٦٤).

لقد حان الوقت لتتميم مهمة الرب يسوع؛ وسوف يكون الصليب هو جزاء شهادته التي نطق هو بها. إذ فوراً صرخ رئيس الكهنة قائلاً: "قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه!" (مت ٢٦: ٦٥). وبدلاً من أن يعترف اليهود بما يقوله الرب يسوع، استغلوا شهادته ليحكموا عليه بالموت. ولم يعد هناك حاجة لشهود آخرين طالما أن الجميع سمعوه. "ماذا ترون؟ فأجابوا: إنه مستوجب الموت" (الآية ٦٦). وبسرعة صار القادة الدينيون والجنود يعاملونه كمجرم مدان فيبصقون عليه ويضربونه (الآية ٦٧، ٦٨؛ قارن مر ١٤: ٥٣-٦٥؛ لو ٢٢: ٦٦-٧١؛ يو ١٨: ١٢-٢٤).

"ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه. فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي" (مت ٢٧: ١، ٢؛ مر ١٥: ١؛ لو ٢٣: ١؛ يو ١٨: ٢٨). لقد أخذوا يسوع إلى بيلاطس لأن الرومان كانوا قد احتفظوا لأنفسهم فقط دون اليهود بإمكانية إصدار الحكم بعقوبة الموت (يو ١٨: ٣١). وهذه الأحداث جاءت تتميماً النبوات التي تكلم عنها يسوع من قبل (مت ٢٠: ١٨ وما بعدها).

بعد أن تحدث مع اليهود فيما يتعلق بالتهم التي وجهوها ضد يسوع وتحدث معه شخصياً، قال بيلاطس: "إني لا أجد علة في هذا الإنسان. فكانوا [رؤساء الكهنة وجموع الناس] يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا" (لو ٢٣: ٤، ٥).

بمجرد أن سمع بيلاطس أن يسوع من الجليل وبالتالي فهو يقع ضمن نطاق سلطة هيرودس، أسرع بيلاطس بإرسال يسوع إلى هيرودس. فرح هيرودس بإرسال يسوع ذائع الصيت إليه، فأخذ يسأله أسئلة كثيرة، أما يسوع "فلم يجبه بشيء" (لو ٢٣: ٩). "فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس" (الآية ١١).

قال بيلاطس لرؤساء الكهنة والحكام والشعب: "قد قدمتم إليَّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب. وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون

به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأني أرسلتكم إليه. وها لا شيء يستحق الموت صنع منه. فأنا أؤدبه وأطلقه" (لو ٢٣: ١٤-١٦).

ربما رغب بيلاطس في إطلاق سراح يسوع لأن بيلاطس "علم أنهم أسلموه حسداً" (مت ٢٧: ١٨). وسعى بيلاطس لإطلاق سراح يسوع بحسب العادة التي كانت متبعة وقتها بإطلاق سراح سجين مشهور في عيد الفصح. وعرض أن يطلق لليهود إما قاتل وسارق اسمه باراباس وإما يسوع. لم يطرح بيلاطس عرضه بإطلاق يسوع مباشرة، لأنه لو كان فعل ذلك، لكان اليهود هتفوا ضده أنه ليس محباً لقيصر (يو ١٩: ١٢).

حاول بيلاطس أن يجعل الشعب يطالبون بموت باراباس، فأشار أنه لا هو ولا هيرودس وجدا أي جريمة ارتكبها يسوع، ولكنه سوف يجلد يسوع كعقاب له. لو كان اليهود قد اختاروا إطلاق سراح يسوع، لكانوا بذلك قد منعوا باراباس سيء السمعة من إطلاق سراحه، وفي نفس الوقت كان من الممكن إرضاء عطشهم للانتقام من يسوع. لكن قادة اليهود أقنعوا الشعب بتناسي أي مشاعر طيبة كانت عندهم نحو يسوع وأخذوا يطالبون بالحرية للمجرم باراباس. ويبدو أن جميع أتباع يسوع لم يكونوا حاضرين، أو إذا كانوا حاضرين، فهم لم يحاولوا تغيير رأي الجماهير. فأطلق بيلاطس باراباس وأسلم يسوع للموت.

سأل بيلاطس: "فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟" (مت ٢٧: ٢٢). وسريعاً ما أيد الشعب رأي قادتهم وصرخوا: "ليصلب" (الآية ٢٢). فأجاب بيلاطس: "وأي شر عمل؟" (الآية ٢٣). فأصبح الناس هائجين للغاية وصرخوا "ليصلب". "فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب" (الآية ٢٣، ٢٤)، لجأ إلى استخدام رمز يهودي بأن غسل يديه لكي يظهر أنه برئ من أي ذنب بخصوص هذا القرار. ثم قال للجموع: "إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب: دمه

علينا وعلى أولادنا" (الآية ٢٤، ٢٥). ثم أُسلِمَ يسوع لكي يُصلَب (قارن مر ١٥: ٧-١٥؛ لو ٢٣: ١٣-٢٥؛ يو ١٨: ٣٨-١٩: ١٦).

الصليب

سريعاً ما أعدوا يسوع لكي يُصلب. وأظهر الجنود احتقارهم وسخريتهم منه حينما ألبسوه رداءً قرمزياً وتاجاً من الشوك وأخذوا يستهزئون به قائلين: "السلام يا ملك اليهود!" (مت ٢٧: ٢٩). تلك التصرفات كانت تسخر من يسوع وكذا من اليهود ومن توقعاتهم القومية نحو المسيا. وكان الجنود يبصقون على يسوع ويضربونه، وفي النهاية خلعوا عنه الرداء وألبسوه ملابسه. ثم اقتادوه إلى مكان يسمى الجلجثة، وتعني "موضع الجمجمة"، وهناك تم صلبه (الآية ٣٣). ووضعوا فوق رأسه التهم الموجهة ضده مكتوبة باللغة اليونانية واللاتينية والعبرية: "يسوع الناصري ملك اليهود" (يو ١٩: ١٩). وقد اعترض على هذه الكلمات الكثير من اليهود؛ إذ أرادوا أن يُكتَب له: "إن ذاك قال أنا ملك اليهود" (الآية ٢١). غير أن بيلاطس رفض أن يتم تغيير العلامة، وقال لهم: "ما كتبت قد كتبت." غير عالم أنه وضع وصفاً حقيقياً ليسوع (الآية ٢٢؛ قارن مت ٢٧: ٢٧-٣٧؛ مر ١٥: ١٦-٢٦؛ لو ٢٣: ٢٧-٣٨).

عندما عُلِقَ الرب يسوع على الصليب، كانت معظم السخرية تأتيه من شعبه وأقاربه الذين كان رجاؤهم يرتكز عليه. فقد صرخ الشيوخ: "يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك! إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب!" (مت ٢٧: ٤٠). كما سخر منه قادة اليهود أيضاً: "خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كان هو ملك إسرائيل فليترل الآن عن الصليب فنؤمن به! قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده! لأنه قال: أنا ابن الله!" (الآية ٤٢، ٤٣؛ قارن مر ١٥: ٢٩-٣٢؛ لو ٢٣: ٣٥-٣٧).

لقد كان الصليب أحد أقسى طرق تنفيذ حكم الموت. وهذه العقوبة تم تصميمها لتجعل الموت يأتي بأقصى درجات البطء والألم بقدر ما يستطيع جسد المصلوب أن يحتمل. كما كان الصليب يعد أكثر العقوبات المتاحة عاراً واحتقاراً. أما يسوع – الذي لم يرتكب جرماً، وهو ابن الله، والخالق – فبتجرعه كأس الموت صلباً عانى معاناة جسدية ونفسية تفوق الوصف. ورغم أن الألم الجسدي كان موجعاً بما يكفي، إلا أن معاناته النفسية لابد أنها تجاوزت حدود الوصف بالكلمات، عندما ندرك من كان يسوع وما الذي تحمله حينما رفضه الناس، بينما كان يتألم من أجل خطاياهم. كما رفض أن يشرب خليطاً من النبيذ القوي والمر، كانت سوف تخدر آلامه. حقاً، لقد جاء إلى العالم لكي يموت عن خطايا البشر، وتحمل الآلام إلى أقصى حد. وحيث أن موته كان ذبيحة طواعية، فقد صلى قائلاً: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٣٤). وهو بذلك كان يرغب في منح الغفران لمن قتلوه.

ساد الظلام على الأرض كلها طوال آخر ثلاث ساعات قضاها يسوع معلقاً على الصليب (مت ٢٧: ٤٥؛ لو ٢٣: ٤٤). ونحن لا نعرف سبب أو معنى هذا الظلام. لكننا نعلم أن هذا الحدث جاء ليشهد أن الرب يسوع كان نور العالم. وكما سنرى فيما بعد، فقد كان هذا أحد الأحداث التي دفعت قائد المئة وجنود آخرين ممن صلبوا المسيح أن يعترفوا: "حقا كان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤).

جلبت الظلمة شعوراً عميقاً بالوحدة لدى المسيح. وعند الساعة التاسعة (أي الثالثة عصراً)، صرخ يسوع بصوت عظيم: "إيلي إيلي لما شبقتني" أي: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (الآية ٤٦؛ قارن مر ١٥: ٣٣-٣٥). وقد تم ترجمتها أيضاً إلى: "إلهي إلهي،

لمن أسلمتني؟"[٢] وهذا يعطي تصوراً أن الله، بحجبه يد الحماية عن ابنه، تركه لكي يتألم على يد أعدائه دون أي أمل في نجاة جسدية.

عرف يسوع عندما اقترب من لحظة الموت. إذ كتب الرسول يوحنا: "بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان" (يو ١٩: ٢٨). حيث أنه كان يتألم من العطش، أراد أن يعطوه مشروباً لكي يرطب حلقه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. وعند ذلك الوقت الذي ذُبِحَ فيه حمل الفصح، صرخ يسوع بصوت عظيم: "قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح" (يو ١٩: ٣٠؛ لو ٢٣: ٤٦). وهكذا فإن موت يسوع أكمل عمله الفدائي. وعندما قدم دمه، الذي هو حياة الجسد، فإنه بذلك مات لأجل كل خطايا البشرية (عب ٩: ١٢، ١٤، ٢٦؛ قارن رو ٦: ١٠).

في لحظة موت يسوع، انشق حجاب الهيكل، الذي كان يفصل القدس عن قدس الأقداس، من أعلى إلى أسفل إلى قطعتين. ورمز هذا الحجاب المشقوق إلى نهاية نظام العبادة والذبائح الخاص بالعهد القديم. ولم يعد هناك حاجة إلى الهيكل بعد أن أتم يسوع مهمته على الصليب.[٣] لقد أدى الحجاب المشقوق غرضه في إعداد الإنسان للمسيح. كما أن الحجاب المشقوق أيضاً يشير بالأحرى إلى أن الدخول إلى محضر الله صار الآن متاحاً لكل من يعبر إليه عبر باب وخبز الحياة. ولم يعد هناك حاجة أخرى للمزيد من الذبائح أو لرئيس كهنة طالما أن المسيح "قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة" (عب ١٠: ١٢؛ قارن ٧: ٢٦-٢٨). وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل لاحقاً.

كذلك وقعت بعض الأحداث الأخرى عند موت يسوع، مثل زلزلة الأرض وتفتح القبور. كما قام بعض الموتى بعد قيامة الرب يسوع وظهروا في أورشليم

---

(٢) R. C. H. Lenski, Interpretation of St. Mark's Gospel, Columbus, Ohio: Wartburg Press, 1946, p. 717.

(٣) غير أن الهيكل ومنظومة الذبائح الخاصة به استمرت في العمل حتى سنة ٧٠ ميلادياً. إذ كان التلاميذ أنفسهم يذهبون إليه بعد ذلك (أع ٢: ٤٦؛ ٣: ١؛ ٥: ٢٠، ٢٥، ٤٢؛ ٢١: ٢٦).

(مت ٢٧: ٥١-٥٤؛ مر ١٥: ٣٨). وكان هناك قائد مئة، عندما رأى هذه الأمور، خـــاف جداً وقال: "حقا كـــان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤؛ قارن مر ١٥: ٣٩؛ لو ٢٣: ٤٧). "وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم" (لو ٢٨: ٤٨).

حيث أن يسوع عُلِقَ على الصليب لفترة قصيرة نسبياً، لذا فهو لم يمت نتيجة للأذى البدني الذي وقع على جسده، لكنه أسلم روحه طواعية قبل أن يموت جسده بشكل طبيعي (قارن يو ١٠: ١٧، ١٨). وبالتالي فقد أسلم حياته كفدية لأجل الإنسان، كذبيحة سوف تسترد الإنسان في النهاية إلى موقعه الأصلي أمام الله. لقد جاء موته عند الساعة التاسعة وقت الذبيحة المسائية؛ ومن ثم فقد صار "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩).

مع دخول عطلة السبت، ذهب اليهود إلى بيلاطس ليسألونه أن يتم كسر أرجل يسوع والاثنين اللذين صلبا إلى جواره، حتى يموت المصلوبون. وبالتالي يمكن رفع أجسادهم قبل حلول السبت. وكانت الشريعة تتطلب ألا تبقى أجساد معلقة طوال الليل (تث ٢١: ٢٣). ونظراً لأن السبت التالي كان "يوماً عظيماً" (لأنه كان سبتاً وكذلك ثاني يوم في الفصح)، فقد شعر اليهود بإلحاح أكثر تجاه نقل الأجساد فوراً؛ ولذلك استجاب بيلاطس لمطلبهم. وعندما جاء الجنود إلى يسوع، وجدوه قد مات بالفعل؛ لذا، لم يقوموا بكسر رجليه. وعندما قام أحد الجنـــود بطعن جنب يســـوع، في الحال تدفق دم وماء من جنبه، دليلاً على موته. وكل هذا حدث "ليتم الكتاب القائل: عظم لا يكسر منه. وأيضاً يقـــول كتاب آخر: سينظرون إلى الذي طعنوه" (يو ١٩: ٣٦، ٣٧). ولذلك فإن ما ذكره الكتـــاب المقدس عن خروف الفصـــح (خر ١٢: ٤٦؛ عد ٩: ١٢) وعن العبد البار المتألم (مز ٣٤: ١٩-٢٢) قد تحقق في المسيح.

دفن يسوع

مع اقتراب دخول عطلة السبت، تقدم أحد تلاميذ يسوع، وكان رجلاً غنياً اسمه يوسف، وطلب من بيلاطس أن يستلم جسد يسوع. وبعد أن حصل يوسف على التصريح بأن يدفن يسوع، قام هو ونيقوديموس بلف الجسد بكتان نقي والحنوط بحسب عادات الدفن اليهودية، ووضعوا الجسد في قبر جديد بالقرب من مكان الصلب. وكان القبر مغلقاً بواسطة حجر ضخم يتم دحرجته لكي يسد البوابة (مت ٢٧: ٥٧-٦١؛ مر ١٥: ٤٢-٤٧؛ لو ٢٣: ٥٠-٦٠؛ يو ١٩: ٣١-٤٢).

وفي اليوم التالي، تذكر اليهود أن يسوع قال إنه سيقوم من الأموات بعد ثلاثة أيام، لذلك طلبوا من بيلاطس أن يوضع ختم على القبر ويحرسه الجنود. لقد خاف اليهود أن يأتي تلاميذ يسوع "ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى!" (مت ٢٧: ٦٤). فأمر بيلاطس الجنود أن يحرصوا على ضبط الأمر (الآية ٦٥). فبهذا لا يكون هناك فرصة أمام تلاميذ أن يأخذوا الجسد من القبر.

القيامة

في أذهان التلاميذ بدأ آخر أسبوع من حياة الرب يسوع بدخوله الانتصاري المجيد إلى أورشليم لكنه انتهى في يأس مع موته على الصليب. إن كل شيء بدا مؤخراً واعداً للغاية صار الآن مستحيلاً. لقد كان الصليب مأساة قوية لدرجة جعلت التلاميذ ينسون ما قاله لهم معلمهم عن أنه سوف يقوم بعد ثلاثة أيام. ومن الواضح أنهم لم يفهموا المعنى الكامل لتعاليمه، "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب: أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" (يو ٢٠: ٩).

وحيث أن موت يسوع حدث قبيل عطلة السبت، فلم يكن هناك وقت يكفي لإنجاز كل طقوس دفنه؛ لذلك قرر التلاميذ العودة بعد السبت لاستكمال عادات وطقوس الدفن.

"وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فقال الملاك للمرأتين: لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه" (مت ٢٨: ١-٦؛ قارن مر ١٦: ١-٦؛ لو ٢٤: ١-٧).

لأن الموت لم يكن قادراً على السيطرة عليه، فقد تحققت النبوءة المتعلقة بالمسيح والقائلة عن الله "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية[شؤول]" (مز ١٦: ١٠؛ قارن أع ٢: ٢٧، ٣١). وتشير كلمة "شؤول Sheol" في العهد القديم إلى مكان الموتى، وليس لمكان العقاب الأبدي: "لن تدع تقيك يرى فساداً" (مز ١٦: ١٠). وكما تنبأ يسوع عدة مرات، فقد قام من الأموات. وهذا قدم دليلاً لا شك فيه أن يسوع هو المسيح (رو ١: ٤) وجعل من الممكن استكمال عملية فداء الإنسان. إن يسوع "أقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥)، وهذا اكتمل بظهوره "الآن أمام وجه الله لأجلنا ... ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب ٩: ٢٤، ٢٦).

لم تستوعب النساء ولا التلاميذ ما حدث عند القبر الفارغ. فذهبت النساء لتخبرن التلاميذ عن القبر الفارغ. ومع ذلك، "تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن" (لو ٢٤: ١١).

وفيما بعد في نفس اليوم كان اثنان من التلاميذ يسافران إلى قرية اسمها عمواس. "وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث. وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما. ولكن أمسكت أعينهما عن

معرفته" (لو ٢٤: ١٤-١٦). واستفسر منهم عما يتحدثون عنه. فسألاه بحزن:

"هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام؟ فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكراً عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات: إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي. ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضا النساء وأما هو فلم يروه. فقال لهما: أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو ٢٤: ١٨-٢٧).

وفيما بعد، عندما كان يسوع مع هذين التلميذين على العشاء، "انفتحت أعينهما وعرفاه " (لو ٢٤: ٣١)، ولكن لحظتها اختفى عنهما. فأسرع التلميذان وعادا إلى أورشليم ووجدا التلاميذ الأحد عشر. وكانوا يقولون لهما بحماس: "إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان!" (الآية ٣٤). وعندما كان التلميذان المسافران يقصان ما حدث معهما، آتي يسوع ووقف وسطهم. فجزعوا وخافوا للغاية، لذلك سألهم يسوع: "ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يدي ورجلي: إني أنا هو. جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٨، ٣٩؛ قارن مت ٢٨: ١٦، ١٧؛ مر ١٦: ١٤).

ثم شرح الرب يسوع لمجموعة التلاميذ:

"هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.

وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو ٢٤: ٤٤-٤٩).

وكما قال يسوع، "كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث" (لو ٢٤: ٤٦). وعلى الصليب صرخ يسوع عند نهاية آلامه قائلاً: "قد أُكمِلَ" (يو ١٩: ٣٠). لقد أنهى موته عمل الفداء. إذ كان هو حمل الله، الذي "بلا عيب" (عب ٩: ١٤)، الذي سفك دمه ليفدي الإنسان من خطيته. وكما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين "بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً" (عب ٩: ١٢؛ قارن الآية ٢٦، ٢٨). ولكن كان هناك جزء آخر مكمل لموت يسوع، وهو قيامته. كما كتب بولس الرسول أن يسوع ربنا "أُسلِمَ [قُدِمَ للموت] من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥؛ قارن ٢كو ٥: ٢١). لذلك فإن قيامته أمر شديد الأهمية: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم!" (١كو ١٥: ١٧؛ قارن الآية ١٤).

الصعود

ظهر الرب يسوع مرات عديدة أخرى لأتباعه خلال الأربعين يوماً بعد صلبه (أع ١: ٣). وأخيراً، بينما كان مجتمعاً مع الرسل عند جبل الزيتون بالقرب من بيت عنيا، حانت لحظة صعوده. فشرح لهم أن الروح القدس سوف يأتي ليعطيهم القوة ليكونوا شهوداً له في أورشليم وفي اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.

"ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض. وقالا: أيها

الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء" (أع ١: ٨-١١).

الفصل الرابع

تفسير الفداء

المقدمة

عندما "ارتفع [يسوع المسيح] وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم" (أع ١: ٩)، انتهت خدمته على الأرض بعد أن استمرت طوال حوالي ثلاث سنوات. وكانت هذه اللحظة بمثابة إشارة الانطلاق لملكوت الله وللكنيسة. لقد قَبِل التلاميذ التكليف العظيم من الرب يسوع. إذ قال لهم: "دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ١٨-٢٠).

لم يترك الرب يسوع أتباعه وحدهم لتنفيذ مهمة الكرازة للعالم. فقد وعدهم من قبل بأن يرسل لهم المعزي، "الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٦). كما كرر لهم هذا الوعد قبيل صعوده عنهم: "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٨). والآن، دعنا نلقي نظرة على بعض الرسائل التي قدمها الرسل.

عظة يوم الخمسين

بعد أن قَبِل التلاميذ الروح القدس في يوم الخمسين، راحوا يتكلمون بلغات عديدة كما أرشدهم الروح. وهذا الأمر أدهش اليهود الذين كانوا يزورون أورشليم من بلدان عديدة، حيث أنهم سمعوا التلاميذ يتحدثون بلغاتهم. وتساءل البعض في حيرة

وارتباك: "ما عسى أن يكون هذا؟" (أع ٢: ١٢؛ قارن يوئيل ٢: ٢٨-٣٢). وتجاوب البعض الآخر بأن ظنوا أن التلاميذ كانوا سكارى من شرب الخمر.

عندها وقف بطرس الرسول وقدم عظته الأولى لكي يشـــرح ما الذي حدث. إذ لم يكن التلاميذ سكـــارى، كما ظن البعض، ولكنهم قَبِلوا ما تنبـــأ عنه النبي يوئيل (أع ٢: ١٦-٢١). وتحدث بطرس عن حياة الرب يسوع وآلامه وموته، وعن تحمل اليهود مسئولية قتله. كما تحدث أيضاً عن قيامة يسوع وتمجيده، مبيناً أن ما حدث له كان بحسب ما جاء في الكتب المقدس. واختتم بطرس رسالتـــه بهذه الكلمات: "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (الآية ٣٦). لقد كان يسوع هو المسيا الذي انتظره بنو إسرائيل طويلاً، أي أنه هو المسيح (المسيح هو الترجمة العربية للكلمة العبرية مسيا أو مشيحا).

كانت رسالة بطرس مؤثرة للغاية في قلوب السامعين من اليهود. فصرخوا في حزن وكرب: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أع ٢: ٣٧). فقال لهم بطرس: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب إلهنا" (الآية ٣٨، ٣٩).

ظل التلاميذ يعظون ويقدمون الرسالة الجوهرية عن آلام المسيح وموته على الصليب مراراً وتكراراً؛ حيث كانت تلك هي الرسالة المركزية للكنيسة المبكرة. لم يكن صليب يسوع يعني الهزيمة كما ظنوا في البداية. لكن موته كان أساساً لتحقيق الفداء للبشرية. وفيما يلي اقتباسات من سفر الأعمال تظهر أن موت وقيامة الرب يسوع المسيح كانت قلب رسالة الكنيسة المبكرة.

ورئيس الحياة قتلتموه [أي اليهود] الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك (أعمال ٣: ١٥).

باسم يســـوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقـــامه الله من الأمـــوات ... هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص (أعمال ٤: ١٠-١٢).

إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة. هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا (أعمال ٥: ٣٠، ٣١).

مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خـــروف صامت أمـــام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه ... فابتدأ فيلبس من هذا الكتاب يبشره بيسوع (أعمال ٨: ٣٢، ٣٥).

الذي أيضا قتلوه معلقين إياه على خشبة. هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ... له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا (أعمال ١٠: ٣٩، ٤٠، ٤٣).

ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا. إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع ... وأما الذي أقامه الله فلم ير فساداً. فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى (أعمال ١٣: ٣٢-٣٩).

فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات وأن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به (أعمال ١٧: ٢، ٣).

فقابله قوم من الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين وقال بعض: ترى ماذا يريد هذا المهذار [بولس] أن يقول؟ وبعض: إنه يظهر منادياً بآلهة غريبة - لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة (أعمال ١٧: ١٨).

لأنه [الله] أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل [يسوع] قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات (أعمال ١٧: ٣١).

وأنا لا أقول شيئا غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون: إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعا أن ينادي بنور للشعب وللأمم (أعمال ٢٦: ٢٢، ٢٣).

الفداء بواسطة المسيح

توضح النصوص الكتابية السابقة أن موت المسيح أمر مركزي في رسالة الإنجيل. فلماذا كان موت المسيح بمثل هذه الأهمية؟

لقد أدت خطية الإنسان في جنة عدن إلى كسر الشركة والصلة الوثيقة بين الله والإنسان. ومن وقتها رفض الإنسان أن يخضع لإرادة الله وجعل نفسه عدواً لله. لذلك قال الله لشعبه: "أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها. أنا الرب إلهكم. فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها. أنا الرب" (لا ١٨: ٤، ٥). ولكن استجابة الإنسان جاءت في صورة تعدٍ على الشريعة (١يو ٣: ٤)، وهذا يظهر أن الإنسان أصبح معادياً لله وصار في حالة "عداوة لله" (رو ٨: ٧). كما أن قداسة الله تعني أنه لا يمكن أن يتسامح مع الخطية ومع وجود الشر. حيث أن قداسة الله تستلزم منه أن يفصل نفسه عن الخطية وبالتالي عن الإنسان الخاطئ. والسبيل الوحيد لإمكانية اجتماع الاثنين معاً من جديد كان بواسطة عمل يقوم به الله، يزيل به العداوة ويجلب المصالحة بين الطرفين المتباعدين.

لماذا أراد الله إزالة الحاجز بينه وبين الإنسان رغم أن الإنسان هو من الذي لم يقبل كلمة الله بالإيمان واستمع لإبليس في الجنة؟ لقد كان الدافع وراء ذلك هو المحبة. وأبرز قول كتابي يذكر ذلك هو: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). وقد أعاد يوحنا

الرسول ذكر ذلك في رسالته الأولى: "بهذا أظهرت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو ٤: ٩، ١٠). إن محبة الله تسترد الإنسان إلى علاقته الأصلية: "أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله! من أجل هذا لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه" (١يو ٣: ١). "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو ٤: ١٩). نحن نطيع الله "فإن هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه" (١يو ٥: ٣).

وبالمثل، يكتب بولس الرسول: "ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨). "لأن محبة المسيح تحصرنا. إذ نحن نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع. فالجميع إذا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٤، ١٥). "واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا، قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة" (أف ٥: ٢). "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ... بمقتضى رحمته، خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تي ٣: ٤، ٥). ومن ثم فينبغي علينا نحن المؤمنين أن نتذكر هذه المحبة التي قدمها الله لنا.

كان دم يسوع المسيح المسفوك هو الأساس لمصالحة الإنسان مع الله. وقد رأينا من قبل أنه عند ميلاد يسوع، تنبأ ملاك الرب قائلاً: "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت ١: ٢١). كما تحدث الرب يسوع عن مهمته عندما قال إنه جاء "ليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٨؛ قارن مر ١٠: ٤٥)؛ "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢: ١٩)؛ و"أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠: ١١؛ قارن الآية ١٥، ١٨).

وقبل أن نفحص بعض الشروط التي انطبقت على موت يسوع، دعنا نتعرف على بعض النصوص الكتابية التي تتحدث عن موته.

الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء؟ (رو ٨: ٣٢).

من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضا الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضا يشفع فينا (رو ٨: ٣٤).

لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن. لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات (رو ١٤: ٨، ٩).

فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله (رو ١٤: ١٥).

فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله (١كو ٨: ١١).

فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب (١كو ١٥: ٣).

الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا (غل ١: ٤).

ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح (أف ٢: ١٣).

فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله. لكنه أخلى نفسه، آخذا صورة عبد، صائرا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢: ٥-٨).

لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه (١تس ٤: ١٤).

لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع، الشهادة في أوقاتها الخاصة (١تي ٢: ٥، ٦).

منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة (تي ٢: ١٣، ١٤).

وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله (عب ١٠: ١٢).

لذلك يسوع أيضاً، لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب (عب ١٣: ١٢).

ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١يو ١: ٧).

بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة (١يو ٣: ١٦).

وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه، لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ ٥: ٩).

تستخدم هذه النصوص الكتابية العديد من التعبيرات الفنية لتشرح ما حققه موت يسوع المسيح. وهذه التعبيرات هي الفداء، الفدية، الكفارة، والمصالحة. والآن دعنا نفحص هذه التعبيرات.

الفداء

يستخدم تعبير ***الفداء*** ليصف الأثر الناتج عن موت المسيح. والمعنى الأساسي له هو "إعادة الشراء". والمصطلح اليوناني apolutrosis الذي يُترجم "الفداء"، يبرز معنى إطلاق سراح الأسير بأن يقوم شخص آخر بدفع فدية عنه. وبمعنى أكثر اتساعاً

يتضمن ذلك الخلاص من العقوبة، أي أن الفداء ينطوي ضمنياً على الخلاص من عواقب خطايانا. ويستخدم الكتاب المقدس "الثمن" بهذا المعنى حين يقول إننا "اُشترينا بثمن" (١كو ٦: ٢٠؛ قارن ٧: ٢٣) و"ينكرون الرب الذي اشتراهم" (٢بط ٢: ١).

هناك الكثير من النصوص الكتابية التي تدل على أن الفداء حدث بواسطة موت المسيح. فقد كتب الرسول بولس: "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله" (رو ٣: ٢٤، ٢٥)؛ "الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته، التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أف ١: ٧، ٨)؛ "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا" (كو ١: ١٣، ١٤).

وقد جاء في الرسالة إلى العبرانيين عن يسوع المسيح: "بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً ... ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون – إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول – ينالون وعد الميراث الأبدي" (عب ٩: ١٢، ١٥).

كما يستخدم الفعل افتدي أيضاً في عدة فقرات لكي يصف مفهوم الفداء: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس" (غل ٣: ١٣)؛ "أرسل الله ابنه ... ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني" (غل ٤: ٤، ٥)؛ "مخلصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تي ٢: ١٣، ١٤)؛ و"عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، ... بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١بط ١: ١٨، ١٩). لقد ذُبِح الحمل وافتدانا لله بدمه (رؤ ٥: ٩).

الفدية

لقد تم استرداد الإنسان إلى الله بواسطة الفدية. وتعني كلمة فدية أن شيئاً ذا قيمة كبيرة يدفع لتحرير أو إطـــلاق أسير. ويمكننا أن نلاحظ استخـــدام هذه الكلمة في خر ٢١: ٣٠ وأم ١٣: ٨. استخدم الرب يسوع هذا المصطلح تعليقاً على ما قاله اثنان من التلاميذ إذ طلبا مكان الصدارة، فقال يسوع لكل التلاميذ: "من أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٧، ٢٨؛ قارن مر ١٠: ٤٥). بعد ذلك، أثنـــاء العشاء الأخير، أوضح يســـوع معنى الفدية. فعندما تكلم يسوع عن الكأس قـــال: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفـــك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨؛ قارن مر ١٤: ٢٤؛ لو ٢٢: ٢٠). وهكذا فإن بذل يسوع لحياته، الذي تجلى في سفك دمائه، سوف يفدي وينتج عنه مغفرة لخطايا كل الذين يتوبون ويؤمنون.

كان بولس الرسول يستخدم مفهوم الفـــدية عندما كتب أننا "اشترينا بثمن" (١كو ٦: ٢٠، ٧: ٢٣) وأن "يوجد إله واحد وشفيع واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه *فدية* لأجل الجميع" (١تي ٢: ٥، ٦). كما كتب الرسول بطرس إلى المسيحيين في الشتات قائلاً لهم: "عالمين أنكم *افتديتم* لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١بط ١: ١٨، ١٩).

لكن مفهوم الفدية يثير تساؤلاً: لمن تم دفع الفدية؟ يصعب الإجابة عن هذا السؤال لأن الكتاب المقدس لا يمنحنا جواباً مباشراً له. لقد علَّم كُتَّاب العهد الجديد وكذلك آباء الكنيسة المبكرة أن الفدية كانت تأكيداً على أن شخصاً آخر غير الإنسان دفع الثمن لأجل إطلاق سراح البشر من عواقب الخطية، وأن هذا الإطلاق تكلف ثمناً

باهظاً، أغلى ثمن ممكن، وهو دم ابن الله الوحيد. وهذا أرضى حكم أو عدالة الله وأطلق الإنسان الخاطئ حراً قادراً على الدخول في شركة مع الله.

لم يضع العهد الجديد أو الكنيسة المبكرة نظرية لاهوتية لتوضيح لمن تم دفع الفدية. إذ كان لدى الكنيسة المبكرة رغبة في قبول حقيقة الفداء والتركيز على هذه الحقيقة دون أن يخطر ببالها أن تفسر تفاصيل تلك العملية. غير أنه توجد العديد من النظريات التي تحاول تفسير معنى عملية الفداء والفدية، لكن معظمها به قصور طالما أن الكتاب المقدس صمت تجاه هذا الأمر.

الكفارة

هناك مصطلح آخر تم استخدامه في النسخ الإنجليزية الأقدم مثل (KJV, ASV وغيرهما) بالارتباط مع موت المسيح، وهو مصطلح الكفارة أو التكفير. يعرف قاموس وبستر هذا المصطلح كما يلي: "السلوك الذي فيه يتم التعويض أو الكفارة، و"أن تقوم باسترضاء كامل لـــ؛ أو تكفير عن الذنب؛ كما في حالة التكفير عن الخطية". الفكرة التي تكمن وراء الكفارة هي أنه من خلال موت المسيح فإن غضب الله المقدس ضد الخطية تم إرضاؤه حتى يمكن أن يعود الله مرة أخرى ويقبل الإنسان. وحيث أن "المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب" (١كو ١٥: ٣)، فإننا نتوقع أن نجد في العهد القديم معلومات عن موت المسيا الآتي. وبالفعل نحن نجد هذه المعلومات هناك، إذ كان "مشهوداً له من الناموس والأنبياء" (رو ٣: ٢١).

إن كلمة الكفارة المستخدمة في رومية ٣: ٢٥؛ و١يوحنا ٢: ٢؛ ٤: ١٠، كمثل الكثير من تعبيرات العهد القديم، تأتي من مصطلح خاص بالترجمة اليونانية للعهد القديم (الترجمة السبعينية) يعني غطاء كرسي الرحمة. لقد كانت الشريعة تستلزم أن يموت الخاطئ بسبب خطاياه. وكان يوم الكفارة هو اليوم الذي يتم فيه تحقيق هذا المطلب

بالنسبة لبني إسرائيل، عندما كان رئيس الكهنة يأخذ "التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع" (لا ١٦: ٧). وهناك يُجري قُرعَة لتحديد أي تيس كان يخصص "للرب" وأيهما سوف يكون "لعزازيل" (الآية ٨). يُقدم التيس الذي يقع في قُرعةِ الرب كذبيحة خطية. ويقوم رئيس الكهنة برش دمه على كرسي الرحمة على غطاء تابوت العهد الذي يوجد في قدس الأقداس (لا ١٦: ١٣، ١٤؛ خر ٢٥: ١٧-٢٢؛ عب ٩: ٥). ويرمز الدم لحياة الجسد؛ لذا حينما يخرج الدم من الجسد عندها يحدث الموت. وهذا الدم *يغطي* خطايا الشعب حتى تأتي آلام المسيا وذبيحته التي سوف تزيل تلك الخطايا للأبد. أما التيس الثاني فكان يُطلَق في البرية رمزاً لإزالة الخطايا بواسطة ذبيحة المسيح الآتي.

من هنا فإن مصطلح الكفارة هو مفهوم مستمد من العهد القديم. وقد شرح كاتب الرسالة إلى العبرانيين كيف ترتبط الحقائق الموجودة في العهد الجديد مع العهد القديم. فبعد أن شرح بإيجاز قواعد خيمة الاجتماع، ذهب كاتب العبرانيين إلى وصف كيف أن رئيس الكهنة كان يأخذ الدم مرة فقط في السنة "يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب" (عب ٩: ٧). وتماماً كما أن رئيس الكهنة يمكنه الدخول إلى قدس الأقداس فقط على حساب دم الذبيحة، هكذا المسيح جاء إلى خيمة الاجتماع السماوية، وهناك "بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداء أبدياً" (الآية ١٢). لقد كانت ذبيحة المسيح أكثر فعالية بما لا يقارن. فإنه إذا كان بحسب الشريعة أن "دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب" (الآية ١٣، ١٤). لأن المسيح "يبطل الخطية بذبيحة نفسه ... هكذا المسيح أيضاً ... قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين" (الآية ٢٦، ٢٨). لم يدخل المسيح إلى قدس الأقدس الأرضي، "بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (الآية ٢٤).

كما ذكرنا من قبل، فإن ذبيحة المسيح أبطلت الخطية. وفي إطار العهد القديم، كانت الذبيحة تغطي فقط الخطايا من أمام عين الله. وهذا الغطاء هو معنى كلمة كفارة الموجودة في العهد القديم.

وفي الأصحاح التالي يعيد الكاتب تكرار ما قاله بأن في العهد القديم كان "دم الثيران والتيوس" يُطهِر الإنسان مؤقتاً (عب ١٠: ٤). لكن المسيح صار هو حمل الفصح و"قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة" (الآية ١٢). "بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (الآية ١٤). وهكذا فإن آلام المسيح تحمي الخاطئ التائب من غضب الله وتطهر ضميره حتى يستطيع أن يخدم الله. وأما الرب يسوع، فبعد تقديمه لنفسه ذبيحة، "جلس إلى الأبد عن يمين الله" (الآية ١٢).

قدم بولس الرسول عبارة شديدة الإحكام حول موت المسيح الكفاري في رسالة رومية حينما كتب: " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" (رو ٣: ٢٤-٢٦). حقاً لقد كان دم ذبيحة المسيح هو الذي أرضى بر الله وجعل الإنسان الخاطئ قادراً من جديد على الدخول إلى محضر الله.

كذلك كتب يوحنا الرسول عن الكفارة: "يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢: ١، ٢)؛ و"في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (٤: ١٠).

إن المصطلح اليوناني لكلمة كفارة في رومية ٣: ٢٥ يُترجم مصالحة في الرسالة إلى العبرانيين. إذ يقول إن يسوع "وضع قليلا عن الملائكة ... من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. لأنه ... رئيس خلاصهم بالآلام ... من ثم

كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً، ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب" (عب ٢: ٩، ١٠، ١٧).

موت المسيح كآلام، وليس كعقاب

كذلك كان موت المسيح نيابياً (أي أن المسيح عمل شيئاً بديلاً عنا على الجلجثة)، أي أنه تألم ومات بديلاً عن الخطاة لكي ينالوا الحياة الأبدية. هذا العمل الاستبدالي أو العوضي أعلنه النبي إشعياء قبل ستمائة سنة من ميلاد المسيح في بيت لحم، الذي "رأى مجده [مجد المسيح] وتكلم عنه" (يو ١٢: ٤١). يقول إشعياء:

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا (إشعياء ٥٣: ٤-٦).

بعد قيامة يسوع، ظهر إلى اثنين من تلاميذه كانا في طريقهما إلى عمواس، وتكلم معهما عن نبوءة العهد القديم، وقال لهما: "هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث" (لو ٢٤: ٤٦). كما تكلم يسوع مرات عديدة أثناء خدمته على الأرض عن آلامه: "ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً ... ويقتل" (مت ١٦: ٢١؛ قارن مر ٨: ٣١؛ لو ٩: ٢٢)؛ "مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيرا ويرذل" (مر ٩: ١٢؛ قارن مت ١٧: ١٢)؛ " ولكن ينبغي أولا أن [يسوع] يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل" (لو ١٧: ٢٥)؛ "وقال لهم [يسوع] شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم" (لو ٢٢: ٢٥). كما تم إبراز آلام يسوع المسيح أيضاً في نصوص العهد الجديد الأخرى:

"وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيـــح قد تممه هكذا" (أعمال ٣: ١٨).

"بقيت [أنا بولس] إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير. وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون: إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات" (أعمال ٢٦: ٢٢، ٢٣).

ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكللا بالمجد والكرامة، من أجل *ألم الموت*، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام (عبرانيين ٢: ٩، ١٠).

مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي (عبرانيين ٥: ٨، ٩).

الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي *بجلدته* شفيتم (١بطرس ٢: ٢٤).

فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتا في الجسد ولكن محيى في الروح (١بطرس ٣: ١٨).

لقد ذكرت ترجمة KJV ثماني وعشرين مرة أن المسيح تألم لأجلنا. ولا يتحدث الكتاب المقدس أبداً عن المسيح أنه "معاقب" بسبب خطايا أو لأجل الخطاة. حيث أن مصطلح *العقاب* و*الآلام* لهما معنيان مختلفان تمام الاختلاف. فالعقاب يعني "اجتياز آلام أو خسارة أو معاناة لأجل جريمة أو فعل خاطئ"[١] بينما "الآلام" لا تتضمن الذنب. ويلخص جريدر Grider ما كتبه جون ميلي John Miley: "لما كان المسيح بلا خطية، فهو لذلك غير مذنب. وبالتالي، فإنه عندما مات لأجلنا، كان بذلك يتألم لكنه

---

(١) Webster, op. cit.

لم يُعَاقَب. وحيث أن آلامه كانت بديلة عن العقاب الذي كان من المفترض أن يلقاه المؤمنون في الجحيم، استطاع الآب حقاً أن يغفر لنا. من الواضح أن العقاب كان سوف يرضي عدل الله. لكن طالما تألم المسيح بدلاً من أن يعاقب، فالآب يمكنه حقاً أن يغفر لمن يتوبون."[٢] وكتب جريدر أن المسيح تألم جزئياً "لأن الله الآب يغفر لنا حقاً – بينما، لو أنه عاقب المسيح بدلاً منا، فعندها لن يتمكن من أن يغفر لنا. في عقاب المسيح الاستبدالي، كان سوف يتم إرضاء عدل الله، ولكن ذلك سيحول دون غفرانه. إذ لا يمكن لأي شخص أن يعاقب ويغفر، أليس كذلك؟"[٣]

كما كتب الرسول بولس: يسوع المسيح "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥). "لأن المسيح ... مات ... لأجل الفجار ... مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٦، ٨؛ قارن غل ١: ٤). هناك اختلاف بشأن كيفية ترجمة المصطلح اليوناني "huper"المترجم هنا "لأجل". هل يعني هذا المصطلح دائماً "نيابة عن" أم هل يمكن أن يعني ما يماثل المصطلح اليوناني anti الذي يُترجم "بدلاً عن؟" فيما يتعلق برومية ٥: ٦ و٨، في القاموس الجديد للغة اليونانية – الإنجليزية، كتب أرندت وجينجريتش Arndt and Gingrich بخصوص كلمة "huper": "تأتي هذه الكلمة عقب التعبيرات الدالة على المعاناة والآلام والموت وتكريس النفس، والموت لأجل شخص أو شيء، وخاصة موت المسيح لأجل أو نيابة عن البشر".[٤] وكتب فينسنت Vincent: "هناك جدل كبير حول كلمة "huper" التي تعني نيابة عن، وأنها مساوية تماماً لكلمة anti "بدلاً عن".

---

(٢) J. Kenneth Grider, A Wesleyan-Holiness Theology, Kansas City: Beacon Hill of Kansas City, 1994, p. 330. Ref. John Miley, The Atonement in Christ, New York: Hunt and Eaton, 1889, pp. 167ff.

(٣) Ibid., p. 331.

(٤) Arndt and Gingrich, op. cit., p. 838.

بعد أن قدم فينسنت عدة أمثلة من الكتابات الكلاسيكية وكتابات آباء الكنيسة، كتب: "أي من هذه الفقرات لا يمكننا أن نعتبرها حاسمة. وأكثر ما يمكننا قوله هو أن "huper". توسع من معنى كلمة anti، فتعبير "بدلاً عن" يظهر على نطاق واسع على أسس عقائدية. ولكن في الغالبية العظمى من الفقرات يكون المعنى بوضوح "هو لأجل" أو "نيابة عن". ويبدو أن التفسير الصحيح لهذا هو: في الفقرات التي نناقشها الآن (رو ٥: ٦)، فيما يتعلق بموت المسيح ... تمثل [huper] الافتراض الأكثر عمومية واتساعاً – المسيح مات نيابة عن – تاركاً المعنى المميز الخاص بـــ بدلاً عن ضعيفاً، ويحتاج إلى تدعيمه بواسطة فقرات أخرى. ربما يكون المعنى "بدلاً عن" متضمناً فيه، ولكن ذلك بصورة استنتاجية فقط. يقول فنسنت: "يمكن لهذا الافتراض أن يعني فقط معنى "نيابة عن". إنه يشير إلى النهاية، وليس لكل طبيعة عمل الفداء. "[٥] سوف يبدو أن تعبير بولس يعني بوضوح أن موت المسيح كان نيابة عن الإنسان، "بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً" (رو ٥: ١٩). كما قال كاتب العبرانيين: إن يسوع " نراه مكللاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (عب ٢: ٩).

كان الرب يسوع بالتأكيد هو "حمل الله الذي يرفع خطايا العالم" (يو ١: ٢٩؛ ١بط ١: ١٨، ١٩) كما تمم نبوءة إشعياء النبي الذي "رأى مجده [مجد المسيح] وتكلم عنه" (يو ١٢: ٤١). وكما سبق أن ذكرنا، فقد كتب إشعيـــاء: "لكن أحزاننـــا حملها ... وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا" (إش ٥٣: ٤-٥). كل هذه التعبيرات تظهر مدى معاناته. لقد آتى المسيح إلى العالم لكي يتألم بحسب مشيئة الآب، الذي "سُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن

---

[٥] Marvin R. Vincent, Word Studies in the New Testament, Peabody, Mass.: Hendrickson, III:59, 60.

جعل نفسه ذبيحة إثم" (الآية ١٠). وعندما مات المسيح على الصليب أبطل "الخطية بذبيحة نفسه" (عب ٩: ٢٦؛ قارن ١٠: ١٢).

هناك نص كتابي لبولس الرسول يرى البعض أنه يُعلِّم بأن المسيح أخذ خطايانا ونال العقاب عليها بأن صار بديلاً عنا، رغم أنها لا تذكر صراحةً أن المسيح أخذ على نفسه خطايا الإنسان. لقد كتب بولس أن الله "جعل الذي لم يعرف خطية [يسوع]، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو ٥: ٢١). يصعب علينا فهم هذه العبارة القائلة بأن "يسوع صار خطية لأجلنا". وهناك تفسيران لهذه الآية. يرى التفسير الأول أن الله جعل المسيح "خطية" بأن نسب خطية الإنسان إليه. أما التفسير الثاني فيقوم على أن "كون المسيح صار خطية" تشير إلى معنى بديل لكلمة "hamartia" الموجود في ترجمة العهد القديم باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) التي كان يستخدمها الرسل والكنيسة المبكرة، وهي تعني أن موت المسيح كان "ذبيحة إثم". وسوف نناقش التفسير الأول فيما يلي، أما التفسير الثاني فسندرسه في القسم الثاني.

يعتنق التفسير الأول التيار الذي يتمسك بنظرية العقاب (التي تُعرف أيضاً بنظرية الاستبدال العقابي) وهي نظرية ذات أساس تشريعي كان أول من ناصرها القديس أغطسينوس ونالت شهرتها خلال عصر الإصلاح على يد جون كالفن. وترى هذه النظرية أن الإنسان، بسبب خطاياه، صار مستوجباً لغضب الله ولعنته. ونتيجة لطبيعة الله المقدسة والعادلة، توجب على الله أن يعاقب البشر نتيجة لاستحقاقهم لذلك. ومن أجل إرضاء عدالة الله البارة، اتخذ ابنه طبيعة الإنسان، وعاش تحت الناموس وتمم كل بر. وتحمل المسيح البار، الذي بلا خطية، خطية الإنسان (إذ جعله الله "خطية")، وتحمل هو العقاب عن خطايانا عندما مات على الصليب. وهكذا جاء صليبه لكي يتمم مطالب ناموس الله، ويزيل عقوبة الموت التي واجهها الإنسان نتيجة لخطاياه، ومن ثم، صار من الممكن للإنسان أن يلقى فداءً.

تعني هذه النظرية أن الله جعل يسوع "خطية". ومن الواضح أن الله الآب لا يمكنه حرفياً أن يجعل ابنه "خطية". إذ لم يسبق أبداً تصوير الله باعتبار أنه مصدر الخطية. وبالتالي، عَمِلَ البعض على تخفيف هذه النظرية بأن قالوا إن الله لم يجعل يسوع حرفياً "خطية"، ولكن يمكن اعتبار يسوع تجسيداً للخطية بطريقة استعارية؛ أي أنه أصبح *خطية* لأجلنا. بمعنى رمزي وبطريقة استبدالية، أُدينت الخطية على الصليب عندما حملها المسيح وتوحد معها. لقد تعامل الله مع خطايانا على الصليب عندما مات المسيح لأجلنا، وفي مكاننا.

توجد صعوبات عديدة تواجه تفسير "الخطية" السابق ذكره. أولاً، إن هذا التعليم لا يوجد سند له في العهد الجديد اليوناني أو العهد القديم العبري. إذ لا يُعَلم العهد الجديد أي شيء عن انتقال خطايا الإنسان أو ذنبه إلى المسيح. وكما سبق أن ذكرنا، لو أن يسوع حمل ذنب خطايا الإنسان، فقد كان من المفترض أن ينال العقاب. وهناك صعوبة أخرى تتعلق بأن هذا التفسير يشوه ما فعله المسيح على الصليب. فإذا كانت كل خطايانا (في الماضي والحاضر والمستقبل) نُقِلت إلى المسيح، وقد نال العقاب عليها، فلا يمكن أن يتم معاقبة الإنسان من جديد عليها. وهذا يقود إما إلى أن جميع الناس قد نالوا الخلاص، وهذا ما يتناقض مع الكتاب المقدس (فبالتأكيد ليس الجميع مُخَلَصون)، أو قد يقود إلى أنه نتيجة لسبب غير معلوم، اختار الله مجموعة محددة من الناس لكي ينالوا الخلاص. وهذا يعني أن البعض يجب أن يكونوا قد تم تعيينهم أو اختيارهم مسبقاً للحياة الأبدية والبعض الآخر للدينونة الأبدية، والمختارون سوف يضمنون الأبدية بغض النظر عما يفعلونه. وبالتأكيد كلا الأمرين لا يعلم بهما الكتاب المقدس.

كيف تم التعامل مع آلام المسيح؟

بأي معنى كانت آلام المسيح وموته ذات طبيعة نيابية؟ قبل أن نناقش ذلك، دعنا

نتذكر بأن علينا ألا نُغرِق أنفسنا في هذا السؤال طالما أن الكتاب المقدس لا يقدم لنا إجابات واضحة حول كيف تعامل الله مع موت المسيح على الصليب. يحاول الكثير من المسيحيين أن يصيغوا نظرية لشرح عمل المسيح على الصليب. غير أن هذه الجهود لا تؤدي إلا إلى نفع ضئيل طالما أن الكتاب المقدس، كما رأينا من قبل في هذا الفصل، كان يستخدم مفاهيم عديدة لشرح عمل المسيح لأجل الإنسان. ومن الواضح أنه لا يوجد مصطلح واحد أو نظرية بسيطة واحدة تشرح عمل المسيح؛ ولذلك دعنا نكون حذرين لئلا نفرض أي نظرية على الكتاب المقدس. ولكن علينا، في المقابل، أن نركز أعيننا على كل ما يتكلم عن موت المسيح في الكتاب المقدس.

يوجد على الأقل نصان كتابيان يؤكدان مباشرةً أن المسيح حمل خطايا الإنسان. إذ تذكر رسالة العبرانيين ٩: ٢٨: "هكذا المسيح أيضا ... قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين". كما كتب الرسول بطرس بطريقة مماثلة أن المسيح كان "حمل بلا عيب ولا دنس" (١بط ١: ١٩)، "الذي لم يفعل خطية، ... الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شفيتم" (٢: ٢٢، ٢٤). "المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتاً في الجسد ولكن محيى في الروح" (٣: ١٨). فبواسطة آلام الموت الجسدي "للعادل" (المسيح) من أجل "الظالم" (الإنسان)، صار المسيح ذبيحة لكي يفدي ويفتدي الإنسان لكي لا يتوجب عليه أن يتعذب بحسب العقاب الذي يستحقه في بحيرة النار. يمكن للبار والبريء أن يتألم. فبواسطة ذبيحة المسيح الذاتية، صار شفيعاً للإنسان بأن سكب نفسه على الصليب، ومن ثم جعل دمه ذبيحة مقبولة عن الخطية حتى يتمكن الله من أن يغفر للخطاة بدلاً من أن يعاقبهم (انظر لا ٤: ٢٠، ٢٦، ٣١، ٣٥؛ وآيات أخرى؛ إش ٥٣: ٦، ١١، ١٢).

يجدر بنا هنا أن نذكر أن فكرة أن المسيح "حمل خطايا الكثيرين" وأنه "حمل في نفسه خطايانا" لا تعني أنه تعرض للعقاب عن خطايانا. فإن ذبيحة المسيح وآلامه باعتباره حَمَل الله، الذي يرفع خطايا العالم (يو ١: ٢٩)، تتمم صورة التيس الذي كان يتم إطلاقه وهو يحمل "عليه كل ذنوبهم" إلى البرية (لا ١٦: ٢٢). لقد بذل المسيح حياته على الملأ كذبيحة لكي يحمل أو يرفع خطايا الكثيرين على المذبح.[٦]

يرى المؤلف أن التفسير الثاني لـــ (٢كو ٥: ٢١) المذكور في القسم السابق، والقائل بأن يسوع جُعِلَ "ذبيحة خطية لأجلنا،" هو تفسير صحيح. فذبيحة الخطية هي معنى بديل لـــ hamartia الموجودة في النسخة اليونانية من العهد القديم. وحيث أن الرسل والكنيسة في كورنثوس كانوا يستخدمون بشكل أساسي النسخة السبعينية، فهم بالتأكيد فهموا أن hamartia ربما تعني ذبيحة خطية. ولم تكن هذه الفقرة غامضة أو مبهمة أو صعبة الفهم بالنسبة لهؤلاء المسيحيين الناطقين باللغة اليونانية الذين استقبلوا هذه الرسالة، أو لغيرهم من المسيحيين المبكرين الذين أطلعوا عليها فيما بعد.

يُدَعِّم كلارك Clarke هذا الرأي بأنه ينبغي هنا ترجمة hamartia "ذبيحة خطية". وقد كتب أن هذه الكلمة "تأتي كترجمة لكلمتي chattarh و chattach في النص العبري؛ وهي تعطي كلاً من معنى الخطية وذبيحة الخطية في عدة أماكن متفرقة في أسفار موسى الخمسة. والترجمة السبعينية اليونانية تترجم الكلمة العبرية hamartia في ٩٤ مكاناً في سفر الخروج، واللاويين والعدد، وفيها يكون المعنى هو ذبيحة الخطية؛ ولذلك فإن الترجمات الحديثة لا تترجم الكلمة *خطية* بل "ذبيحة خطية" (انظر تعليقاته في .loc).[٧] ويدعم هذه الترجمة ما جـــاء في نبوءة إشعياء الأصحاح الثالث

---

(٦) H. Orton Wiley, The Epistle to The Hebews, Kansas City: Beacon Hill, 1984, pp. 277, 78.

(٧) Adam Clarke, Clarke's Commentary, New York: Abingdon, n.d., VI:338.

والخمسين: "أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم [خطية]" (الآية ١٠).

وهناك آخرون أيضاً يساندون التفسير الخاص بذبيحة الخطية. فقد كتب أرندت وجينجريتش: "ربما تعني [hamartia] معنى مساوياً لتعبير ذبيحة الخطية هنا، كما في لا ٤: ٢٤".[٨] أيضاً أ. أ. هوج A. A. Hodge، وهو لاهوتي مشيخي وكالفيني كان يُحاضر في كلية لاهوت برنستون، فهو يساند تفسير ذبيحة الخطية. إذ كتب: "الله جعله [أي المسيح]، الذي لم يعرف خطية، ذبيحة خطية لأجلنا حتى نصير بر الله فيه".[٩]

وهناك سند آخر لترجمة ذبيحة الخطية نجده في استخدام بولس الرسول لكلمة hamartia في رو ٨: ٣: المسيح جاء "لأجل الخطية [hamartias]، دان الخطية في الجسد". والتعبير "لأجل الخطية" يتم ترجمته في ترجمة NIV "ليكون ذبيحة خطية" (قارن الحواشي السفلية لترجمة NAB، وأيضاً ASV, NASV and RSV)؛ وفي ترجمة NEB تأتي "ذبيحة للخطية". ويؤيد أرندت هذه الترجمات،[١٠] وكذلك يفعل الكثير من المفسرين (قارن Wm. Black, F. F. Bruce, Adam Clarke, Wm. Newell, J. C. Wenger, et al.). كما يدعم هذا الرأي أيضاً ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٨: عن أن المسيح "سيظهر ثانية بلا خطية [hamartias] للخلاص للذين ينتظرونه". هنا كلمة hamartias تعني ضمناً ذبيحة خطية، وإلا فإن معناها سوف ينطوي على أن المسيح جاء في المرة الأولى وهو به خطية، وهو بالتأكيد أمر غير صحيح. فيمكننا أن نقرأ هذا العدد كما يلي: "سوف يظهر ثانية بلا ذبيحة خطية".

---

(٨) Arndt and Gingrich, op. cit., p. 43.
(٩) A. A. Hodge, Outline of Theology, Grand Rapids: Zondervan, 1879, p. 409.
(١٠) Arndt and Gingrich, op. cit., p. 644.

من الواضح أن ذبيحة الخطية تمثل استخداماً مجازياً لأن بولس الرسول استخدم كلمة يونانية مختلفة في ٢كورنثوس ٥: ٢١، وهي كلمة hamartia. فيسوع لم يكن أبداً بمعنى حرفي حملاً أو عجلاً. لكن هذا التفسير يضع موت المسيح الفدائي في مركز عمله، كما يفعل الكثير من النصوص الكتابية الأخرى في العهد الجديد. كما كتب كاتب العبرانيين: حسب الناموس "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" للخطية (عب ٩: ٢٢). ونتيجة لذلك، فإن المسيح "أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (الآية ٢٦؛ قارن الآية ٢٨؛ ١٠: ١٢، ١٤). وقد تحدث يوحنا المعمدان عن يسوع باستخدام رمزية ذبيحة العهد القديم، حينما قال عنه "حمل الله، الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). كذلك كتب بولس أن المسيح "أسلم نفسه لأجلنا، قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أف ٥: ٢). كما كتب بطرس أن المؤمنين قد افتدوا "بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح" (١بط ١: ١٩). وبالتالي فإن تفسير ذبيحة الخطية ليس تفسيراً غريباً أو غير معتاد بالنسبة لعبارة "جُعِلَ خطية".

تُعرَف الفكرة الكامنة خلف تفسير ذبيحة الخطية باسم النظرية السيادية. وقد دافع عن هذه النظرية جميس أرمنيوس James Arminius وتلميذه هوجو جروتيوس Hugo Grotius، أثناء عصر الإصلاح. وقد ركزت على أن الله جلب الدينونة على الخطية عندما بذل المسيح، الذي بلا خطية، حياته على الصليب كذبيحة خطية وبذلك فإن آلامه أرضت مطالب الله القدوس. وهذا مكَّن الله من أن يغفر الخطايا وليس فقط بأن يتغاضى عنها. "الفكرة الرئيسية لهذه النظرية، تتمحور حول أنه لا ينبغي أن ننظر إلى الله فقط باعتباره الطرف الغاضب والمتضايق، بل باعتباره حاكم أو سيد الكون. ولذا يجب أن يدعم سلطان حكمه لصالح الخير العام. وبالتالي يجب أن نعتبر آلام المسيح، ليس كمعادل مساوي لعقوبتنا، ولكن فقط بمعنى أن كرامة الحاكم يجب أن تصان وتثبت بمقدار ما كان ينبغي أن تكون عليه، لو أننا نحن الذين نلنا العقوبة التي

نستحقها".[١١] ومن ثم فإن موت المسيح لم يكن فقط موت بدلي ولكن أيضاً نيابي، أي أنه عمل شيئاً *نيابة عنا* كما ذكرنا من قبل. إن عمل المسيح ليس فقط مكّن الله من أن يغفر الخطية ولكن أيضاً هزم قوى الشر وسمح لكل من يتوب ويؤمن أن يعيش حياة متبررة. "وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٥).

غير أن هناك صعوبة في التفسير القائل بذبيحة الخطية هو أن كلمة "خطية" سوف يكون لها معنيان مختلفـــان في عدد واحد، ويفصل بينهما كلمتان فقط في اللغة اليونانية: الله "جعله خطية لأجلنا، الذي لم يعرف خطية" (٢كو ٥: ٢١). وهذه ليست مشكلة كبيرة طالما أن لدينا نموذج لنفس الكلمة لها معنيان مختلفان في نفس الأصحاح. وفي السبعينية هناك العديد من الأمثلة في الشريعة التي كانت hamartia تستخدم في تقارب كبير بمعنى الخطية وذبيحة الخطية. يوجد مثل آخر هو استخدام المسيح لكلمة "قدس" بمعنيين مختلفين في صلاته في يوحنا ١٧: ١٧ و١٩ (أي، معنى التقديس ومعنى التكريس). كتب برونك Brunk: "لدينا مثال مشـــابه في كلمة الفصح – ففي لو ٢٢: ١ تعني الكلمة عيد، وفي العدد السابع من نفس الأصحاح نجد أن نفس الكلمة تعني ذبيحة أو تقدمة الفصح".[١٢]

إيجازاً نقول، دعنا نركز على ما كتبه بولس الرسول قبل عبارة "الخطية". "ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح ... الله كان في المســـيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطـــاياهم ... لأنه جعل الذي لم يعـــرف خطية، [ذبيحة خطية] لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو ٥: ١٨، ١٩، ٢١).

---

(١١) H. Orton Wiley and Paul T. Culbertson, Introduction to Christian Theology, Kansas City: Beacon Hill, 1946, p. 230.

(١٢) George R. Brunk I, Rightly Dividing The Scriptures, Harrisonburg, Va.: Sword and Trumpet, 1992, p. 49.

أهمية فهم عمل المسيح

يجدر بنا أن ندرس بعناية عمل المسيح على الصليب؛ لأن كل عملية الفداء ترتبط بالذبيحة العظيمة التي حدثت على الجلجثة. وأي تصور خاطئ لمدى ومعنى عمل المسيح يمكن أن يقود نحو تطبيقات غير سليمة. على سبيل المثال، لو اعتقد شخص أن مدى موت المسيح كان فقط للدرجة اللازمة لتتميم مطالب الناموس لأجل من يؤمنون، وحيث أنه من الواضح أن كل البشر لم يخلصوا، إذن فإن قيمة موت المسيح سوف تكون كافية فقط لكي تكفر عن خطايا هؤلاء الذين يؤمنون فعلاً ويثابرون على إيمانهم حتى النهاية. غير أن الكتاب المقدس يؤكد بشكل مستمر أن يسوع مات من أجل خطايا العالم كله (يو ١: ١٨، ٢٩؛ ١تي ٢: ٦؛ ٤: ١٠؛ ١يو ٢: ٢).

عندما صُلِبَ المسيح، يقول الكتاب المقدس إنه "يرفع خطايا العالم" (يو ١: ٢٩). إن موت المسيح يؤثر في كل البشر (رو ٥: ٨، ١٨؛ ٢كو ٥: ١٤، ١٥؛ ١تي ٢: ٤، ٦؛ ٤: ١٠؛ عب ٢: ٩؛ ١يو ٢: ٢؛ ٤: ١٤). غير أن من يستفيدون من موته هم أولئك الذين يتوبون ويؤمنون ويحافظون على أمانتهم للمسيح. فالكتاب المقدس لا يعلم أن الناس الذين لا يحافظون على العلاقة الحية مع المسيح ولا يتبعونه سوف يخلصون.

كان موت المسيح ذبيحة لا حدود لها ذات قيمة لا حدود لها، وهي تمتلك قيمة تكفي لكي تستر كل خطايا العالم. فكل إنسان يعيش الآن أو كان يعيش من قبل يمكنه أن يستفيد من الفوائد غير المحدودة لذبيحة المسيح. وحتى عندما دفع المسيح ثمن كل خطايا العالم، فإن قيمة موته مازالت وفيرة وفائضة ولا يمكن استنزافها. غير أنه يوجد طريق واضح للغاية تنحصر فيه فوائد موت المسيح. إنها محصورة في اختيار الإنسان.

لقد قرر الله أن يكون الخلاص متاحاً فقط بواسطة ابنه. وأن يكون هؤلاء الذين يؤمنون بالرب يسوع، ويقبلونه كرب ومخلص لهم، ويحرصون على استمرار العلاقة الحية والحميمة معه، هم فقط من سوف يقبلون فوائد موته على الصليب. إن الخلاص يتوقف على كوننا "في المسيح". ولا يمكن أبداً أن نعتبر الله ظالماً لسماحه لأي شخص أن يقضي الأبدية في بحيرة النار. فقد تم إجراء كل التدابير في المسيح لأجل فداء كل من يريد. ولكن هؤلاء الذين قسوا قلوبهم و لم يقبلوه فسوف يختبرون الموت الثاني لأنهم رفضوا تدابير الله للحياة الأبدية.

هناك خطر آخر يمكن أن ينكشف إذا ما نظرنا بصورة خاطئة لمدى قيمة ذبيحة المسيح الذاتية فيما يتعلق بالعقاب الشرعي وحده. فحيث أن المسيح قد دفع الفدية لأجل خلاص الناس، فقد نقع في فخ الاعتقاد بأن كل الناس في كل مكان نالوا الخلاص وصاروا في أمان لأنه قد تم تتميم الشريعة. لكن الله جعل قبول فوائد موت المسيح، ومن ضمنها الخلاص، مشروطة بالإيمان بيسوع المسيح، الذي هو الطريق والحق والحياة. يجب على الخاطئ أن يأتي إلى الله من خلال المسيح، وعليه أن يأتي إلى المسيح في إيمان واثقاً ومطيعاً. فالله لا يقدم الخلاص لكل إنسان بلا تمييز. في يوحنا ٣: ١٨ نجد كلاماً يتلامس مباشرة مع هذا الأمر: "الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد".

إن الخلاص والدينونة مشروطان بالإيمان بالمسيح، وليس بتتميم الشريعة أو أن يكون الإنسان بلا خطية. التواجد في المسيح هو بمثابة وجود في فلك الخلاص. أما التواجد خارج المسيح فهو الانغماس في خطية العالم بلا رجاء أو ضمان. ولذا فإن الخلاص يعتمد على علاقتنا الراسخة مع يسوع المسيح والأمانة نحو كلماته ونحو خدمة روحه القدوس لأرواحنا. يمتلك المؤمنون ضماناً بأنهم أولاد الله (انظر ١يو ٥: ١٣)، غير أن هناك الكثير من النصوص الكتابية التي تحذر من خطر السقوط (مت ٢٤: ٤، ٥،

١١-١٣؛ يو ١٥: ١-٦؛ أع ١١: ٢٣؛ ١٤: ٢١، ٢٢؛ كو ١: ٢٣؛ ٢: ٤-٨، ١٨، ١٩؛ ١تي ٤: ١، ١٦؛ ٢تي ٣: ١٤؛ ٤: ٣، ٤؛ يع ٥: ١٩، ٢٠؛ ٢بط ١: ٨-١١؛ ٣: ١٦-١٨؛ ١يو ٢: ٢٣-٢٥؛ عب ٢: ١-٣؛ ٣: ١-١٤؛ ص. ١٠؛ وغيرها).

هناك خطر آخر قد ينجم عن التفسير الخاطئ لنطاق عمل المسيح، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "المناقضة للشريعة"، والتي تعني تجاهل أو الاستخفاف بمشيئة الله المعلنة. فلو أن الخلاص مجرد قضية شرعية، ولو أن الناس يصيرون أبراراً في نظر الله على أساس ما فعله المسيح، عندها ما الذي سيختلف سواء اتبع الناس مشيئة الله أم لا؟ فخلاصهم قضية محسومة ومكتملة ولا تعتمد على أسلوبهم في الحياة. ولكن هذا تحديداً هو الاتجاه الذي يحذر منه الرسول بولس في مناقشته لقضية التبرير في رسالة رومية (انظر ٦: ١، ٢، ١٥).

الشخص الذي يتجاهل مشيئة الله ولا يبدي أي حساسية تجاه الروح القدس إنما بذلك يبرهن بأسلوب حياته أنه ليس ابناً لله. عندما يولد شخص من روح الله وبالتالي يقبل الميلاد الجديد، فعندها هو *يريد* أن يتبع المسيح ويفعل مشيئة الله. وطبيعته الجديدة تعكس طبيعة المسيح (١كو ٢: ١٦). كما كان يسوع دائماً يسعى لعمل مشيئة الآب (لو ٢٢: ٤٢).

وعندها أيضاً، لو أننا آمنا أن المسيح قد دفع لخطايا من سيخلصون فقط، وبالتأكيد هم سيخلصون لو مات المسيح خصيصاً من أجلهم، عندها ربما يكون لدينا دافع أقل لحمل البشارة للضالين. وربما نترلق في لاهوت متطرف يؤمن بالاختيار أو التعيين المسبق، ويعتقد أن من تم تخصيصهم لكي يخلصوا سوف يخلصون. ربما يخمد فتيل حماستنا الكرازية، ولعلنا نصير منجذبين للنشاط ديني دون السعي للوصول إلى الضالين (لو ١٩: ١٠).

أحد الحقائق التي يجب دائماً أن نضعها في اعتبارنا هي محبة الله للضالين وغفرانه لهؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح. الله هو إله عدالة، لكنه أيضاً إله المحبة والرحمة. وعلينا دائماً أن نحافظ على التوازن في نظرتنا إلى هذه السمات الخاصة بالله. أما النظر إلى عمل المسيح بصرامة إما من الناحية الشرعية أو من المنظور الديني فهذا لا يضع في اعتباره إلا جزءاً واحداً فقط من شخصية الله.

أكثر الرسائل شمولية في الكتاب المقدس للإنسان هي: "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). أيضاً "ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ... لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" (رو ٥: ٨، ١٠). إن نتيجة محبة الله هي غفران الخطايا: "الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته" (أف ١: ٧؛ قارن كو ١: ١٤؛ ٢: ١٣)؛ "قد غُفِرَت لكم الخطايا من أجل اسمه" (١يو ٢: ١٢). دعنا نتأمل في تعاليم العهد الجديد عن المصالحة بمزيد من التفصيل.

المصالحة

جاءت مصالحتنا مع الله كنتيجة لكفارة المسيح وآلامه. وتأتي كلمة مصالحة من الفعل اليوناني katallasso، الذي يعني "يغير، يبدل". وفي الكتاب المقدس يُطبق على علاقة الإنسان مع الله؛ فالإنسان يتغير من حالة العداوة أو الكراهية نحو الله إلى كونه ابناً لله (يو ١: ١٢؛ رو ٨: ١٤؛ ١يو ٣: ١). يحدث هذا التبدل نتيجة لنعمة الله ومحبته العاملة في المسيح. ومن ثم فالله هو الذي يصالح وهو الذي يعمل المصالحة نحو الإنسان الخاطئ. ويمكن ملاحظة هذا المعنى في استخدام بولس الرسول لهذا التعبير في المقاطع الكتابية التالية:

"لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة" (رومية ٥: ١٠، ١١).

إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً. ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة (٢كورنثوس ٥: ١٧، ١٨).

ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلا العداوة به (أفسس ٢: ١٦).

لأنه فيه سر أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات (كولوسي ١: ١٩، ٢٠).

إن النصوص الكتابية السابقة توضح أن يسوع المسيح صالح الإنسان إلى الله. وبالتالي سمح المسيح للإنسان أن يعود إلى العلاقة التي كان يتمتع بها مع الله قبل السقوط.

تأثيرات الفداء

هناك أثران رئيسيان لفداء المسيح للإنسان وهما الطبيعة الجديدة التي يقبلها وتدمير سلطان الشيطان على الإنسان.

لقد جاء يسوع المسيح لكي يحقق عهداً جديداً وعهداً أفضل. في العهد القديم نجد النبي إرميا يتكلم بكلمة الرب: "لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل نواميسي في أذهـــانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (عب ٨: ١٠، قارن ٧: ٢٢؛ ١٠: ١٦؛ يو ٦: ٤٥؛ إر ٣١: ٣٣). كان هذا "طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً ... مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي" (عب ١٠: ٢٠، ٢٢). هذا هو التعليم الذي قاله

الرب يسوع لنيقوديموس قائلاً: "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو ٣: ٣). و"الولادة الثانية" تعني أن "تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٤).

هناك إشارة إلى الإنسان الجديد "المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٤) نجدها مذكورة في نصوص كتابية أخرى. فقد كتب بولس الرسول إلى أهل كولوسي عن خلع العديد من الخطايا؛ حيث أنكم "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣: ٩، ١٠). لقد أُبطِلَ الإنسان العتيق وحل محله الإنسان الجديد. معنى كون المؤمن جديداً أن صار يتجدد نحو صورة خالقه. وهذه الصورة تسترد ما فُقِدَ في السقوط وتجدد الإنسان في المعرفة الروحية. نجد بولس الرسول يكتب أننا كمؤمنين "نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨). على المؤمنين أن يكونوا كالمرآة التي تعكس مجد الرب لأن نعمته غيرتهم وجددتهم. وذلك من أجل "أن يتصور المسيح فيكم [المؤمنين]" (غل ٤: ١٩). فالمؤمنون هم "شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (٢بط ١: ٤).

الأمر الثاني الذي تحقق هو قضاء المسيح على سيطرة إبليس على الإنسان. فعندما حدث سقوط الإنسان، قال الله لإبليس: "أضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تك ٣: ١٥). وقد تحقق هذا السحق لرأس إبليس في موت وقيامة يسوع المسيح. وهناك عدة إشارات في العهد الجديد تبرز تدمير سلطان إبليس بواسطة موت المسيح. إذ يقول الرب يسوع، وهو يتكلم عن موته الآتي: "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً" (يو ١٢: ٣١). ويسجل لوقا دفاع بولس الرسول أمام الملك أغريباس، حيث شهد بولس أن يسوع قال له: "لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى

ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا" (أع ٢٦: ١٨). كما كتب كاتب العبرانيين: "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٤، ١٥). كذلك كتب يوحنا أنه "لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس" (١يو ٣: ٨). وقد أخبر الرب يسوع الفريسيين: "ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (مت ١٢: ٢٨).

إن قضاء المسيح على قوة إبليس وسلطانه تُمكِّن المؤمنين من النصرة على "الإنسان العتيق"، أي، الطبيعة الساقطة. وقد أبرز بولس هذه الحقيقة حين قال: "فدفنا معه بالمعمودية ... حتى كما أقيم المسيح من الأموات ... هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة ... إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضا للخطية" (رو ٦: ٤، ٦)، "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ٢٤).

الخلاصة

يحاول الكثير من اللاهوتيين صياغة عبارات دقيقة ومحددة فيما يتعلق بمعنى الفداء. غير أن التوفيق لا يحالفهم كثيراً؛ إذ أنه من الصعب أن يتم شرح تلك الأمور الفائقة التي حدثت على الصليب.

ما جاء متضمناً في موت المسيح سوف يظل بكل تأكيد سراً بكيفية ما إلى أن ننتقل إلى السماء؛ غير أن الكثيرين حاولوا شرحه بتعبيرات يمكن للبشر أن يفهموها. وقد نتج عن ذلك العديد من النظريات عن عمل المسيح في الفداء، ومعظمها يفتقر إلى الكمال طالما أنهم حاولوا شرح شيء لم يتم شرحه كاملاً في الكتاب المقدس. وحيث أن هذا الكتاب يسعى لأن يكون دراسة كتابية، فإن الكاتب سوف يحترم هذا الصمت

من قِبَل النصوص الكتابية ولن يحاول أن يصيغ عبارة محددة بشأن هذا الموضوع. فمع أن الكتاب المقدس لا يعطينا شرحاً كاملاً لكيف أن موت المسيح أثمر فداءً ومصالحةً، فإنه يمنحنا العديد من الأفكار النافعة. لذا، عندما نفحص التعبيرات والمصطلحات الكتابية المتنوعة معاً، فإنها تعطينا معنى أشمل للصليب.

لقد وُلِدَ يسوع من عذراء ودعي "عمانوئيل، الذي تفسيره الله معنا" (مت ١: ٢٣). وقد كان "مجرباً في كل شيء مثلنا، بلا خطية" (عب ٤: ١٥). كان مثل "حمل بلا عيب ولا دنس" (١بط ١: ١٩)، ولم يستطع منتقدوه أن يجدوا فيه أي تهمة تستوجب الموت (أع ١٣: ٢٨). لكنه "تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله" (١بط ٣: ١٨). "وهو كفارة لخطايانا" (١يو ٢: ٢)، "الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (١تيمو ٢: ٦)، "الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته" (أف ١: ٧). إنه هو الوسيط الواحد بين الله والناس" (١تيمو ٢: ٥)، الذي أتاح لجميع الناس أن يتجددوا بروح ذهنهم، ويلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أف ٤: ٢٣، ٢٤). "أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله!" (١يو ٣: ١).

الفصل الخامس

تخصيص الفداء

مقدمة

رأينا كيف أن المسيح أزال الفجوة التي نشأت بين الله والإنسان نتيجة لخطية الإنسان. وهكذا سمح الله ليس فقط بفداء الإنسان من عواقب خطيته، بل أتاح له أيضاً أن يسترد طبيعته الروحية. هنا يكون السؤال: "كيف نحصل على فوائد الفداء الذي جلبه لنا يسوع المسيح؟"

كتب يوحنا الرسول في بداية إنجيله أن "الكلمة [يسوع] صار جسداً، وحل بيننا، ... مملوءاً نعمة وحقاً ... ومن ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٤-١٧). فمن خلال شريعة موسى، أظهر الله للإنسان كيف أنه يحتاج إلى الخلاص. لقد نتجت الدينونة والموت عن العهد القديم . أما في ظل العهد الجديد، فقد تعامل الله مع الإنسان على أساس النعمة والحق.

يركز العهد الجديد على أن ما حققه المسيح من نعمة وحق يتسامى على شريعة موسى. وكان بولس الرسول قد أبرز هذه الحقيقة في بدايات خدمته أمام المجتمعين في المجمع اليهودي في أنطاكية، قائلاً: "بهذا [يسوع المسيح] ينادى لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى ... يثبتوا في نعمة الله" (أع ١٣: ٣٨، ٣٩، ٤٣). وبعد أن ناقش بولس مسألة التبرير بالإيمان في رسالته إلى كنيسة رومية، كتب "فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو ٦: ١٤). وبعد ذلك، كتب بولس، في سياق حديثه عن عهد الله

الذي قطعه مع إسرائيل، قائلاً: "قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة. فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة" (١١: ٥، ٦). لقد قال بولس لمؤمني غلاطية: "لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذا مات بلا سبب" (غل ٢: ٢١). وعقب ذلك كتب أنه يشهد "لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس. قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة" (٥: ٣، ٤). وكتب إلى تيطس: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه – لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته – خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤–٧).

كما يوجد في أعمال الرسل والرسائل تأكيد واضح على الفداء الذي جاء به المسيح يسوع بالنعمة. لذا يجدر بنا أن نلقي نظرة متفحصة على مفهوم النعمة.

النعمة

إن النعمة التي أوجدها يسوع المسيح واحدة من الاختلافات الرئيسية بين العهدين. فالنعمة سمة مركزية من سمات الإنجيل، وعلينا أن نفهم معناها حتى نفهم العهد الجديد.

ما هي النعمة؟ لهذا المصطلح معاني كثيرة، لكننا سوف نفحص تلك التي ترتبط مباشرةً بالفداء. يعرف أرندت وجينجريتش Arndt and Gingrich النعمة على أنها: "عمل النعمة الذي يتزايد أكثر فأكثر ... ومن ينتمون له يقبلون ملء نعمته ... عمل النعمة في لحظة التجديد".[١] أما سترونج Strong فيُعرِّف النعمة على أنها "التأثير الإلهي على القلب، وانعكاساته في الحياة".[٢] ويعكس تعريف قاموس

---

(١) Arndt, op. cit., p. 878.

(٢) James Strong, Strong's Exhaustive Concordance of the Bible, Greek Dictionary of the New Testament, New York: Abingdon Press, 1890, p. 77.

وبستر المفهوم الكتابي للنعمة كما يلي: "معونة إلهية غير مستحقة تعطى للإنسان لأجل تجديده أو تقديسه".[٣] وأفضل سبيل لفهم معنى "النعمة" من خلال التعرف على استخدامات هذا المصطلح في العهد الجديد.

قبل أن نفحص استخدام مصطلح النعمة في العهد الجديد، نحتاج إلى أن نذكر ملمحاً مهماً من ملامح النعمة. فالعهد الجديد دائماً ما يتحدث عن "نعمة الله" (أع ١١: ٢٣؛ ١٣: ٤٣؛ ١٥: ٤٠؛ ٢٠: ٢٤؛ رو ٥: ١٥؛ ١كو ٣: ١٠؛ ٢كو ٨: ١؛ ٩: ١٤؛ غل ٢: ٢١؛ عب ٢: ٩؛ ١٢: ١٥؛ يه ٤؛ وغيرها). أو "نعمة الرب يسوع المسيح" (أع ١٥: ١١؛ رو ١٦: ٢٠، ٢٤؛ ١كو ١٦: ٢٣؛ غل ١: ٦؛ ٦: ١٨؛ في ٤: ٢٣؛ ١تس ٥: ٢٨؛ ٢تس ٣: ١٨؛ ١تيمو ١: ١٤؛ فل ٢٥؛ وغيرها) أو الاثنين معاً (٢تس ١: ١٢). فالنعمة ليست عملاً من صنع الإنسان.

تقوم النعمة بدور مركزي في *تبرير* الخاطئ. والتبرير هو الفعل الذي بواسطته يصير الخاطئ، الذي يؤمن بيسوع المسيح، كاملاً أمام الله. ويعبر هذا المصطلح عن العمل الإيجابي لله الذي فيه يعلن تبرير الخاطئ. أما مصطلح الغفران فقد يشير إلى ما يدعى الملمح السلبي للقبول أمام الله، أي، إلغاء الذنب أو التبرئة من خطايا الإنسان.[٤] التبرير بالنعمة؛ والخلاص هو ثمرة النعمة.

عندما خاطب بطرس الرسول مجمع أورشليم، ذكر أن "بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص" (أع ١٥: ١١). أما أبولوس، وهو رجل فصيح ومقتدر في الكتاب المقدس وكان يُعلم بالتدقيق عن الرب يسوع، ذهب إلى أخائية، حيث "ساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا" (أع ١٨: ٢٧). وقد شدد بولس الرسول على التبرير

---

(٣) Webster's Ninth New Collegiate Dictionary.

(٤) John C. Wenger, Introduction to Theology, Scottdale, Penn.: Herald Press, 1954, p. 284.

بالنعمة، وكتب "متبررين مجاناً بنعمته" (رو ٣: ٢٤)؛ "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح (بالنعمة أنتم مخلصون)" (أف ٢: ٥)؛ "وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة" (٢تس ٢: ١٦)؛ "الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، ... بمقتضى القصد والنعمة" (٢تيمو ١: ٩)؛ "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس" (تي ٢: ١١)؛ "تبررنا بنعمته" (تي ٣: ٧). وهكذا نرى من هذه النصوص الكتابية أن النعمة تقوم بدور مركزي في فداء الإنسان.

واليوم صار ملمح التبرير بالنعمة ملمحاً شهيراً، كما ينال – عن حق – الكثير من التأكيد. غير أن النعمة أكثر من ذلك. فهناك تأثيرات أخرى رائعة تنتج عن النعمة. إذ تمنح النعمة مواهب وتجعل المؤمنين يقومون بأعمال صالحة.

أكد بولس الرسول على تأثير أو قوة النعمة في رسائله. ومن أوضح العبارات التي صور بها عملية النعمة نجدها في رسالته إلى تيطس. فهناك يكتب: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر" (تي ٢: ١١، ١٢). كما ذكر بولس أن النعمة تجلب الخلاص، ولكنها لا تتوقف عند ذلك. فهي تستمر في العمل، فتعلم وتدرب المؤمن على أن يحيا حياة مغايرة تماماً لحياته السابقة. وهي تعلمه أن يعيش حياة مختلفة تماماً، "هادئة ومتبررة وصالحة".

توجد فقرة أخرى تظهر أثر النعمة نجدها في رسالة بولس إلى كنيسة رومية. إذ كتب "ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢٠، ٢١). عندما أدرك بولس أنه قد يحدث إساءة فهم للنعمة، شرح مضمونها في رومية ٦. وبدأ هذا الشرح بسؤال: "فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟" (٦: ١). لا!

لقد قام المؤمن من الأموات كما قام المسيح، "هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة" (الآية ٤). وبعد ذلك ركز من جديد على فكرة الموت هذه.

لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله. كذلك أنتم أيضا احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا. إذا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت ... فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة. فماذا إذا؟ أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟ حاشا! ... وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيدا للبر (رومية ٦: ١٠-١٥، ١٨).

وفي الأصحاح الثاني من رسالة أفسس يخبرنا بولس عما فعله الله لهؤلاء المؤمنين. فكتب أولاً عن التغير في أسلوب حياة مؤمني أفسس، ثم ركز على رحمة الله ومحبته، وأخيراً تحدث عن عمل النعمة. فكتب:

"وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا، التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن أيضا جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً، الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح - بالنعمة أنتم مخلصون - وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها". (أفسس ٢: ١-١٠)

إن عطية النعمة تحمي الخطاة التائبين، وتجعل منهم صنعة يدي الله، مخلوقين لأعمال صالحة، بحسب مشيئة الله.

وكتب بولس إلى مؤمني كورنثوس قائلاً إنه سلك "في بساطة وإخلاص الله، لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله" (٢كو ١: ١٢). إن نعمة الله مكَّنت بولس أن يسلك "في بساطة وإخلاص الله".

أشار بولس في رسالته إلى مؤمني كولوسي إلى أن "كلمة حق الإنجيل، الذي قد حضر إليكم كما في كل العالم أيضا، وهو مثمر كما فيكم أيضا منذ يوم سمعتم وعرفتم نعمة الله بالحقيقة. من أجل ذلك نحن أيضا، منذ يوم سمعنا، لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته، في كل حكمة وفهم روحي؛ لتسلكوا كما يحق للرب، في كل رضا، مثمرين في كل عمل صالح، ونامين في معرفة الله" (كو ١: ٥، ٦، ٩، ١٠).

كما كتب بطرس الرسول في رسالته الثانية، أن المؤمنين "هربوا من نجاسات العالم، بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح" (٢بط ٢: ٢٠). وفي نهاية هذا السفر، كتب: "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (٣: ١٨). فمن خلال النعمة والمعرفة يمكن للمؤمنين أن ينموا ويهربوا من نجاسات العالم.

النعمة هي مركز عملية الفداء، و"تأثيرها الإلهي على القلب" هو أمر شديد الأهمية لفهم الفداء. لذا نجد تركيزاً شديداً على هذا الملمح في العهد الجديد. ففي سفر الأعمال نرى أن استشهاد أسطفانوس نتج عنه تشتت التلاميذ خارج أورشليم. فذهب البعض إلى أنطاكية وكرزوا هناك لليونانيين، وآمن عدد كثير ورجعوا للرب (أع ١١: ٢١). وعندما سمعت الكنيسة في أروشليم بهذه الأخبار، أرسلوا برنابا ليتفحص الأمر لأن هذا كان تحركاً مبكراً نحو الكرازة للأمم. وهناك رأي برنابا "نعمة الله" (الآية ٢٣)؛ لقد أحدثت نعمة الله تغييراً ملحوظاً في هؤلاء الأمميين. وفيما بعد علَّم بولس شيوخ أفسس عن "التوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (أع ٢٠: ٢١). وكان هدفه أن يتمم سعيه والخدمة التي أخذها من الرب يسوع لأن يشهد ببشارة نعمة الله في أورشليم

(الآية ٢٤). حقاً، كانت بشارة نعمة الله هي القوة التي تكمن وراء التوبة والإيمان الذي تكلم عنهما من قبل.

يعلم الكتاب المقدس أن كلاً من النعمة والروح القدس يعملان لتغيير حياة الخاطئ. دعنا الآن نتأمل في عدة نصوص كتابية تظهر التأثير المُغَيِّر للحياة بواسطة الروح القدس: "روح الذي أقام يسوع من الأموات ... سيحيي أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم ... إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو ٨: ١١، ١٣)؛ "ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس" (١٥: ١٦)؛ "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨)؛ "خلصنا بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس" (تي ٣: ٥). ولا يتناقض عمل الروح القدس مع عمل نعمة الله. لأن نعمة الله تستطيع أن تعمل من خلال الروح القدس: "ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، ... بما يعلمه الروح القدس" (١كو ٢: ١٢، ١٣).

هناك الكثير من النصوص الكتابية التي تظهر كيف تعمل نعمة الله. إذ قَبِلَ الرسل "قوة عظيمة ... يؤدون [بها] الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم" (أع ٤: ٣٣). وفي أيقونية تحدث بولس إلى اليهود والأمم، "فأقاما زماناً طويلاً يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته" (أع ١٤: ٣). ومع أن بولس كان يشهد، لكن الرب هو الذي حمل الشهادة لكلمة نعمته. وعندما ذهب الرسل ومعاونيهم إلى رحلاتهم التبشيرية، كانوا قد أسلموا إلى نعمة الله للعمل الذي أكملوه (أع ١٤: ٢٦؛ قارن ١٥: ٤٠).

تعد حياة بولس الرسول مثالاً لنعمة الله العاملة. فقد كان يهودياً غيوراً كثيراً ما اضطهد الكنيسة متعمداً ولكن بنعمة الله صار رسولاً بارزاً وبانياً للكنيسة. كما قبل

"نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم" (رو ١: ٥). وفيما بعد في نفس الرسالة أشار بولس مرتين لهذه النعمة: "بالنعمة المعطاة لي" (١٢: ٣)، "ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم ... بسبب النعمة التي وهبت لي من الله" (١٥: ١٥). لقد أدرك بولس أن دوره في بناء الكنيسة لم يكن بناءً على جهده ولكنه كان بالكامل من نعمة الله: "حسب نعمة الله المعطاة لي، كبناء حكيم قد وضعت أساساً" (١كو ٣: ١٠).

وفوق كل شيء، يمكن لبولس أن يقول عن نفسه، "لكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠). لقد علم بولس أنه "لما سر الله ... دعاني بنعمته" (غل ١: ١٥). كان باستطاعة بولس أن يكتب عن "تدابير نعمة الله المعطاة لي" (أف ٣: ٢)، وأن الله جعله "خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته. لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعـــمة، أن أبشر بين الأمم بغنى المســـيح الذي لا يستقصى" (الآية ٧، ٨). وكتب بولس إلى تيموثاوس أنه كان شاكراً ليسوع أنه مكَّنَه أن يكون خادماً رغم أنه كان "مجدفاً ومضطهداً ومفترياً". لقد علم أن "نعمة ربنا [تفاضلت] جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع" من نحوه (١تيمو ١: ١٣، ١٤).

كذلك فإن النعمة قوة في حياة كل المؤمنين. كتب بولس عن المؤمنين أن لهم: "مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا" (رو ١٢: ٦)؛ وأثناء مجاعة قاسية وفقر "نعمة الله [كانت] معطاة للكنيسة في مكدونية" (٢كو ٨: ١)؛ وأن "الله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح ... وبدعائهم لأجلكم، مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم" (٩: ٨، ١٤). وبواسطة النعمة نال المؤمنون بركات واختبارات. فكتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عب ٤: ١٦)، وأنه "حسن أن يثبت القلب بالنعمة" (١٣: ٩). إن نعمة الله سوف

تساعدنا على التماسك عندما نتعرض للتجربة، سوف تساعدنا في ضعفنا، وهي القوة التي تثبتنا في الإيمان. كذلك، فإن أهمية النعمة تتجلى في معظم الملاحظات الافتتاحية والختامية لرسائل العهد الجديد.

وحيث أن النعمة أمر بالغ الأهمية، فكيف لنا أن ننال النعمة؟ أولاً: النعمة "امتياز عن غير استحقاق" لأنها تقدم لنا الخلاص الذي لا نستحقه بدلاً من الدينونة الأبدية التي نستحقها. ولا يوجد من ينال النعمة بناءً على استحقاقه أو بره. إن ملمح عدم الاستحقاق هذا للنعمة يعني أنها عطية مجانية.[٥]

هناك تركيز في العديد من المقاطع الكتابية على حقيقة أن النعمة هي عطية مجانية: فنحن "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رو ٣: ٢٤)؛ "الهبة ... نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح" (٥: ١٥؛ قارن ٢٠: ٢١)؛ "نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح" (١كو ١: ٤)؛ "نعمة الله الفائقة لديكم. فشكراً لله على عطيته التي لا يعبر عنها" (٢كو ٩: ١٤، ١٥)؛ "لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته" (أف ١: ٦، ٧)؛ "لأنكم بالنعمة مخلصون ... هو عطية الله" (٢: ٨)؛ "وربنا نفسه يسوع المسيح، والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة" (٢تس ٢: ١٦)؛ "الذي خلصنا ... بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع" (٢تيمو ١: ٩)؛ "ولكنه [الله] يعطي نعمة أعظم" (يع ٤: ٦). توضح هذه النصوص الكتابية وغيرها أن النعمة والفداء هما هبات أو عطايا مجانية.

إيجازاً نقول إن نعمة الله تجعل الخلاص متاحاً أمامنا. والملمحان الأساسيان للنعمة هما – تأثيرها على قلوب الناس وكونها عطية مجانية – يحظيان بتركيز كبير في

---

[٥] يعتقد الكثيرون أن مصطلح "النعمة" يعني العطية المجانية. ولكن حيث أن الكتاب المقدس يتحدث عن "العطية المجانية" و"النعمة" في نفس الفقرات، فإن هذين المصطلحين يمثلان مفهومين مختلفين.

كل أنحاء العهد الجديد. يبقى السؤال الآن، كيف تتاح النعمة للناس؟ من خلال عدة أمور – التوبة والإيمان والولادة الجديدة – تعمل معاً لتجعل النعمة متاحة. وسوف نناقش تفاعل هذه الأمور بعد دراسة كل منها.

التوبة

تمثل التوبة واحدة من الخطوات الأولية لتحقيق الفداء المعطى لنا بيسوع المسيح. وقد كانت رسالة يوحنا المعمدان، الذي أعد الطريق ليسوع المسيح، هي: "توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السماوات" (مت ٣: ٢). كما بدأ يسوع وعظه وتعليمه بقوله: "توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السماوات" (مت ٤: ١٧؛ قارن مر ١: ١٥؛ لو ١٣: ٣). وفيما بعد قال: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لو ٥: ٣١، ٣٢؛ قارن مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧). لا يحتاج الأبرار إلى مساعدة. لكن هؤلاء الخطاة غير الأبرار هم من يحتاجون إلى مساعدة. والحل لحالتهم بسيط للغاية؛ إنهم في حاجة إلى التوبة.

في بداية خدمة يسوع، أرسل تلاميذه الاثني عشر وجعلهم يكرزون بالتوبة (مر ٦: ١٢). وقبيل أن يطلقهم، أخبر يسوع الاثني عشر أن "كل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحق أقول لكم: ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة" (الآية ١١). لقد حملوا رسالة خطيرة، ولها عواقب خطيرة لو رفض الناس دعوتهم للتوبة.

كثيراً ما تحدث الرب يسوع عن التوبة أثناء خدمته. وقد أنهى خدمته على الأرض بتفويضه لتلاميذه "بأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم" (لو ٢٤: ٤٧؛ قارن أع ١: ٨)، مظهراً اهتمامه المتواصل بأن تقدم هذه الرسالة للجميع. لم تكن هذه

الدعوة للتوبة مجرد رسالة محصورة في الشعب اليهودي؛ بل كانت دعوة لكل الأمم وهي مازالت موجهة للجميع حتى يومنا هذا.

كذلك كانت التوبة جزءاً من وعظ وتعليم الرسل أثناء خدمتهم. فبعد سماع العظة الأولى لبطرس في الكنيسة المولودة حديثاً في أورشليم، تساءل الكثيرون "ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة" فأجاب بطرس: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٧، ٣٨). وفي عظته الثانية، قال لهم بطرس "فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب" (٣: ١٩). وعندما سُجِنَ الرسل بسبب رسالتهم عن يسوع، جاء ملاك سريعاً وأطلقهم بعد أن قال لهم: "اذهبوا قفوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة" (٥: ٢٠). وسرعان ما وجد القادة اليهود الرسل هناك فجاءوا بهم ثانيةً أمام المجمع. فقام بطرس، بعد شرحه لموت يسوع، وقال لهم: "هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا" (الآية ٣١). وفيما بعد، عندما عرض سيمون الساحر أن يدفع أموالاً مقابل الحصول على سلطان الرسل لوضع الأيدي، قال له بطرس: " فتب من شرك هذا" (٨: ٢٢).

لم يكن بنو إسرائيل هم الشعب الوحيد المدعو للتوبة. إذ "أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة!" (أع ١١: ١٨). وقد قال بولس للرجال في أثينا إن الله "الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل" (١٧: ٣٠). وتكلم "شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (٢٠: ٢١). وعندما أخبر بولس الملك أغريباس عن الأمم، قال إن عليهم " أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة" (٢٦: ٢٠).

ماذا تعني كلمة يتوب؟ وما المقصود بالتوبة؟ إن التعبير اليوناني metanoeo، الذي كثيراً ما يترجم بالفعل يتوب، يعني بحسب ثير Thayer "تغيير فكر الإنسان للأفضل،

وتعديل بإخلاص يتضمن اشمئزاز الإنسان من خطايا ماضيه"[٦] وبحسب أرندت وجينجريتش Arndt and Gingrich فهي تعني "تغيير فكر الإنسان ... والشعور بالندم، والتوبة، والتحول".[٧] وهناك مصطلح يوناني آخر وهو metanoia، وهو اسم ويرتبط بالفعل السابق. وهو يترجم ***توبة***، وهو يعني "تغيير في الفكر." وثمة فعل آخر يترجم ***تاب ويتوب*** (المصطلح اليوناني metamellomai) وهو يعني "تغيير فكر الإنسان، والتحول أو التجديد".

يمكن أن نفهم معاني هذه المصطلحات من خلال طريقة استخدامها. فقد كان يوحنا المعمدان هو الشخص الذي تنبأ عنه النبي إشعياء: "صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة" (مت ٣: ٣؛ قارن مر ١: ٣؛ لو ٣: ٤؛ يو ١: ٢٣؛ إش ٤٠: ٣). وعادة ما كان الملوك الشرقيون القدماء يرسلون فريقاً قبلهم لإعداد الطريق للملك في رحلته في المناطق الصحراوية. وكان على يوحنا أن يفعل الأمر ذاته مع الملك القادم. إذ توجب على يوحنا أن يعد الطريق بأن يمهد الجبال الروحية المرتفعة ويرفع الوديان الروحية المنخفضة، وذلك من خلال دعوته للشعب بأن يتوبوا. فالتوبة هي التي ستزيل حواجز الخطية أمام الملك الآتي إلى قلوب الناس.

قال يوحنا للفريسيين والصدوقيين ما الذي تعنيه التوبة ضمنياً: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ... والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (مت ٣: ٧، ٨، ١٠؛ قارن لو ٣: ٧، ٨). لقد طالبهم يوحنا بتوبة حقيقية تُحدث تغييراً كاملاً للذهن ينتج عنه "ثماراً حقيقية". هذه "الثمار" سوف تكون هي

---

(٦) Joseph Henry Thayer, A Greek-English Lexicon of the New Testament, Grand Rapids: Baker Book House, 1977, p. 405.

(٧) Arndt and Gingrich, op. cit., p. 512.

فعل مشيئة الله (مت ٣: ١-١٠؛ مر ١: ١-٦؛ لو ٣: ١-١٤). لم يحتج يوحنا إلى تعريف التوبة أمام سامعيه؛ لأنهم كانوا يعلمون من العهد القديم أنه يجب على الخطاة أن يتوبوا عن خطاياهم (١مل ٨: ٤٦-٤٨؛ ٢أخ ٦: ٣٧-٣٩؛ إش ١: ٢٧-٢٨؛ ٥٥: ٧؛ حز ١٤: ٦؛ ١٨: ٢١-٣٢؛ يون ٣: ٨-١٠؛ وغيرها).

في دعوة يوحنا للتوبة كان بذلك يدعو الناس ليتعرفوا بالشخص الذي يعد الناس لقبوله. أما يسوع فعندما جاء أعلن "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥؛ قارن أع ٢٠: ٢١). ودعا لتغيير أذهان ومقاصد سامعيه تجاه الإنجيل (الخبر السار)؛ إذ كان عليهم أن يغيروا أذهانهم من اتجاه عدم الإيمان إلى الإيمان بالإنجيل الذي نادى به.

تكلم يسوع وقال: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٤: ١٧؛ قارن لو ١٣: ٣). كذلك كانت التوبة ضرورية لأن ملكوت الله، أي حكمه في قلوب الناس، كان مزمعاً أن يتأسس. وسوف يكون يسوع هو الملك، ويجب على من يطلبونه أن يغيروا أفكارهم بشأن الله والخطية ويتبعوا مشيئته طالما أن الملكوت قد اقترب. وأي خاطئ يظل في خطيته لن يدخل ملكوت الله لأن قداسة الله لن تسمح بتواجد الخطية.

عندما تذمر الكتبة والفريسيون ضد يسوع لأنه كان يأكل ويشرب مع الخطاة، قال لهم: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب؛ بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة" (لو ٥: ٣١، ٣٢؛ قارن مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧). يقف الأبرار في تناقض حاد مع الخطاة، وهم يقفون طاهرين أمام الله، ليس بسبب أي شيء اكتسبوه أو استحقوه، بل بسبب دم يسوع والنعمة التي جاء بها. ولأن الله قدوس، فإن الخطاة هم "المرضى" الذين يحتاجون إلى المعونة. إنهم في حاجة إلى أن يتوبوا أو يغيروا أفكارهم وقلوبهم حتى يستطيعوا هم أيضاً أن يصيروا أبراراً من خلال المسيح.

شرح الرب يســـوع أهمية التوبة حينما قال: "إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو ١٥: ٧؛ قارن الآية ١٠). وفي إحدى المرات، شرح يسوع لتلاميذه ما جاء في الكتاب المقدس عن آلامه وموته وقيامته، وشدد على أهمية التوبة بأن ذكر لهم بـــأنه سوف: "يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم" (لو ٢٤: ٤٧).

وقبل ذلك تكلم يسوع عن هؤلاء "الجياع والعطاش إلى البر" (مت ٥: ٦). وقال عنهم إنهم سيشبعون في يسوع المسيح، وسيعرفون ذلك لأنهم سوف يثمرون ثمار البر في حياتهم. ونحن نعلم أن هذا التغيير يمكن أن يحدث لأن يسوع كان يُعلِّم بأن تلاميذه سوف يتعرضون للاضطهاد من أجل البر (الآية ١٠). كما ذكر أيضاً أنه "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات" (الآية ٢٠). عليهم أن يطلبوا "أولاً ملكوت الله وبره" (مت ٦: ٣٣). والخطاة ليس لديهم أي بر ناتج عن جهودهم لكنهم سيجدون البر حاضراً بسبب عمل المسيح والروح القدس فيهم.

عندما طلب الكتبة والفريسيون آية، قال لهم يسوع إن الآية الوحيدة التي لديهم هي آية يونان النبي. ثم ذكر يسوع أن "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا!" (مت ١٢: ٤١؛ قارن لو ١١: ٣٢). ويمكننا أن نجد تصويراً للتوبة في قصة يونان ومدينة نينوى. عندما أخبر يونان سكان نينوى بالدينونة الآتية، دعاهم لأن "يصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة" ففعلوا ذلك. "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة" لم يهلك مدينتهم (يون ٣: ٨، ١٠). لقد تاب سكان نينوى، وتحولوا عن طرقهم الشريرة.

في تحذيره من "العثرات" (لو ١٧: ١)، قال يسوع: "إن أخطأ إليك أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له" (الآية ٣). وبحديث يسوع عن التوبة بعد ارتكاب الخطية، أظهر بذلك أن التوبة تتضمن التحول عن الخطية.

استخدم الرب يسوع المصطلح اليوناني metamelomia في مثل "الابنين". عندما طلب الأب من ابنه الأول أن يذهب لكي يعمل في كرمه، فأجابه الابن: "ما أريد. ولكنه ندم أخيراً ومضى" (مت ٢١: ٢٩). لقد غيّر الابن فكره وذهب وعمل في الكرم. ثم شرح يسوع أنه عندما جاء يوحنا "فلم تؤمنوا [أنتم اليهود] به وأما العشارون والزواني فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرا لتؤمنوا به" (الآية ٣٢).

يمكننا أن نرى بوضوح التغير الذي تجلبه التوبة في عظة بطرس الثانية. فبعد أن أخبرهم بما حدث لرئيس الحياة وكيف كان ذلك تتميماً للنبوءات عن آلامه، طالب بطرس هؤلاء الذين ارتكبوا هذه الأفعال قائلاً: "فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم" (أع ٣: ١٩). فالخطاة يمكنهم بالتوبة أن يختبروا التحول والتجديد، وينتج عن هذا أن الله يغفر خطاياهم وينساها (قارن عب ٨: ١٢؛ ١٠: ١٧).

تحدث بولس عن الشهادة لليهود والأمم "بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (أع ٢٠: ٢١). والتوبة تجلب تغيير الفكر بشأن الله والإيمان بابنه، الرب يسوع المسيح. وعندما وقف بولس أمام الملك أغريباس، قال إنه كرز للأمم " أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة" (٢٦: ٢٠)، لكي يبينوا أن لديهم اتجاه وفكر مختلف. ونرى هنا أيضاً أن التوبة تتضمن كلاً من التحول إلى الله والحياة بأسلوب مختلف يثمر أعمالاً تشهد لحقيقة هذا التغيير.

تتضمن التوبة تغيير اتجاه الفرد نحو الله. كتب كاتب رسالة العبرانيين عن "التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله" (عب ٦: ١). ولم يتطرق الكاتب إلى التفاصيل لأنه كان قد شرح للتو عقيدة المسيح والنضج المسيحي ولم يرغب في الاستمرار في العقائد

الأساسية. لكنه بالأحرى، فضل أن ينتقل إلى موضوع الكمال. وقد علم قراؤه بالفعل كيف تعمل التوبة والإيمان معاً.

هناك كلمة يونانية ثالثة (epistrepho)، رغم أنها لا تترجم يتوب أو توبة، إلا أن لها معنى مشابهاً. استخدم الرب يسوع هذا المصطلح فيما يتعلق بقلوب الناس التي تقست، وآذانهم التي توقفت عن السمع، وعيونهم المغلقة، "لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (مت ١٣: ١٥؛ قارن مر ٤: ١٢). وقد تنبأ زكريا أن يوحنا سوف يكون عظيماً وسوف يمتلئ من الروح القدس، "ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ... ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار" (لو ١: ١٦، ١٧). وحينما ذكر الرب يسوع إن بطرس سوف ينكره، قال: "ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك" (٢٢: ٣٢).

استخدم الرسل هذا المصطلح عدة مرات: "رجعوا إلى الرب" (أع ٩: ٣٥)؛ "فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب" (١١: ٢١)؛ "نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي" (١٤: ١٥)؛ "الراجعين إلى الله من الأمم" (١٥: ١٩)؛ "أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة" (٢٦: ٢٠)؛ " كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي" (١تس ١: ٩).

جميع الناس يواجهون الدينونة. وكل شخص سوف يتوجب عليه أن يقف أمام الله ويعطي حساباً عما فعله في حياته. هذا ما وعد به الرب (مت ٢٥: ٣٢-٤٦؛ يو ٥: ٢٥-٢٩؛ قارن أع ١٠: ٤٢؛ ١٧: ٣١؛ رو ١٤: ١٠؛ ١كو ٤: ٥؛ ٢كو ٥: ١٠). ولكن ليس على الناس أن يخافوا من لحظة الدينونة لو أنهم استعدوا لها خلال حياتهم. فإن محبة الله ورحمته قد أعدت سبيلاً لتجنب الإدانة. قال بطرس الرسول: "لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط ٣: ٩). لن يستطع الخطاة

أن يفلتوا من دينونة الله إلا إذا تابوا. وعليهم ألا يتّكلوا على عطف الله وتأنيه وصبره ظانين بذلك أن بإمكانهم الهروب من عواقب خطاياهم. إذ ينبغي عليهم أن يدركوا أن "لطف الله إنما يقتادك [يقتادهم] إلى التوبة" (رو ٢: ٤).

هناك بعض النصوص الكتابية الأخرى التي تظهر هبة الله للتوبة، ومنها: "رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا" (أع ٥: ٣١)؛ "إذا أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة!" (١١: ١٨)؛ و"أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق" (٢تيمو ٢: ٢٥).

إن رؤية عطف الله وإدراك مدى شرور الإنسان ينبغي أن يقود الخاطئ إلى الانكسار أمام الله والتوبة.

"الآن أنا أفرح، لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة. لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتخسروا منا في شيء. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتاً. فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله، كم أنشأ فيكم من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام. في كل شيء أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" (٢كورنثوس ٧: ٩-١١).

ليس على أي شخص أن يخاف من الدينونة، لأن الله يرغب في ضمان التوبة، ولكن عدم التوبة سوف يقود إلى الدينونة والإدانة. لقد وبخ الرب يسوع كورزين وبيت صيدا، وهما مدينتان صنع فيهما يسوع الكثير من المعجزات، "لأنها لم تتب ... لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ... إن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما. وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية" (مت ١١: ٢٠-٢٣؛ قارن لو ١٠: ١٣). حيث إن هذه المدن لم تتراجع عن خطيتها، فإنها نتيجة لذلك سوف تواجه الدينونة. قال يسوع إن شعبها هم جيل

شرير وإن "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا!" (مت ١٢: ٤١؛ قارن لو ١١: ٣٢). وقد تم إبراز هذه النقطة نفسها للمرة الثالثة عندما تحدث يسوع عن سكان الجليل الذين هلكوا على يد بيلاطس: "بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣: ٣؛ قارن ١٣: ٥).

تضمنت رسالة يوحنا إلى خمس كنائس من السبع التي خاطبها أن عليها أن تتوب حتى تتجنب الدينونة. وقال الملاك للكنيسة التي في أفسس: "لكن عندي عليك أنك تركت محبتك الأولى. فاذكر من أين سقطت وتب، واعمل الأعمال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها، إن لم تتب" (رؤ ٢: ٤-٥). كما أنذر الكنيسة في برغامس لأنهم متمسكون بتعاليم بلعام والنقولاويين، "الذي أبغضه. فتب وإلا فإني آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمي" (الآية ١٥، ١٦). وقال للكنيسة التي في ثياتيرا إنها بسبب سماحها للـ "المرأة إيزابل التي تقول إنها نبية، حتى تعلم وتغوي عبيدي أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان" وقد أعطاها الرب زماناً لكي تتوب، ولكنها لم تتب. لذلك قال الرب إنه سيقتل أولادها (الآية ٢٣). وقال للكنيسة في ساردس: "فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب" (٣: ٣). ثم قال للكنيسة في لاودكية: "أنا عارف أعمالك، أنك لست بارداً ولا حاراً ... هكذا لأنك فاتر" (الآية ١٥، ١٦). وبعد أن نصحهم بما يجب أن يفعلوه، قال لهم: "إني كل من أحبه أوبخه وأؤدبه. فكن غيوراً وتب" (الآية ١٩). من الواضح في هذه المقاطع الكتابية أن الأشخاص أو الكنائس الذين يبتعدون أو يصيرون فاترين يجب أن يتوبوا حتى يتجنبوا الدينونة.

وبالتالي من المهم أن يتوب الجميع. ونتيجة لذلك، كان الرب يسوع يرغب "أن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم" (لو ٢٤: ٤٧)، مبيناً أن حالة الفداء هذه ينبغي أن تظل في مسيرتها للجميع.

لذلك فإن التوبة هي تغيير في الفكر فيما يتعلق بحالة الإنسان الخاطئة – أنه ضال ومقيد ومصيره الجحيم – وبشأن من هو الرب يسوع وما الذي فعله. يحتاج الخاطئ لتغيير اتجاهه نحو هوية يسوع الحقيقية – أنه ابن الله، القدوس والبار تماماً – وبشأن عمل الرب يسوع في الفداء. تقدم آلام وموت يسوع الكفارة عن جميع خطايا العالم. يحتاج الخاطئ أن يغير اتجاهه بشأن اتباعه مشيئة الله وعزمه أن يهجر خطاياه ويتبع يسوع. وهذان الشرطان واجبان على جميع الناس، من أورشليم وحتى الأمم: "أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة" (أع ٢٦: ٢٠). عندما يعترف الخاطئ بهذه الحقائق ويحمل صليبه ويتبع يسوع المسيح، فإنه بهذا يظهر توبته. بالطبع هذا لا يعني أنه بلغ حالة الكمال بل يعني أنه لم يعد بعد خاطئاً (١يو ٣: ٩). سوف يستمر المؤمن في التعلم والنمو، وسيظل يجاهد ضد الخطية (عب ١٢: ٤)، وسيركض في السباق نحو النضج (الآية ١)، لكي يفوز بالإكليل الذي لا يفنى (١كو ٩: ٢٥).

الإيمان

تحدث يسوع المسيح عن الحاجة إلى الإيمان بالله وبه وبالإنجيل، مبيناً أن الإيمان أمر لا غنى عنه. كما ربط الرب يسوع، مراراً وتكراراً – كما تظهر النصوص الكتابية التالية – بين الحياة الأبدية والإيمان. وفي بداية خدمته، قال: "آمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥). وعندما أنزلوا إليه المفلوج من سقف البيت في كفرناحوم حتى يشفيه، "فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك" (مر ٢: ٥؛ قارن لو ٥: ٢٠). وفي مثل الزارع، شرح يسوع أن البذرة هي كلمة الله، والبذور التي

سقطت على الطريق داستها الأقدام ولم تنبت لأن الشيطان نزع "الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا" (لو ٨: ١٢). وطلب يسوع من تلاميذه أن يذهبوا إلى العالم ويكرزوا بالإنجيل ويقولوا للناس إن "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن" (مر ١٦: ١٦). وقد قال يسوع لنيقوديموس "لا يهلك كل من يؤمن به [بابن الإنسان، المسيح] بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٥؛ قارن الآية ١٦، ١٨). كما قال لليهود: "إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (٥: ٢٤). وفي حديثه حول خبز الحياة، قال يسوع: "من يؤمن بي فله حياة أبدية" (٦: ٤٧). وفي عيد التكريس في أورشليم، تكلم الرب يسوع مع بعض اليهود الذين سألوه هل هو المسيح فأجابهم: "إني قلت لكم ولستم تؤمنون ... ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي" (١٠: ٢٥، ٢٦). ثم شرح لهم: "خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني: وأنا أعطيها حياة أبدية" (الآية ٢٧، ٢٨). وقد أخبر يسوع مارثا بعد موت أخيها لعازر: "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا" (١١: ٢٥؛ قارن الآية ٢٦). وقال يسوع لاثنين من تلاميذه: "آمنوا بالنور [يسوع المسيح] لتصيروا أبناء النور ... فنادى يسوع: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني ... أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (١٢: ٣٦، ٤٤، ٤٦). وفي آخر فصح له على الأرض، قال يسوع: "لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ... أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (١٤: ١، ٦). تبين هذه النصوص الكتابية أن الرباط بين الإيمان والحياة الأبدية له مكانة مركزية في تعاليم الرب يسوع.

كتب بولس الرسول حول موضوعات لاهوتية، ومن بين هذه الموضوعات التي ركز عليها أن الإيمان يرتبط بالنعمة، والنعمة هي التي تجلب التبرير. لقد تبررنا بواسطة "الإيمان كي يكون على سبيل النعمة" (رو ٤: ١٦)، و"الذي به أيضا قد صار لنا

الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة" (٥: ٢). وقد كتب بولس إلى تيطس أن: "بمقتضى رحمته [المسيح] خلصنا ... تبررنا بنعمته" (تي ٣: ٥، ٧). يتمركز الإيمان في شخص الرب يسوع المسيح؛ والمؤمن المسيحي يتطلع نحو المسيح لأجل خلاصه. إن تبرير المؤمن ليس مسألة عمل "إيماني" ولكنه يعتمد تماماً على نعمة الله. فهذا الإيمان ليس عملاً؛ بل إن إيماننا قائم على النعمة. كتب بولس إلى كنيسة أفسس قائلاً: "لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله" (أف ٢: ٨). وبالتالي فإن الخاطئ يحصل على النعمة بواسطة الإيمان وهذه النعمة لا ينتج عنها فقط أن يصير الشخص باراً أمام الله، ولكنها تؤثر أيضاً فيه وتساعده أن يحيا حياة مستقيمة.

التبرير بالإيمان هو الموضوع الرئيسي لرسالة رومية. فقد كتب بولس الرسول: "لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولا ثم لليوناني. لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا" (رو ١: ١٦، ١٧). وفيما بعد شرح بولس كيف يعمل الله لجعلنا أبراراً بالإيمان حتى يكون لنا حياة أبدية (انظر ١٠: ٢-١٣. خاصة الآية ٥، ٦).

كتب بولس الرسول في بداية نقاشه حول التبرير: "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رو ٣: ٢٠). وفي ظل العهد الجديد تجلى بر الله بمعزل عن الناموس الذي كان في العهد القديم (الآية ٢١). الآن "بر الله بالإيمان بيسوع المسيح [صار] إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (الآية ٢٢). لقد تبرر الإنسان، أي، أُعلِنَ باراً أمام الله، بالإيمان بيسوع المسيح. إذ جاء المسيح ليكون "كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة" (الآية ٢٥؛ قارن الآية ٢٦؛ ٤: ٢٤، ٢٥؛ ٥: ١). إن كلمة الكفارة، المستخدمة في الترجمات الإنجليزية القديمة، هي الترجمة للمصطلح اليوناني المستخدم في الترجمة اليونانية للعهد القديم (السبعينية) للإشارة لغطاء كرسي الرحمة فوق تابوت العهد (لا ١٦: ١٣، ١٤). الخاطئ صار

مبرراً بواسطة "بره [بر المسيح] في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" (رو ٣: ٢٦). إن ذبيحة المسيح الذاتية على الصليب هي التي جلبت التبرير، وليس أي جهود بشرية لحفظ الناموس. وبر المسيح هو الذي يجعل من الممكن لله، أن يلتزم نحو كونه عادلاً، وفي نفس الوقت يمنح المؤمن حالة التبرير أمامه. أما شريعة موسى فلم تبرر من يحفظها. "لهذا هو من الإيمان كي يكون [تبريرنا] على سبيل النعمة" (٤: ١٦).

بعد ذلك يتم التركيز على التبرير بالإيمان في رسالة رومية: "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (٥: ١)؛ "الذي به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة" (الآية ٢)؛ "لأن غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن" (١٠: ٤)؛ "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (١٠: ٩، ١٠).

كما ينال موضوع التبرير بالإيمان هذا اهتماماً خاصاً في بقية رسائل بولس الرسول. فهو يبرز فيها أن الإنسان يمكنه أن يدخل ثانية في علاقة صحيحة مع الله، ليس بأعمال الناموس، بل بالإيمان: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس" (غل ٢: ١٦)؛ وليس بالبر "الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان" (في ٣: ٩).

لقد كتب بولس الرسول باستفاضة عن الأهمية اللاهوتية للعهد الجديد (new covenant) الذي حل محل العهد القديم (old covenant).[٨] وفي تركيز بولس

[٨] المقصود هنا بالعهد الجديد (new covenant) هو العهد الذي قطعه الله مع المسيح يسوع، والذي حل محل العهد القديم (old covenant) الذي كان الله قد قطعه مع شعبه بحسب الناموس. وهذا ليس له علاقة بالعهد الجديد (new testament) والعهد القديم (old testament) في الكتاب المقدس. (المترجم)

على الإيمان ومدى تناقضه مع أعمال الناموس، كان بذلك يصحح إساءة فهم حدثت لدى بعض المسيحيين في القرن الأول الميلادي الذين جاءوا من خلفية يهودية بخصوص التبرير. وقد عمل على إبراز التناقض بين التعبيرين لتأكيد أن نعمة الله تفتدي الإنسان. ويظهر هذا بوضوح في أفسس ٢: ٨، ٩ "لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد". يركز بولس على الإيمان كشرط للخلاص، على عكس حفظ الناموس، مبرزاً أن الخلاص هو عطية النعمة، وليس شيئاً يمكننا أن نكتسبه بأنفسنا. يصبح الإيمان هو الوسيلة لإبراز أننا "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو ٣: ٢٤، ٢٥). يظهر استخدام بولس للإيمان الذي يناقض الناموس (الآية ٢١) بأنه يتضمن أكثر من مجرد التصديق والثقة؛ إذ أنه يتضمن الأمانة ليسوع المسيح ولكامل الحق المسيحي الذي جلبه المسيح (يو ١: ١٧). لذا كتب بولس إلى مؤمني غلاطية: "آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (غل ٢: ١٦). وسوف نعود لهذا لاحقاً بعد أن نناقش مفهوماً آخر يجلب الخلاص للإنسان.

ربط بولس الرسول حقوق روحية أخرى بالإيمان. فكتب "إلى ... المؤمنين في المسيح يسوع" في أفسس أننا في المسيح "لنا الفداء، بدمه" (أف ١: ١، ٧) وأن الله "أحيانا مع المسيح" (٢: ٥). كما كتب بولس إلى "الإخوة المؤمنين في المسيح" في كولوسي أنه سمع عن إيمانهم، وأنهم يسلكون "كما يحق للرب، في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح" (كو ١: ٢، ١٠)، وأن الآب "أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (الآية ١٣). وفي رسالته إلى مؤمني غلاطية كتب عن "الإيمان العامل بالمحبة" (٥: ٦). كما قال بولس بخصوص اختباره المسيحي: "مع المسيح صلبت، فأحيا

لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله" (٢: ٢٠). وفيما بعد أضاف بولس أننا "لننال بالإيمان موعد الروح" (٣: ١٤).

ما هو هذا الإيمان الذي يمنح الإنسان مكانة بارة أمام الله؟ للإيمان معاني عديدة: الضمان أو الثقة في الله والتصديق واليقين. ويستخدم العهد الجديد مصطلح الإيمان بهذه المعاني.

شرح كاتب العبرانيين بعض العقائد أو التعاليم المبدئية بخصوص المسيح. ومن بينها التوبة و"الإيمان بالله" (عب ٦: ١). وبعد ذلك في الرسالة كتب الكاتب إلى قرائه عن الحاجة إلى الثبات، حتى أنهم بعد أن يعملوا مشيئة الله، أن ينالوا ما وُعِدوا به. "لأنه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطئ. أما البار فبالإيمان يحيا ... وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" (١٠: ٣٧-٣٩). فالإنسان عليه أن يقترب من الله بإيمان.

وفي الأصحاح الحادي عشر يقدم الكاتب عدة أمثلة لأناس كان لهم إيمان أنتج أعمالاً. ويبدأ هذا القسم بتعريف لأحد ملامح الإيمان الذي يرضي الله.

"وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى ... بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر ... ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه" (عبرانيين ١١: ١، ٣، ٦).

الإيمان هو الثقة أو التيقن بما يرجى والتأكد أو البرهان على أن الله موجود. الإيمان ليس قبولاً أعمى لوجود الله أو الكلمة. الإيمان يبنى على البراهين المسيحية، حيث أن الله قد منحنا أسباباً كافية ليجعل الإنسان متأكداً أن المسيحية هي الحق. والإيمان هو عمل عقلي يحدث نتيجة لتأثير النعمة وعمل الروح القدس. عندما يدرك الإنسان مدى شروره ويحترم الأدلة التي تظهر حقيقة الله، عندها يحتاج إلى العودة إلى الله بالإيمان

والثقة أن الله سوف ينعم عليه بالمعونة. وهذا لا يعني أن العقل هو أساس الإيمان. فالإيمان يقوم على الأدلة التي أعطاها الله في الطبيعة وفي كلمته وبواسطة ابنه.

الأدلة التي يمنحها الله للإنسان هي الأساس الكافي للإيمان، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يقول، مع بولس، "لأنني عالم بمن آمنت، وموقن أن" المسيح قادر على حمايتي (٢تيمو ١: ١٢). وكتب يوحنا أننا "نعلم أننا نحن من الله" (١يو ٥: ١٩). وأعتبر بولس كل ما حققه من منجزات أرضية كنفاية بلا قيمة في سعيه مع المسيح، "لأعرفه" (في ٣: ١٠). وأشار بولس إلى كنيسة غلاطية أن هناك وقتاً لم يعرفوا فيه الله، ولكنهم الآن عرفوا الله (غل ٤: ٩). كما عبر عن شكره لكنيسة أفسس عندما سمع عن إيمانهم، قائلاً: "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة" ... مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته" (أف ١: ١٧، ١٨). وكتب أن "هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تيمو ٢: ٣، ٤). إن نعمة الله معطاة بواسطة يسوع المسيح لذلك فإن مؤمني كورنثوس سوف يستغنون "في كل كلمة وكل علم" (١كو ١: ٥). فالمؤمنون قادرون على معرفة الله لأنه أعطاهم النعمة والمعرفة.

لا يقدم كاتب العبرانيين في الأصحاح الحادي عشر تعريفاً دقيقاً للإيمان لكنه يبرز بعض سماته. فيشرح في عب ١١: ٦ مقومين من مقومات الإيمان — أن الله موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه. ويجب على من يطلبه أن يؤمن بأن الله سوف يحاسب الجميع ويجازي الذين يسعون باجتهاد لمعرفته. فلو أن من يسعى يفتقر إلى هذين المقومين للإيمان، فإنه لن يبذل أي جهد لطلب فداء الله. ويعطي عبرانيين ١١ العديد من الصور التوضيحية للإيمان العامل.

ثمة أخرى من سمات الإيمان هي الثقة. والمصطلح اليوناني pistis، الذي يترجم إيمان، يعني "الثقة". الإيمان إذ نفحصه يتضمن الثقة في الله، وفي يسوع المسيح، وفي

كلمة الله. وهناك تركيز على الثقة في العهد القديم، وإحدى الشخصيات المركزية في العهد القديم، وهو إبراهيم، هو نموذج مذهل للإيمان والثقة في الله. على سبيل المثال، عندما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين من عمره وكان ما يزال بلا أبناء، ظهر الله له وأخبره قائلاً:

"أنا الله القدير. سر إمـــامي وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً ... أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم" (تكوين ١٧: ١، ٢، ٤)

ومع أنه كان من الصعب على إبراهيم أن يفهم كيف يمكن تتميم وعد الله، إلا أنه آمن بالله، وكان الله أميناً معه.

"فحبلت ســـارة وولدت لإبراهيم ابنـــاً في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ... وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه" (تكوين ٢١: ٢، ٥).

لقد تعرض إيمان إبراهيم بالله لاختبار تجاوز أي خبرة عادية. إذ أنه آمن بما وعده به الرب بأن نسله سوف يكون كمثل عدد النجوم. ثم قال له الله: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك" (تك ٢٢: ٢). وعند سفح جبل المريا، قال إبراهيم لخادميه: "اجلسا أنتما ههنا ... وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما" (الآية ٥). ثم صعد إلى الجبل لكي يقدم إسحاق ذبيحة. وبثقة تامة لله، ربط إبراهيم ابنه وأصعده على المذبح (توقع إبراهيم أن يقيمه الله بعد ذبحه). وفي اللحظة التي استعد فيها إبراهيم لكي يذبح ابنه، ظهر ملاك الرب وقال له: "لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (الآية ١٢). استخدم بولس الرسول قصة إبراهيم لكي يبين أنه تبرر بالإيمان (رومية ٤) وأن العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم كان قائماً على الإيمان (غلاطية ٣).

الثقة ليست "إيماناً" بشيء لا نعلمه. كما كتب بولس: "لأنني عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي" (٢تيمو ١: ١٢). الثقة تتعمق بجذورها في المعرفة المترسخة على البراهين والعلامات الكافية (يو ٢٠: ٣٠، ٣١).

هناك مظهر آخر من مظاهر الإيمان، وهو الخضـــوع الكامل لله، يمكننا أن نراه أيضاً في إبراهيم. فعندما دعاه الله للمرة الأولى، دلل إبراهيم على إيمانه بأن ترك أرضه (تك ١٢: ١)؛ وطوال مشوار عمره كان له علاقة حميمة مع الله تميزت بالخضوع المستمر لمشيئة الله. ويعلق الرسول يعقوب على هذا بأن إبراهيم تبرر بالأعمال "إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمـــال أكمل الإيمان" (يع ٢: ٢١، ٢٢). كما كتب وينجر Wenger: "لا يكفي للمرء أن يختبر الخلاص المجيد في لحظة اهتدائه؛ لكن من الضروري أيضاً أن يحافظ على حياة القداسة والطاعة. وهذا ملمح أساسي من ملامح الإيمان المُخَلِّص".[٩]

ينتج الإيمان في الحياة التي تسعى لإرضاء الله ولطاعة وصايا المسيح. يوضح بولس هذا بقوله: "لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس" (أع ٢٤: ١٦)؛ لقد سعى بولس لكي يركض في السباق و"أقمع جسدي وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١كو ٩: ٢٧).

كثيراً ما يُطلق على عبرانيين ١١ "أصحاح الإيمان". لكن حيث أن الكثير من أمثلة الإيمان فيه تظهر أن الأعمال تتبع الإيمان، فيمكن أيضاً أن نطلق عليه أيضاً "أصحاح الأعمال". على سبيل المثال، كتب صاحب الرسالة: "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين" (الآية ٤)؛ "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله –إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله" (الآية ٥)؛ "بالإيمان نوح ... بنى

---

[٩] Wenger, Introduction to Theology, op. cit., p. 274.

فلكاً" (الآية ٧)؛ "بالإيمان إبراهيم ... أطاع ... فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي" (الآية ٨)؛ "بالإيمان موسى [أختار] أن يذل مع شعب الله" (الآية ٢٤، ٢٥).

يمكن أيضاً أن يشير الإيمان إلى التكوين العام للتعليم أو الحق المسيحي.[١٠] ويظهر هذا الاستخدام في الأعداد التالية: "موطدين في الإيمان" (كو ٢: ٧)؛ "حفظت الإيمان" (٢تيمو ٤: ٧). "وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع ٦: ٧)؛ "لأهل الإيمان" (غل ٦: ١٠)؛ "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة" (أف ٤: ٥)؛ "وحدانية الإيمان" (الآية ١٣)؛ "يرتد قوم عن الإيمان" (١تيمو ٤: ١)؛ "فقد أنكر الإيمان" (٥: ٨)؛ "الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان" (٦: ١٠)؛ "أن تجتهدوا لأجل الإيمان" (آية ٣). ويجدر بنا أن نفهم هذا الاستخدام لكي نتجنب خطورة السقوط في حالة "الإيمان السهل"، وهي حالة تصديق عقلي لا تأتي بأي ثمار أو دليل على أتباعها للمسيح كمخلص ورب.

إن فحص استخدام كلمة "الإيمان" في نصوص أخرى من العهد الجديد سوف تساعدنا بشكل أفضل لفهم هذا المصطلح. ففي الموعظة على الجبل، تكلم الرب يسوع ضد القلق على الحياة والطعام والشراب والملابس. وقال: "فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟" (مت ٦: ٣٠؛ قارن لو ١٢: ٢٨). فعلى المؤمنين أن يمتلكوا إيماناً وثقة بالله بأنه يسدد حاجاتهم المادية وألا ينشغلوا بالضرورة بمثل هذه الأشياء. وعندما واجه التلاميذ هذه المصاعب، كان عليهم ألا يقلقوا. ولكن يبدو أنه كان من الصعب بالنسبة لهم أن يتمسكوا بهذه النوعية من الإيمان. فعندما كانوا في المركب وهبت عليهم رياح قوية، ارتعبوا جداً. فوبخهم يسوع وسألهم: "ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمـــان؟"

---

[١٠] Walter A. Elwell, Editor, Baker Encyclopedia of the Bible, Grand Rapids: Baker Book House, 1988, I:761.

(مت ٨: ٢٣-٢٧؛ قارن مر ٤: ٣٦-٤١؛ لو ٨: ٢٢-٢٥). ومرة ثانية، عندما رأى بطرس يسوع ماشياً على الماء وحاول أن يفعل ذلك بنفسه، بدأ يغرق. فتحدى يسوع بطرس وقال له: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (مت ١٤: ٣١). كما وبخ يسوع التلاميذ لعدم إيمانهم بأنه قادر على تسديد حاجة الجموع للطعام. "لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزا؟ أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف وكم قفة أخذتم ولا سبع خبزات الأربعة الآلاف وكم سلاً أخذتم؟" (مت ١٦: ٨-١٠). لذلك فقد لام يسوع تلاميذه وشجعهم أن يثقوا بالله في كل يوم من حياتهم.

وقد كان المرضى الذين يأتون إلى يسوع طلباً للشفاء كثيراً ما يعبرون عن إيمان (ثقة) صريح به. قائد المئة الذي جاء إلى يسوع لكي يشفي له خادمه عرف ووثق بأنه لو نطق يسوع بكلمة، فإن خادمه سوف يشفى. فعلق الرب يسوع على ذلك قائلاً: "الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا" (مت ٨: ٨-١٠؛ قارن لو ٧: ٧-٩). كما يمكننا أن نرى نموذجاً آخر للتعبير عن الإيمان بيسوع في قصة المفلوج الذي أحضروه على سريره إلى يسوع لكي يشفيه. "فلما رأى يسوع إيمانهم" شفاه (مت ٩: ٢؛ قارن مر ٢: ٥؛ لو ٥: ٢٠). كذلك المرأة المصابة بنزيف الدم لمدة اثنتي عشرة سنة كان لها مثل هذا الإيمان. فقد قالت: "إن مسست ثوبه فقط شفيت". وفعلاً لمسته، "فالتفت يسوع وأبصرها فقال: ثقي يا ابنة. إيمانك قد شفاك" (مت ٩: ٢٠-٢٢؛ قارن مر ٥: ٢٥-٣٤؛ لو ٨: ٤٣-٤٨). كل هؤلاء سمعوا عن المعجزات التي صنعها يسوع وعلموا أن باستطاعته أن يساعدهم. فجعلوا إيمانهم يتحرك وطلبوا معونة الرب.

إن الفعل يؤمن والاسم إيمان مرتبطين بشكل واضح في اليونانية كما في العربية. ففي اللغة اليونانية الفعل pisteuo شديد الصلة بالاسم pistis. يمكننا أن نرى الصلة

الوثيقة بين الفعل يؤمن والاسم إيمان في النصوص الكتابية التالية. قال يسوع لقائد المئة، الذي كان يتمتع بإيمان عظيم، "اذهب وكما آمنت ليكن لك" (مت ٨: ١٣). وقال للرجلين الأعميان اللذين طلبا منه أن يشفيهما: "أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا؟" (٩: ٢٨). فأجاباه أنهما يؤمنان، فقال لهما: "بحسب إيمانكما يكون لكما" (الآية ٢٩). ولما تعجب التلاميذ من أن شجرة التين قد يبست نتيجة لكلمة الرب يسوع، أجابهم يسوع: "ليكن لكم إيمان بالله. لأني الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم" (مر ١١: ٢٢-٢٤؛ قارن مت ٢١: ١٨-٢٢).

لذلك فكثيراً ما تستخدم كلمة إيمان في الكتاب المقدس لتعبر عن الثقة وعادة ما تكون مساوية للفعل "يؤمن". كما يعبر الإيمان أيضاً عن الوسيلة التي بواسطتها يصير الخلاص متاحاً للإنسان. عندما بدأ يسوع خدمته، جاء ليعظ بأنه "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥). وفيما بعد أثناء خدمته، قال يسوع للمرأة الخاطئة إن إيمانها قد خلصها (لو ٧: ٣٦-٥٠).

في مثل الزارع، قال يسوع: "الزرع هو كلام الله. والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس ويترع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا" (لو ٨: ١١، ١٢). ومن يتجاوبون مع بذور الكلمة ويؤمنون فسوف يخلصون. أما من يؤمنون إلى حين، ثم في "وقت التجربة يرتدون" (الآية ١٣) أو الذين "يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً" (الآية ١٤)، فلن يخلصوا (قارن مت ١٣: ١٨-٢٣؛ مر ٤: ١٣-٢٠). فالإيمان أمر لا غنى عنه للخلاص.

لا يستخدم الإنجيل الرابع إيمان لاسم لكنه يستخدم الفعل يؤمن. فقد كتب يوحنا الرسول في العبارة التي أوجزت الموضوع الرئيسي للإنجيل: "وأما كل الذين قبلوه

فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو ١: ١٢، ١٣). وفي نهاية الإنجيل، كتب يوحنا: "وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (٢٠: ٣٠، ٣١).

استخدم يوحنا المصطلح يؤمن لكي يصف الوسيلة التي بواسطتها ينال الإنسان الحياة الأبدية. وفكرة الإيمان هذه ليست شيئاً من اختلاق يوحنا، لكنها تقوم أساساً على كلمات الرب يسوع نفسه. إذ قال يسوع: "هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٤، ١٥). "الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (٥: ٢٤). "لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٤٠).

عندما كتب يوحنا بشأن قصد الله من وراء إرساله لابنه يسوع إلى العالم، ربط الإيمان بتحقيق هذا القصد:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا ٣: ١٦-١٨).

إيجازاً نقول إن الإيمان المسيحي المخلص هو الإيمان والقبول بأن يسوع المسيح هو مخلصنا وربنا، وهو الثقة فيه وقبول تعاليمه. وبالتالي فإن الخلاص هو أمر يحدث بطريقة فورية لكنه أيضاً عملية نمو وتعلم في ذات الوقت. الإيمان الذي بلا رياء (١تيمو ١: ٥).

ليس مجرد قناعة فكرية بالمسيحية قائمة على التراث الثقافي والتعليمي للشخص – فالإيمان المرتبط بالفداء هو إيمان عميق يحرك دواخل الإنسان ويدفعه لإرضاء الله. الإيمان يتركز في قلب وعقل الإنسان: "لأن القلب يؤمن به للبر" (رو ١٠: ١٠). الإيمان هو اقتناع تام وإيمان بالله وبيسوع المسيح وبالروح القدس – وبالإعلان الذي أوحى به الروح القدس (٢بط ١: ٢١؛ ٢تيمو ٣: ١٦). ليس الإيمان عمل تصديقي منعزل يخلص الإنسان به نفسه بدون أن يوجد بداخله اهتمام ورغبة في التعلم المزيد عن العقيدة والممارسة المسيحية.

وحيث أنه يوجد دائماً تحذيرات من الأنبياء الكذبة ومن الإخوة الذين يسقطون بعيداً عنا، فمن المهم أن نعلم هل الشخص لديه إيمان حقيقي. والدليل الأساسي على الإيمان النعمة المصاحبة في الخاطئ لأننا "متبررين مجاناً بنعمته ... بالإيمان" (رو ٣: ٢٤، ٢٥). وقد شُهِدَ للنعمة أنها هي الشاهد المقيم وعمل الروح القدس (٨: ٩، ١٠، ١٦؛ ١يو ٣: ٢٤؛ ٤: ١٣) وبالنمو والطاعة في حياة المؤمن (١يو ٢: ٣، ٥؛ ٣: ١٠، ١٤، ١٩؛ ٤: ٧؛ ٥: ٢). فإذا لم يكن هناك أي دليل على النعم، فلا يوجد إيمان. "فالإيمان" الذي لا يصنع تأثيراً في حياة المرء ومسيرته ليس إيماناً مُخلصاً. إذ أن الإيمان المخلص سوف يصاحبه حياة يملؤها قراءة الكتاب المقدس والصلاة من أجل استنارة الروح القدس، والسعي لإطاعة كل نور يستقبله الفرد من كلمة الله.

الولادة الجديدة

تتضمن التوبة، كما ذكرنا من قبل، تغييراً جذرياً في الذهن والقلب. وعندما تكون توبة الشخص وإيمانه حقيقيين، فإن نعمة الله تصنع فيه "ولادة جديدة". والولادة الجديدة اختبار وحقيقة تصاحب الفداء الذي جلبه الرب يسوع المسيح. لقد أبرز يسوع أهمية الولادة الجديدة في مناقشته مع نيقوديموس وهو أحد القادة اليهود وكان

عضواً في السنهدريم. عرف نيقوديموس أن يسوع قد جاء "من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه" (يو ٣: ٢). وقدم ليسوع الاحترام اللائق كمعلم ويبدو أنه جاء إليه ليتعلم منه.

وحيث أنه كان يهودياً، ومعظم يهود القرن الأول كانوا يعارضون السلطة الرومانية ويرجون عودة المُلك لإسرائيل، فإن يسوع كثيراً ما ناقش موضوع ملكوت الله. إذ قال لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو ٣: ٣). ربط يسوع التغير الروحي بحقيقة ملكوت الله. ولأن نيقوديموس تعجب من هذا الرباط الروحي، فقد سأل يسوع: "كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟" أجاب يسوع: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (الآية ٤-٦). لقد أبرز يسوع الطبيعة الروحية للولادة الجديدة: يجب على الشخص أن يولد من الماء والروح، لأن "المولود من الروح هو روح" (الآية ٦).

على الرغم من وجود بعض الاختلاف بين معلمي الكتاب المقدس حول معنى أن "تولد من الماء"، فإن المعنى الأكثر منطقية يبدو أنه يرتبط بموضوع حديثنا عن الملكوت. فحيث أن يوحنا المعمدان ربط بين التوبة والاستعداد للدخول إلى الملكوت وبين المعمودية بالماء، فبالتأكيد كان هذا ما يدور في ذهن الرب يسوع ونيقوديموس عندما تحدثا عن الولادة من الماء. ففي النهاية، حتى يسوع الملك نفسه تعمد، ليس كتصرف ينم عن التوبة، بل كعلامة على توحده مع الأشخاص المستعدين للدخول للملكوت ومع رسالة الملكوت.

في الفكر اللاهوتي اليهودي، يتوجب إجراء معمودية الماء على أي شخص يعتنق اليهودية حتى يستطيع أن يصير اسرائيلياً. فهذه المعمودية تمثل علامة التغيير أو "الولادة

الجديدة" للشخص المرشح للانضمام، وهي تعلن عن انفصاله عن حياته الماضية وهويته وقبوله لطريقة جديدة في الحياة. بل في بعض الحالات يصاحب ذلك منح الشخص اسماً جديداً.

إلى يومنا هذا، عندما يعتنق شخص من خلفية يهودية محافظة الإيمان بالمسيح، فإن عائلته تتقبل على مضض هذا التغيير. لكن، حين يتم تعميد هذا الشخص، تعتبره العائلة اليهودية ميتاً بل في بعض الأحيان تقيم مراسم جنائزية لتعلن عن هذه الحقيقة. لقد مات المهتدي إلى المسيحية عن مسلكه القديم في الحياة ووُلِدَ إلى حياة جديدة وهوية جديدة، وترمز المعمودية إلى نقطة التحول.

ثم قال يسوع لنيقوديموس: "لا تتعجب أني قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يو ٣: ٧، ٨). هناك سر متَضمن في الولادة الجديدة تماماً كما أن هناك سراً يتعلق بالريح. فالروح القدس يعمل بطريقة معجزية في النفس، ويصنع تأثيراً قوياً في إرادة الشخص ورغباته وقيمه، ويعطيه اتجاهاً جديداً في حياته. فيتحول المرء من ميله الطبيعي لعصيان الله إلى رغبة جادة لطاعة الله. كيفية حدوث هذا وما الخليط الذي يوجد بين الحق والعقل وعمليات الروح القدس، هذا كله يتجاوز الفهم البشري. غير أننا نعلم أن هذه الأمور جميعها تعمل معاً لأجل إحداث تأثير واضح تماماً في حياة الفرد.

عندما تعرض يسوع لسؤال عن من هو الأعظم في الملكوت، أجـــاب: "الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ١٨: ٣؛ قارن يو ٣: ٣). ينتج عن الولادة الجديدة تغيير كلي في حياة المرء. "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو ٥: ١٧). سوف يظل المؤمن يعيش في الإيمان الطفولي

الذي بدأ به بسبب الولادة الجديدة، وتستمر رغبته في التعلم طوال حياته. كما سوف يظل يهتم بما فوق، لا بما على الأرض (كو ٣: ٢). وينصت لكلمة الله، وسيقوده الروح القدس لقبول تعاليمه. وسوف تجعله الولادة الجديدة "ابناً لله" (مت ١٨: ١-٦؛ قارن مر ١٠: ١٣-١٦؛ لو ١٨: ١٧؛ ١يو ٣: ٢، ١٠؛ وغيرها).

هناك تأكيد على ضرورة الولادة الثانية في كتابات أخرى من العهد الجديد. إذ يعلن بولس الرسول كيف أن الطبيعة العتيقة للمؤمن تتأثر بالولادة الجديدة: "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ٢٤). ويستمر في الكتابة لكي يشرح كيف أن طقوس العهد القديم لم تعد ضرورية، "لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة" (٦: ١٥). كما يبرز بطرس الرسول هذه الحقيقة عندما يكتب: "مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد" (١بط ١: ٢٣).

الولادة الجديدة أمر لا غنى عنه إطلاقاً نتيجة لطبيعة الإنسان الخاطئة – " المولود من الجسد جسد هو" (يو ٣: ٦) – وبسبب كون الإنسان ميتاً "بالذنوب والخطايا" (أف ٢: ١). يشرح بولس ما الذي يعنيه ذلك: "لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعا لناموس الله لأنه أيضا لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله" (رو ٨: ٧، ٨). فهؤلاء الذين هم "في الجسد" تسيطر عليهم أهواء الخطية التي تعمل فيهم لكي يثمروا للموت (٧: ٥). هؤلاء الناس لن يروا الله أبداً إلا إذا حدث شيء لحاجز الخطية الذي صنعه الإنسان. فالله قدوس ولا يمكن أن يسمح بتواجد الخطية في محضره. إذ أن أنقياء القلب وحدهم هم من سوف يعاينون الله (مت ٥: ٨). ولا يمكن إزالة حاجز الخطية إلا بواسطة ابن الله وعمل الروح القدس، والذي ينتج عنه تغيير جذري في طبيعة الإنسان من خلال الولادة الجديدة. وتبدأ الولادة الجديدة عملية تغيير لجعل الخاطئ "نقي القلب". وبالتالي فإن الولادة الجديدة

أمر مركزي وحاسم لاستعادة الإنسان إلى مكانته الأصلية في الشركة والبنوية لله. وينتج عن هذه المكانة المستردة أن يتبع المؤمنون وصايا المحبة (مت ٢٢: ٣٧، ٣٩؛ قارن لو ١٠: ٢٧؛ يو ١٤: ١٥؛ ١يو ٤: ٧، ٨، ١١) التي تنبع من قلب نقي وضمير صالح وإيمان بلا رياء (١تيمو ١: ٥).يصاحب المكانة المستردة الناتجة عن الولادة الجديدة رغبة في فعل مشيئة الله. ويؤدي هذا إلى حياة التلمذة. وقد تكلم الرب يسوع عن هذه النتائج حين قال: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي" (يو ١٠: ٢٧، ٢٨)؛ "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي ... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي" (١٤: ١٥، ٢١؛ انظر الآية ١٥-٢٤)؛ "أنا الكرمة الحقيقية ... اثبتوا في وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا في ... بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي" (١٥: ١-٨).

العلاقة بين التوبة والإيمان والولادة الجديدة

رأينا أن إدراك الفداء الذي تحقق بواسطة الرب يسوع يتضمن التوبة والإيمان والولادة الجديدة. ورغم أن بعض النصوص الكتابية تعطي للإيمان مكانة الصدارة، إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل التوبة والولادة الجديدة. فهذه الأمور الثلاثة جميعاً لا غنى عنها للدخول إلى الملكوت كما أنها جميعاً مترابطة ومتشابكة.

يجب على الخاطئ أن يتوب حتى يؤمن. وعليه أن يغير اتجاهه وفكره إزاء تمرده ضد الله، وهذا يعني أن عليه أن يرى مقدار شروره وخطيته وبر الله ويدرك أنه ضال ومصيره الجحيم. يحتاج الخاطئ أن يرى ضرورة أن يسير في النور وأن يغير فكره بشأن السير في الخطية. هذا التغيير في الفكر هو أمر جذري للغاية لدرجة أنه يستلزم أو

يسمى "الولادة الجديدة". غير أنه من أجل أن تحقق التوبة الولادة الجديدة، يجب على العقل أن يستجيب بالإيمان إلى حقائق الإنجيل. فالإيمان والتوبة لا يمكنهما أن يعملا في تعارض أو فوضى؛ بل يحتاجان إلى التأكد والثقة الداخلية بأن الإنجيل هو حق. ثم يجب على الخاطئ التائب أن يؤمن بالحق المُعلَن. لكن هذا الإيمان لا يمكن أن يحدث إلا إذا حدث تغير في القلب. وبالتالي، فنحن نرى أن هذه الثلاثة — الإيمان والتوبة والولادة الجديدة — مترابطة ومتكاملة وتسير في اتجاه واحد. هذه العمليات الثلاث المترابطة تعمل معاً لتحقيق الخلاص، ولا يمكن فصل تفاعلها بدقة، أو حتى فهمها بشكل تام وكامل فيما يتعلق بهذا الأمر.

هذا لا يغير من حقيقة أن الإيمان هو الشرط الأساسي للخلاص بحسب تعليم العهد الجديد، لكن منح الإيمان المكانة الرئيسية لا يجعلنا نستبعد التوبة والولادة الجديدة. عندما يتحدث بولس عن الإيمان باعتباره الشرط الأساسي للخلاص، فإن كلامه يعني ضمناً ضرورة التوبة والولادة الجديدة. على سبيل المثال، في رومية ٦: ٢-٤ يوضح بولس أن الإيمان الخلاصي ينتج عنه حياة متغيرة: "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟ ... اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة" (رو ٦: ٢-٤).

شروط أخرى

إلى جانب التوبة والإيمان والولادة الجديدة هناك بعض الشروط الأخرى التي تُذكر مرات أقل عدداً. وهذه الشروط مرتبطة بالحقائق السابق ذكرها كما أن النعمة وقوة الروح القدس هي الدافع لها وهي التي تحققها. إنها شروط ضرورية للخلاص، وهذا لا يعني أنها أعمال منفصلة نكتسب بها الخلاص، بل أنها نتيجة الخضوع للرب يسوع وللروح القدس.

من بين هذه الشروط الاعتراف. قال يسوع: "فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات. ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السماوات" (مت ١٠: ٣٢، ٣٣؛ قارن لو ١٢: ٨، ٩). هذا الاعتراف، إلى جانب الإيمان، هو شرط يقدمه بولس: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ٩، ١٠). كما يقدم يوحنا أيضاً هذا الأمر كشرط. "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله" (١يو ٤: ١٥).

كذلك فإن بطرس وبولس يقدمان شرطاً آخر للخلاص من خلال كلمات النبي يوئيل. "ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢: ٢١؛ رو ١٠: ١٣؛ قارن يوئيل ٢: ٣٢). وهذه الرسالة يسهل فهمها. فالخلاص متاح لكل من يدعو باسم الرب. وقبل أن يقتبس بولس من هذه الفقرة، أوضح أن "القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ١٠). وترتبط هذه الدعوة باسم الرب مع الاعتراف، وكذلك مع التوبة والإيمان والولادة الجديدة. ويتحدث بولس عن هذه الدعوة أيضاً في تعليقاته الافتتاحية لكنيسة كورنثوس. فهو يكتب: "إلى ... المقدسين في المسيح يسوع ... مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح" (١كو ١: ٢). المقدسين، أي أن القديسين وهؤلاء الذين "يدعون" هم جماعة واحدة.

أكد التلاميذ منذ بداية وعظهم وكرازتهم على أهمية المعمودية. فقد أخبر بطرس الأناس الذين تجاوبوا معه في يوم الخمسين: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨). "فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا" (الآية ٤١).

ترتبط المعمودية بالحيـــاة الجديدة للمؤمن في المسيح (رو ٦: ٣، ٤؛ غل ٣: ٢٧؛ كو ٢: ١٢). وهذه الحياة الجديدة لا تأتي من خلال الفعل المادي لمعمودية الماء؛

فالمعمودية ترمز أو تصور ما قد حدث بالفعل. "الذي مثاله يخلصنا نحن الآن، أي المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣: ٢١). المعمودية لا تطرح بعيداً الأوساخ أو الخطايا في حياة المرء. فمشكلة الخطية قد تم حلها قبل حدوث المعمودية لأن المؤمن صار له ضمير صالح نحو الله. وهذا الضمير الصالح حدث نتيجة معمودية الروح القدس، حيث صار المؤمن حياً روحياً (ولادة جديدة) وانضم لجسد المسيح، الكنيسة: "لأننا جميعنا بروح واحد أيضا اعتمدنا إلى جسد واحد" (١كو ١٢: ١٣؛ انظر أيضاً يو ٣: ٥، ٦؛ تي ٣: ٥).

حياة التلمذة

وحدهم من تابوا ومارسوا الإيمان، واختبروا الولادة الجديدة، وقبلوا سكنى الروح القدس سوف ينالون الخلاص. هؤلاء المؤمنون سوف يطيعون ويكونون تلاميذ أمناء للمسيح. والتلمذة هي بالضرورة جزء من الإيمان المسيحي.

لقد ركز الرب يسوع بشدة على التلمذة. إذ قال إن من يطيعون ويكونون تلاميذ أمناء هم من سينالون الفداء. وكان يسوع قد قال: " ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات" (مت ٧: ٢١)، "ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها" (مت ١٠: ٣٨، ٣٩؛ قارن لو ٩: ٢٣، ٢٤). وبالمثل قال أيضاً: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" (مت ١٦: ٢٤، ٢٥؛ قارن مر ٨: ٣٤، ٣٥). قال يسوع لأتباعه: "إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم ... إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو ٨: ٣١، ٣٢، ٥١).

إن الطاعة التي يدعو إليها الرب يسوع لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة الولادة الجديدة والامتلاء بقوة الروح القدس، وهي تنتج عن التحرر من الخطية والقبول للمحبة الجديدة للرب يسوع (يو ٨: ٣١-٣٨). "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي ... إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني" (يو ١٤: ٢١-٢٤؛ قارن ١٥: ٩، ١٠).

كما يشرح يوحنا الرسول هذا بإسهاب أكثر في رسالته الأولى:

"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله. وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا. بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله: إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه. فإن هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا. من هو الذي يغلب العالم، إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟" (١يوحنا ٥: ١-٥).

الفصل السادس

توضيح الفداء

دروس من اليهود

لليهود تاريخ طويل من التمرد ضد الله؛ وقد اجتازوا في رحلة طويلة وشاقة قبل أن يتعلموا أهمية اتباع مشيئة الله. وأخيراً، بعد أن قضى سبط يهوذا سبعين عاماً في السبي البابلي، شفي اليهود من وثنيتهم. غير أن هذا العلاج لم يحل مشكلاتهم؛ لأن حياتهم كأمة قومية مستقلة انتهت، وتشتت الكثير منهم في أنحاء العالم القديم. أما من بقوا منهم في وطنهم، فقد عملوا على تطوير الديانة اليهودية. وأخذوا يتأرجحون كما البندول من التمرد إلى الناموسية الصارمة التي تقوم على التفسير الشفهي والحرفي للناموس. حقاً، لقد أراد الله من اليهود أن يتغيروا، لكن اتجاههم السريع إلى الغيرة الحماسية المتشددة، رغبة منهم في الحفاظ على حرفية الناموس، نجم عنه فقدان روح الناموس وغايته. ومن ثم، أقاموا منظومة كاملة من التقاليد التي تثبتت بقوة، ليس على روح الناموس وغايته، بل على الحرف الجامد.

هذا التشديد الجديد على الطاعة الصارمة لحرفية الناموس ولتقاليد الشيوخ كان مصدراً للصراع الذي اشتعل بين القادة اليهود وبين الرب يسوع. كما كان سبباً لتنامي معارضة الفريسيين والكتبة ضد يسوع مما أدى في النهاية إلى تدبيرهم لصلبه. لقد حاول يسوع أن يصلحهم عندما أتهموا تلاميذه بالتعدي على تقاليد الشيوخ. فسألهم: "وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟" (مت ١٥: ٣). وأشار إلى الوصية الخامسة التي تقول: "أكرم أباك وأمك" (الآية ٤) وذكرهم أنهم قالوا: "من قال لأبيه أو أمه: قربان هو الذي تنتفع به مني. فلا يكرم أباه أو أمه" (الآية ٥).

وبذلك كانوا يبطلون وصية الله بسبب تقاليدهم (الآية ٦). كما طبق يسوع نبوءة من إشعياء عليهم: "يقترب إليّ هذا الشـــعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطـــلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصـــايا الناس" (الآية ٨، ٩؛ قارن مر ٧: ١-١٣؛ إش ٢٩: ١٣).

الكرازة الأولى للكنيسة كانت موجهة لليهود فقط

انتقلت ناموسية اليهود إلى الكنيسة المبكرة وهددت بمنع رسالة الإنجيل. هذه الناموسية لم تسبب ارتباكاً وتشوشاً لبعض المسيحيين الأوائل فقط، لكنها أيضاً جعلت بعض الرسل وغيرهم من قادة الكنيسة يفشلون في إدراك معنى الناموس وعلاقته بالإنجيل.

لقد فشل العديد من آباء الكنيسة المبكرة في رؤية كيف أن الفداء كان موجهاً لكل البشرية، وأن الأمم ليس عليهم أن يدخلوا تحت عباءة ناموس موسى حتى يصيروا مسيحيين، وأن المسيحيين من أصل يهودي لا يجب عليهم أن يستمروا تحت سلطان الناموس. لدرجة أن بطرس نفسه كان لديه هذه المشكلة. وتطلب الأمر أن يظهر له ملاك ويتقابل مع قائد مئة أممي اسمه كرنيليوس ويرى رؤية حتى يدرك أن الإنجيل موجه لكل البشرية. كان بطرس قد وصل بعد سفر طويل، فجاع واشتهى أن يأكل شيئاً. وبينما كانوا يعدون له الطعام، راح في النوم. فرأى شيئاً مثل ملاءة كبيرة آتية من السماء وفيها كل أنواع الحيوانات من ذوات الأربع والمخلوقات الزاحفة والطيور. "وصار إليه صوت: قم يا بطرس اذبح وكل. فقال بطرس: كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً" (أع ١٠: ١٣، ١٤). وعندها قال صوت له: "ما طهره الله لا تدنسه أنت" (الآية ١٥).

"كان بطرس يرتاب في نفسه: ماذا عسى أن تكون الرؤيا التي رآها" (أع ١٠: ١٧). بعد ذلك جاء ثلاثة رجال يخبرونه أن "كرنيليوس قائد مئة رجـــلاً باراً وخائف الله" (الآية ٢٢) أرشده ملاك مقدس أن يستدعي بطرس ويستمع إلى كلامه. ذهب بطرس إلى كرنيليوس وقال له: "أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس. فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتموني" (الآية ٢٨، ٢٩). وشرح بطرس ذلك فيما بعد قائلاً: "بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده" (الآية ٣٤، ٣٥). وعندها أخبرهم بطرس عن يسوع المسيح.

إن إتاحة الخلاص للأمم دون حاجة أن يتهودوا كان أمراً جديداً بالنسبة لبطرس ولبعض قادة الكنيسة المبكرة. فقد قبل الرسل التكليف العظيم لأن يكرزوا بالإنجيل لكل الأمم (مت ٢٨: ١٩؛ لو ٢٤: ٤٧؛ أع ١: ٨)، لكنهم كانوا مبطئين في إدراك أن هذا يعني الكرازة للآخرين إلى جانب اليهود والمتهودين. مع وجود بعض الكرازة للآخرين، كما يمكننا أن نرى في كرازة فيلبس للسامريين (أع ٨). غير أنه بالنسبة للغالبية العظمى، كان لديهم قناعة بأن اليهود هم شعب الله المختار وأن الأمم "نجسين" وهذه القناعة تثبتت بعمق في العقلية اليهودية، وآثرت على تحركاتهم الكرازية. بل أن المسيحيين الأوائل فشلوا في إدراك المعنى الكامل لاختبار بطرس مع كرنيليوس. وعندما تشتتوا نتيجة للاضطهاد عقب موت استفانوس، استمروا يكرزون بالكلمة "وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط" (أع ١١: ١٩).

النزاع المسيحي حول حفظ الناموس

ولكن، تدريجياً، تجاوزت الكرازة اليهود وانتقلت إلى الأمم. ومع دخول المزيد والمزيد من الأممين إلى الكنيسة، تزايدت الحاجة إلى مناقشة قضية علاقتهم بالناموس.

لقد عرف قادة الكنيسة الآن أن الله ليس عنده تحيز، ولكن هل هذا يعني أن المسيحيين من الأمم يمكنهم أن يتجاهلوا ناموس موسى؟

تصاعدت حدة هذه القضية عندما خرج بعض الرجال من اليهودية وأخذوا يكلمون المؤمنين الذين من الأمم قائلين: "إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا" (أع ١٥: ١). ونجم عن هذا "منازعة ومباحثة ليست بقليلة" (الآية ٢). وأخيراً من أجل تسوية هذه القضية ، عيَّن الإخوة بولس وبرنابا (وهما الاثنان اللذان عملا أكثر بين الأممين) للذهاب إلى أورشليم مع آخرين للتشاور مع بقية الرسل والشيوخ. وتم الدعوة للاجتماع في أورشليم للتعرف على مشيئة الله في هذه القضية.

كان بطرس من أول من تحدث، وشرح اختباره السابق حول كيف أن الله "لم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم" (أع ١٥: ٩). وأضاف: "فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً" (الآية ١٠، ١١).

لقد قاد الروح القدس الرسل للوصول إلى خلاصة مفادها أن الأمم لا يحتاجون إلى حفظ نامـــوس موسى ولكن عليهم أن يبتعدوا عن الأوثان والزنا والمخنـــوق والدم (أع ١٥: ٢٠، ٢٨، ٢٩). ولم تكن هذه القرارات ناتجة عن فكر الإنسان لكنها تضمنت إعلاناً إلهياً منحه الرب لرسله المختارين.

غير أن هذا المجمع لم يقدم للقضية تسوية نهائية. إذ كان البعض ما يزالون يحاولون جعل المسيحيين يعيشون تحت طاعة ناموس موسى. وأهتم التهوديون (وهم الذين شددوا على حفظ المسيحيين لناموس موسى) بإبقاء النزاع حول هذه القضية خلال النصف الأخير من القرن الأول، وقد كُتِبَت الكثير من أسفار العهد الجديد لشرح العلاقة بين ناموس موسى والإيمان المسيحي. وبين هذه الأسفار رسالة غلاطية ورومية والعبرانيين.

رسالة غلاطية – بالناموس أم بالإيمان؟

كانت رسالة غلاطية هي أول رسائل بولس التي تناولت العلاقة بين ناموس موسى الإيمان. كانت الكنائس في غلاطية تتشكل في معظمها من الأمم. وهبّت المشاكل على هذه الكنائس فيما يتعلق بالعلاقة بين المسيحيين من الأمم وبين الناموس وذلك لأن بعض المسيحيين اليهود (المتهودين) جاءوا وعلموا بأن المسيحيين الأممين يجب أن يحفظوا ناموس موسى لكي يخلصوا. رأى بولس ذلك وكأنه "إنجيل آخر"، إنجيل مختلف، غريب عن الإنجيل الذي بشّر به لهم (غل ١: ٦).

شدد بولس على أن الإنجيل الذي بشّر به "لم يكن بحسب إنسان"، ولكنه جاء "بإعلان يسوع المسيح" (غل ١: ١١، ١٢). وأخبرهم عن علاقته ببقية الرسل وكيف أن جماعة الختان تسببوا في المشكلات من قبل. ولذا، فإن المشكلات التي يواجهها المؤمنون في غلاطية عندئذ ليست جديدة؛ إذ واجهها غيرهم من قبل.

ولكي يجعل الإنجيل واضحاً من جديد أمامهم، كتب بولس: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (غل ٢: ١٦).

لعل السؤال الذي جال بخاطر المؤمنين في غلاطية، والذي نقله إليهم جماعة الختان، هو: "إذا كان الخلاص الآن بالإيمان، فكيف تبرر الذين عاشوا قبل المسيح؟" هل تبرر إبراهيم بالإيمان؟ أم هل تغير أساس التبرير الآن؟ ولكي يجيب على هذا السؤال، أقتبس بولس من سفر التكوين: "آمن إبراهيم بالله فحسب له براً" (غل ٣: ٦؛ قارن تك ١٥: ٦؛ رو ٤: ٣). لم يكن هناك أي ذكر لأعمال الناموس، وقد ظل هذا الأساس للتبرير هو الأساس الفاعل. فهؤلاء "الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم" (الآية ٧). شرح بولس هذا بالإشارة إلى أن: "الكتاب إذ سبق فرأى أن الله

بالإيمان يبرر الأمم، سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم" (الآية ٨). ومن لا يقبلون هذا الأساس بل يعتمدون على الأعمال لن ينالوا هذه البركة. بل هم "تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (الآية ١٠). والناموس الذي يشير إليه بولس هنا هو ناموس موسى، الذي يتضمن الوصايا العشر، والأحكام المفصّلة في العبادة والتقدمات، والقواعد المدنية والاجتماعية، وغيرها من الشرائع الموجودة في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم. لم يكن هدف هذه الشرائع على الإطلاق أن تبرر الإنسان. إذ يذكر العهد القديم: "والبار بإيمانه يحيا" (حب ٢: ٤). "ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع، لننال بالإيمان موعد الروح" (غل ٣: ١٢-١٤).

لقد نجمت مشكلات جماعة الختان نتيجة لفشل هؤلاء الناس في رؤية أن الوعود التي تكلم بها الله لإبراهيم ولنسله لم تقم على الطاعة للناموس. فقد قدم الله وعوده في "نسله" وليس في "أنساله" (غل ٣: ١٦). وبالتالي، يشير الوعد إلى شخص واحد، وليس إلى كثيرين. وهذا الشخص هو المسيح. والناموس لم يبطل أو يحل محل هذا الوعد: "الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة، لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد" (الآية ١٧). لم يُبطِل الناموس العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم. فإذا طالبنا بالبركة التي وعد الله بها إبراهيم ونسله، فلن يكون هذا على أساس الناموس بل الإيمان.

بعد أن دحض بولس فكرة أن الناموس مرتبط بالوعد، أجاب بعد ذلك على السؤال المنطقي الذي يأتي بعده: "فلماذا الناموس؟" (غل ٣: ١٩). وأجاب على هذا بأن قال: "قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد به". لقد كان

ضرورياً لتقييد البشر أو لإبقاء الناس مقيدين إلى أن يأتي النسل. لقد كان الناموس هو "مؤدبنا إلى المسيح" (الآية ٢٤). لم يكن سوى شيء مؤقت، "ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (الآية ٢٥، ٢٦). وطالما أن الناس لم يعودوا بعد تحت المؤدب، "ليس يهودي ولا يوناني" في المسيح (الآية ٢٨). فالمؤمنون "واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (الآية ٢٨، ٢٩).

حذر بولس قراءه حتى لا يرجعوا "إلى الأركان الضعيفة الفقيرة" للناموس (غل ٤: ٩)، تاركين الوعد الذي صار لهم في المسيح. كان بولس خائفاً لأن البعض كانوا يفعلون ذلك بأن يراعوا "أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين" (الآية ١٠). إذ كانوا يقومون ببعض الأعمال لكسب الخلاص أو يقولون إنه يجب على الإنسان أن يختتن لكي يخلص، وهكذا كانوا يقطعون الإنسان من المسيح ويسقطونه من النعمة (غل ٥: ٤). فالفكرة الجوهرية هنا أن "لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة" (الآية ٦). الذي ينفع هو "الإيمان العامل بالمحبة" و"الخليقة الجديدة" (٦: ١٥).

رسالة رومية والتبرير

لم تكن علاقة المسيحي بناموس موسى تمثل مشكلة فقط في غلاطية. فقد كتب بولس إلى المؤمنين في رومية أيضاً عن هذه العلاقة. إن الفكرة الرئيسية لرسالة رومية هي نفس الفكرة التي لرسالة غلاطية، لكن رومية رسالة أطول، وتتضمن موضوعات أخرى. وتتمحور فكرتها الأساسية حول: "لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولا ثم لليوناني. لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا" (رو ١: ١٦، ١٧).

ظن اليهود أن لهم مكانة مميزة عند الله لأنهم أولاد إبراهيم. وبالفعل كان لهم علاقة خاصة مع الله باعتبارهم كانوا شعب الله المختار؛ ومع ذلك مازالوا في حاجة إلى الخلاص بالإيمان. ولكي يكشف لهم بولس عن ذلك، كتب أولاً إليهم عن خطايا الأمم ومنها وصل إلى خلاصة أن "غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (١: ١٨). لقد عرف اليهود أن الأمم كانوا أشراراً للغاية. وقد صور بولس هذه الشرور في رسالته لرومية (١: ١٨-٣١).

ربما يتفق اليهود مع ملاحظة بولس التي تقول بأن "الله أسلمهم [الأممين الأشرار]" (رو ١: ٢٤، ٢٦، ٢٨) إلى ذهن مرفوض. ففي العقلية اليهودية، كان الأمميون يستحقون الموت الروحي. وبينما يقرأ اليهود رسالة بولس إلى أهل رومية، كانوا بالتأكيد يشعرون بالسعادة لانفصالهم عن الأمم. ولكن حينما يواصلون القراءة للرسالة، يصطدمون بالمفاجأة. "أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين. لأنك في ما تدين غيرك تحـــكم على نفسك. لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها!" (٢: ١). لقد أصاب اليهود في حكمهم على الأمم، لكن اليهود لم يكونوا أفضل حـــالاً حيث أنهم فعلوا نفس الشـــرور. فاليهود أيضاً رفضوا فعل مشيئة الله وكانوا أشراراً وأثمة.

لقد أساء اليهود فهم الغاية من وراء عطف الله وحنوه وصبره. لن يتغاضى الله عن خطاياهم لأنهم كانوا شعبه المختار. وسألهم بولس إذا ما كانوا قد أدركوا مغزى "غنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟" (٢: ٤). لأن اليهود كانت قلوبهم متقسية وغير تائبة، لذلك فقد ذخروا هم أيضاً لأنفسهم "غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكـــرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطـــاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب"

(الآية ٥-٨). لم يكن الأمر المهم هو كون الشخص يهودياً أم أممياً، لأنه سيكون هناك "شدة وضيق" (الآية ٩) لكل من يفعل الشرور، و"مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح" (الآية ١٠)، سواء كان يهودياً أم أممياً. "لأن ليس عند الله محاباة" (الآية ١١).

"لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يدان" (رو ٢: ١٢). ليس السامعون للناموس بل العاملون هم الذين سيتبررون. فالأمم الذين ربما لم يكن لديهم الناموس لكنهم "الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس" يمكن أن يتبرروا أيضاً (الآية ١٤).

شرح بولس أن كونك مختتناً قد يكون له قيمة وقد لا يكون. "فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة!" (رو ٢: ٢٥). وبالتالي فإن إجراء الختان جسدياً لا يجعل الشخص يهودياً حقيقياً. "بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب" (الآية ٢٩).

إن هذه هي الحقيقة، "إذا ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان؟" (رو ٣: ١). لو أن كونك واحداً من الشعب المختار ومختتناً لا يبررك أمام الله، إذاً ما هو الشيء الذي يميز اليهود؟ يجيب بولس هذا السؤال، ويقول إن اليهود لهم عدة مميزات. "وأولاً أنهم استؤمنوا على أقوال الله" (الآية ٢). ولكن اليهود ليسوا أفضل من الآخرين إذ "أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية. كما هو مكتوب: أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (الآية ٩-١٢).

الجميع سيقفون "تحت قصاص من الله. لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية" (رو ٣: ١٩، ٢٠). الغاية من الناموس هي الكشف عن الخطية، وليس أن يكون الأساس للتبرير أمام الله. فالتبرير "بالإيمان بيسوع

المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (الآية ٢٢-٢٥). والنـــاموس والأنبياء كانوا يشهدون عن يســـوع المسيح (الآية ٢١).

والآن، في العصر المسيحي، "بر الله بالإيمان بيسوع المسيح [يكون] إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو ٣: ٢٢). الإنسان يتبرر، أي يعلن بره، أو يُبرأ، ويعتق من الدينونة، ويحرر ... الخ بالإيمان بيسوع المسيح. الذي جاء إلى العالم ليكون "كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا" (الآية ٢٥). وهكذا من خلال دم المسيح يمكن للمتجدد أن يجد غفراناً وحياة أبدية.

من خلال إبرازه للتناقض بين أعمال الناموس وبين الإيمان، يظهر بولس أن الإيمان يتضمن التصديق والثقة بمن هو يسوع المسيح وقبول منظومة الحق المسيحي. الإيمان أكثر من مجرد التصديق والثقة؛ بل إنه يمثل الطريقة التي بها يبرر الله البشر في ظل العهد الجديد. والإيمان المسيحي أكثر من مجرد إيمان وحده، ولكن كما رأينا من قبل، فهو يتضمن التـــوبة والولادة الجديدة، والتلمذة. إن النعمة المبررة تخلق في الخـــاطئ طبيعة جديدة ثم تجعله يمـــوت عن الخطية ولكنه يحيـــا للبر. فالخـــاطئ يتبرر بواسطة "بره [بر المسيح] في الزمـــان الحـــاضر ليكـــون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيســـوع" (رو ٣: ٢٦). عندما يقبل الله بر المسيح بدلاً من خطايا الخاطئ التائب، يكون الله بذلك عادلاً ومنصفاً تجاه شخصيته وسماته حينما يعلن الخاطئ مبرراً. فالمسيح هو من عمل التبرير، وليس محاولة الإنسان لحفظ ناموس العهد القديم. الفداء بواسطة الإيمان بيسوع يعني أنه لا يمكن لأحد أن يتفاخر لأنه واحد من الشعب المختار أو بسبب الأعمال التي يعملها. "الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس ... لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمـــان" (الآية ٢٨، ٣٠).

طالما أن الأمر يسير بهذه الكيفية، "فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد؟" (رو ٤: ١). ألم يتبرر بالأعمال؟ لا، لم يتبرر إبراهيم بالأعمال. إذ يقول الكتاب المقدس: "فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً" (الآية ٣؛ قارن تك ١٥: ٦). لم يحسب لإبراهيم برٌ بسبب الأعمال التي قام بها، بل بسبب تصديقه وإيمانه بالله. "وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً" (رو ٤: ٥). بعد ذلك يتوصل بولس إلى خلاصة شديدة الأهمية من خلال مقارنته بين الوقت الذي حدث فيه إيمان إبراهيم وختانه. "لأننا نقول إنه حسب لإبراهيم الإيمان براً. فكيف حسب؟ أوهو في الختان أم في الغرلة؟ ليس في الختان بل في الغرلة! وأخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم أيضا البر" (الآية ٩-١١).

وبالتالي، "فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد! لأن الناموس ينشئ غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعد" (رو ٤: ١٣-١٥). الناموس لا يجعلنا ورثة للوعد الذي منحه الله لإبراهيم. لم يكن هدف الناموس هو تحقيق الخلاص بل معرفة الخطية. ولكننا صرنا ورثة بواسطة البر الذي بالإيمان.

وحيث أن الخلاص يأتي بالإيمان، فهو لذلك على سبيل النعمة، وهو عطية مجانية تعطى "لمن هو من إيمان إبراهيم" (رو ٤: ١٦). لقد كان لإبراهيم إيمان قوي. عندما قال له الله: "إني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة" (الآية ١٧)، لم يكن لديه وقتها أي أبناء. ومع ذلك "على خلاف الرجاء آمن على الرجاء ... وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده - وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مئة سنة - ولا مماتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً" (الآية ١٨-٢٢). لقد صدق إبراهيم كلمة الله وكان مقتنعاً

بأن وعد الله سوف يتحقق. وجلب إيمانه العمل فظل مثالاً لكل البشرية عرفناه بواسطة الكلمة المكتوبة.

إن التبرير "سيحسب لنا [نحن] الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات؛ الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٤، ٢٥). مات يسوع عن خطايانا لكي "نحيا للبر" (١بط ٢: ٢٤؛ قارن ٢كو ٥: ٢١؛ ١يو ٣: ٦-١٠).

ونجد في الأصحاح الخامس من رسالة رومية خلاصة المناقشة الموجودة في الأصحاح الرابع. "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون" (الآية ١، ٢). هذا السلام تحقق "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار" (الآية ٦). والآن صار لنا رجاء "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (الآية ٥). إن موت المسيح لأجل الخاطئ ليس أمراً نتوقع أن يقوم به أي إنسان: "فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت" (الآية ٧). لقد كان يسوع المسيح مختلفاً بسبب محبة الله التي فيه. لكن الله "بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (الآية ٨). وحيث أنه فعل ذلك لأجلنا عندما كنا "نحن أعداء" (الآية ١٠)، فإن باستطاعتنا الآن أن نتوقع "بالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته". مات المسيح لأجل الخطاة حينما كنا أعداءً لله، والآن "بالأولى كثيراً" قد صولحنا وخلصنا بواسطة حياته المقامة.

إن فائدة موت المسيح – وهي المصالحة مع الله – تعد عطية مجانية لكل البشر الذين سينطبق عليهم الشروط الضرورية. وانتقال هذه الفائدة يختلف عن انتقال عواقب خطية آدم لنا. حيث أن فائدة موت يسوع أعظم بكثير من تعدي آدم، الذي جلب الموت لكل البشرية. لقد نتج عن خطية واحدة لآدم انتقال الطبيعة الخاطئة والموت لكل نسله. ونتيجة لهذا صار لنا طبيعة تقود كل شخص منا إلى الخطية، أي إلى العصيان

والتمرد على كلمة الله. هذا الفساد انتقل لجميعنا وضربنا جميعاً من خلال طبيعتنا الساقطة.

لقد جلب آدم الخطية للجميع بواسطة الانتقال الطبيعي، ولكن عطية النعمة التي بالمسيح لها تأثير أعظم بكثير من ذلك: "فبالأولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" (رو ٥: ١٥). إن النعمة تتجاوز بكثير تأثير خطية آدم. إذ أن لها سلطان إزالة الطبيعة المتمردة لكل من وقع تحت تأثير الخطية وتسبب التوبة والتجديد والتلمذة. لقد جلبت خطية آدم الموت، لكن المسيح وهب الحياة للموتى. وبالتأكيد، فإن منح الحياة إنجاز أعظم بكثير من جلب الموت.

يقارن بولس الرسول بين كيف أن تعدي إنسان واحد جلب الدينونة وكيف أن طاعة شخص واحد (يسوع المسيح) جعلت الكثيرين أبراراً:

"إذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً. وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية. ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا". (رومية ٥: ١٨-٢١)

رومية ٦ – الإيمان والطاعة

كما رأينا، بنى بولس دفاعاً قوياً عن التبرير بالإيمان وأظهر أن لا أحد يتبرر بحفظ الناموس. أما كاتب العبرانيين، كما سنرى لاحقاً، فقد شرح كيف أن يسوع جاءنا بطريق أفضل كثيراً عن ذلك الذي لإتباع الناموس. عندما شرح بولس العلاقة بين نعمة العهد الجديد وبين ناموس موسى، أدرك ساعتها أن البعض قد يسيئون فهمه ويظنون

أنهم الآن صاروا أحراراً ليفعلوا ما يحلو لهم. فألتقط هذه المشكلة المحتملة بأن سأل: "فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟" (رو ٦: ١).

وكانت الإجابة على هذا السؤال بسيطة للغاية بالنسبة لبولس: "حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟" (رو ٦: ٢). لقد اعتمدنا نحن المؤمنين لموت المسيح ودُفِنَا معه لكي نقام معه و"نسلك نحن أيضا في جدة الحياة" (الآية ٤). وفي اتحادنا معه "صرنا متحدين معه بشبه موته"، والأكثر من ذلك أننا "نصير أيضا [متحدين] بقيامته" (الآية ٥). إن الإنسان العتيق للمسيحي "قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضا للخطية" (الآية ٦). وكما أن المسيح أقيم من الأموات "والحياة التي يحياها فيحياها لله" (الآية ١٠)، هكذا أيضاً نحن المؤمنين علينا أن نحتسب أنفسنا "أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا" (الآية ١١). والنتيجة الطبيعية لهذا الاتحاد مع المسيح أن المؤمن لن يسمح للخطية أن تملك في جسده المائت أو يعيش في "الإثم" (الآية ١٢، ١٣).

لن تكون الحياة الجديدة للمؤمن تحت سيادة الخطية، "لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو ٦: ١٤). الهدف من وراء خطة الفداء هي إنقاذ الإنسان من طبيعته الخاطئة – والتي تكشف عن نفسها في عصيان الله – وإعادة الإنسان إلى الله لكي يرجع الإنسان من جديد ويرغب في عمل مشيئة الله. وهذا شيء لم يكن ناموس موسى يقدر على فعله على الإطلاق. لا يمكن أن تحدث المصالحة مع الله إلا بواسطة نعمة الله، والتي تُمكِّن الإنسان من التوبة، والولادة من جديد، وأن يصير تلميذاً ليسوع المسيح.

يدعم بولس الرسول حجته بأن يسأل نفس السؤال مرة ثانية ويقدم نفس الإجابة. وهذه المرة يشرح إجابته باستخدام تشبيه العبد. فالمرء يكون عبداً لمن يطيعه، "إما للخطية للموت أو للطاعة للبر" (رو ٦: ١٦). ويقول بولس إن المؤمن يمكنه أن يشكر

الله لأنه وإن كان قبل ذلك عبداً للخطية؛ ولكن الآن "أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها. وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيدا للبر" (الآية ١٧، ١٨).

ويستمر بولس في شرح هذه الصورة التوضيحية المستمدة من فكرة العبودية. فيقول إن المؤمن صار له الآن سيد جديد. ويكتب: "لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة" (رو ٦: ١٩). فمن قبل كانوا "عبيد الخطية" كانوا "أحراراً من البر" (الآية ٢٠)، ولكنهم الآن إذ تحرروا "من الخطية" صاروا "عبيداً لله" (الآية ٢٢). وهذا يجلب معه ثمرهم "للقداسة والنهاية حياة أبدية".

تُعرف عملية التحول إلى القداسة باسم "التقديس". والفعل يتقدس يعني يصير مقدساً وهذا يتم بواسطة قوة الروح القدس (رو ١٥: ١٦؛ ٢تس ٢: ١٣؛ ١بط ١: ٢). ولا يمكن الفصل بين التبرير والتقديس. فالتبرير لا يحدث دون تقديس كما أن التقديس لا يحدث دون تبرير. إنهما عملان منفصلان للنعمة يحدثان في ذات الوقت. التبرير هو العمل المُنعِم لله الذي يجعل الخاطئ مبرراً. أما التقديس فهو التكريس المبدئي للمؤمن وما يستتبعه من نمو في القداسة.

نجد أن الفكرة الرئيسية التي تقول بأن النعمة تجعلنا أحراراً من سلطان الخطية وتمكننا من الخضوع للمسيح في رومية ٦ يتم التركيز عليها في كتابات بولس الأخرى. فهو يكتب إلى أهل كورنثوس أن "محبة المسيح تحصرنا". لأنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع. فالجميع إذا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٤، ١٥). ويستمر في تأكيده قائلاً: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (الآية ١٧). هذا هو ما فعله المسيح لأجلنا. لقد صالح العالم لنفسه "لنصير نحن بر الله فيه" (الآية ٢١).

أما في رسالة غلاطية، فقد ذكَّر بولس قراءه قائلاً: "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد" (٥: ١٦). ومن يخضعون لشهوة الجسد فقد حذرهم بأن "الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله" (الآية ٢١). أما هؤلاء الذين يسلكون بالروح فهم من ينتمون للمسيح يسوع و"قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (الآية ٢٤).

كتب بولس إلى القديسين في أفسس قائلاً لهم إن الله أحياهم بعد أن كانوا "أمواتاً بالذنوب والخطايا" (أف ٢: ١). لقد كانوا يسلكون في مسلك هذا العالم وكانوا يعيشون "في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار ... الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح (بالنعمة أنتم مخلصون)" (الآية ٣-٥). لقد خلصنا الله بنعمته بالإيمان وجعلنا "عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة" (الآية ١٠).

كتب بولس إلى المؤمنين في كولوسي قائلاً إن هدف المسيح هو أن "تسلكوا كما يحق للرب، في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح، ونامين في معرفة الله" (كو ١: ١٠). ويمكن للمؤمنين فعل ذلك لأن الآب "أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (الآية ١٣). وبعد أن مدح تميز وأسبقية المسيح (الآية ١٥-١٩)، أكد بولس على عمل المسيح للمصالحة. القديسون والمؤمنون في كولوسي، الذين كانوا "قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم [صالحهم] الآن ... ليحضركم [ليحضرهم] قديسين" (الآية ٢١، ٢٢). أنتم "ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان" (٢: ١١، ١٢). لقد أحيانا "ومحا الصك الذي علينا" (الآية ١٤).

كما كتب بولس إلى القديسين الذين في تسالونيكي أنهم قد تعلموا منه "كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله" (١تس ٤: ١). ثم ذكرهم أنه أعطاهم الوصايا بسلطان

الرب يسوع. وبعد ذلك كتب: "لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا ... لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة" (الآية ٣، ٧).

كذلك كتب بولس إلى تيطس، الذي ساعده في تأسيس الكنائس في كريت وأماكن أخرى، عن تأثير نعمة الله على حياة المؤمن.

"لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة. تيطس" (٢: ١١-١٤)

إن نعمة الله تعلمنا كيف نعيش حياة الطهارة والأعمال الصالحة، كذلك فهي تمنحنا القدرة على فعل ذلك.

بعد ذلك كتب بولس عن حاله هو وغيره من المؤمنين من قبل.

"لأننا كنا نحن أيضا قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة، عائشين في الخبث والحسد، ممقوتين، مبغضين بعضنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه - لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته - خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تيطس ٣: ٣-٧).

تشدد المقاطع الكتابية السابقة على أن نعمة الله التي تخلص الإنسان لا تسمح له أن يستمر في تمرده ضد مشيئة الله. النعمة التي تُخَلِص تثمر قلباً جديداً في الإنسان حتى يبتغي أن يفعل إرادة الله.

رومية ٧ و٨ – لماذا كانت الطاعة ممكنة؟

يشرح بولس في رومية ٧ أن المؤمن يجب عليه أن يحيا حياة مثمرة لله، الحياة التي وصفها في الأصحاح السادس. وهذا صار ممكناً لأن المؤمن لم يعد خاضعاً لناموس موسى. ويوضح بولس أن المؤمن يلتزم بالناموس فقط خلال حياته، والموت يكسر سلطانه. ولإظهار أن ذلك صحيح، يطلب من قرائه أن يفكروا في الزواج ويشير إلى أن الموت يكسر رباط الزواج.

لقد مات المؤمنون "للنـــاموس بجسد المسيح" (رو ٧: ٤). والناموس الذي يتحدث عنه بولس هو نامـــوس موسى. إن المؤمنين متحدون بالمســـيح وهم يشتركون في فوائد موته وذلك ينطبق أيضاً فيما يتعلق بالنـــاموس. والنتيجة هي أننا الآن متزوجون "لآخر للذي قد أقيم من الأمـــوات لنثمر لله" (الآية ٤) وهذا يعني أننا كمؤمنين "تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف" (الآية ٦). الوصايا القديمة المكتوبة قد زالت؛ ونحن الآن نخدم الله بروح جديدة.

حيث أن المؤمنين يشتركون في فوائد موت المسيح، فما الذي يعنيه ذلك ضمنياً فيما يتعلق بالناموس؟ هل الناموس خطية؟ يجيب بولس عن هذا بقوة قائلاً: "حاشا" (رو ٧: ٧). الناموس ليس خطية. لكنه يجعلنا واعين لما هي الخطية. فهو يشرح: "بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته" (الآية ٧). الناموس يعلن مشيئة الله ويجعلنا نعي بوجود الخطية. وعندها تجلب هذه الخطية الموت.

يتكلم بولس عن خبرته الشخصية، ويقول: "ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة. لأن بدون الناموس الخطية ميتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا. فوجدت الوصية

التي للحياة هي نفسها لي للموت. لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني" (رو ٧: ٨-١١). الخطية هي التي جلبت الموت، وبالتالي يمكننا أن نتوصل إلى أن " الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة" (الآية ١٢).

وهو يستمر أكثر في شرحه: "فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشا! بل الخطية. لكي تظهر خطية منشئة لي بالصالح موتاً لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية" (رو ٧: ١٣). ويستخدم بولس خبرته الشخصية التي عاشها قبل أن يأتي للمسيح، فيصف كيف كانت الخطية والناموس يعملان. لقد كان "جسدياً مبيعاً تحت الخطية" (الآية ١٤). و لم يفهم أفعاله. إذ يقول:

"لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة في. فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ". (رومية ٧: ١٥-٢٠)

قبل أن يأتي بولس إلى المسيح، كان فريسياً وكانت لديه رغبة عميقة في حفظ الناموس بشكل كامل، لكنه لم يستطع فعل ذلك بسبب طبيعته الخاطئة. لأن جسده كان يدفعه لفعل النقيض تماماً لما يريد فعله. وبينما كان يعيش تحت الناموس، كان لديه رغبة ليفعل الصلاح ويرضي ناموس الله، ولكن شيئاً جعله يفعل النقيض (رو ٧: ١٨-٢٣). وفي غمرة يأسه صرخ: "ويحي أنا الإنسان الشقي! من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (الآية ٢٤). لم يستطع بولس أن يُخَلِّص نفسه. فهل يمكن لأحد أن يخلصه؟ نعم، يوجد شخص يستطيع ذلك، وكم ابتهج بولس لذلك. وكتب أنه يشكر "الله بيسوع المسيح ربنا!" مشيراً إلى أن المسيح خلصه (الآية ٢٥). لقد جلب يسوع النعمة التي مكَّنت

بولس أخيراً من أن يفعل مشيئة الله. وبعد ذلك يوجز بولس حالته تحت العهد القديم بعيداً عن المسيح حين يقول: "إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية" (الآية ٢٥).

ثمة تأكيد على نتيجة هذا التحرير نجده في رومية ٨. إن تحريرنا يعني: "إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (الآية ١، ٢). من هم في المسيح يسلكون ليس بحسب الجسد بسبب الحياة التي لهم فيه. فقد تم إطلاق سراحهم من "ناموس الخطية"، أي أنهم صاروا قادرين على أن يتحرروا من عادة الخطية من خلال حضور وسكنى الروح القدس، وهو ما لم يكن باستطاعة ناموس موسى أن يقدمه. فالله، "إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (الآية ٣). وهذا حدث "لكي يتم حكم الناموس فينا" (الآية ٤).

يصف بولس المسيحيين المؤمنين بأنهم "السالكون ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨: ٤). ويصف المصطلح الجسد سمات الإنسان الساقط، والطبيعة الساقطة التي ورثها عن آدم. لقد تمرد آدم ضد الله وأخضع البشرية كلها لسيادة إبليس. الإنسان الجسدي أو الدنيوي لا يمكنه أن يفعل الصلاح، حتى لو حاول ذلك. إنها نوعية الشخصيات المصورة في رومية ٧. هؤلاء الذين "هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون" وهذا يجلب الموت (الآية ٥، ٦). في مقابل ذلك نجد السمة المسيحية وهي السير بحسب الروح. يركز المؤمن على كل ما هو "حسب الروح" ويجد أن "اهتمام الروح هو حياة وسلام" (الآية ٦).

السبب الذي يكمن وراء مثل هذا التناقض القوي بين أتباع الجسد وأتباع الروح هو أن "اهتمام الجسد هو موت ... اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً

لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع" (الآية ٦، ٧). إن اهتمام الجسد معارضة دائمة لله وبالتـــالي فهو لا يمكن أن يرضيه. لكن المؤمن مختلف لأنه ليس "في الجسد بل في الروح ... ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (الآية ٩). وكما ذكرنا من قبل، فإن "اهتمام الروح هو حياة وسلام" (الآية ٦). ويختم بولس الرسول حديثه بأن المؤمن واقع تحت التزام، ألا يسير بحسب "الجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (الآية ١٢، ١٣). المؤمن يبتغي فعل مشيئة الله وهو قادر بقوة الروح القدس أن يتخطى ميوله الطبيعية التي تدفعه للسعي وراء رغباته الذاتية.

الذين يعيشون بالروح و"ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). وأبناء الله لا يأخذون "روح العبودية للخوف" ولكنهم يختبرون "روح التبني" وكأبناء لله يصرخون إلى الله قائلين: "يا أبا الآب" (الآية ١٥). وكأبناء لله، نحن "ورثة أيضا ورثة الله ووارثون مع المسيح"، وسوف نتمجد معه أيضاً (الآية ١٧).

يعقوب – الإيمان والأعمال

رسالة يعقوب أيضاً تتناول موضوع العلاقة بين الإيمان والأعمال. ويتوصل الرسول يعقوب إلى خلاصة مفادها "أنه بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده" (٢: ٢٤). وبنظرة سطحية، يبدو أن هذا يتعارض مع عقيدة التبرير بالإيمان (رو ٣: ٢٨)، ولكن هذا ليس الواقع. لقد كان لقراء يعقوب منظور مختلف للإيمان عما لبولس، وهنا يعقوب كان يسعى لتصحيح التصور الخاطئ لدى قرائه. كما أن بولس أيضاً قد أدرك وجود خطر إساءة فهم الإيمان وحاول أن يتعامل مع هذا الخطر في رومية ٦.

يفتتح يعقوب نقاشه حول التبرير بأن يسأل عدة أسئلة: "ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال؟ هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟" (يع ٢: ١٤).

وللإجابة على هذا السؤال، يسأل يعقوب سؤالاً آخر ثم يصل إلى خلاصة من الإجابة التي يقدمها. يسأل يعقوب لو أن أخاً أو أختاً عريانين وجائعين، وقال لهما شخص آخر: "امضيا بسلام، استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة؟" (الآية ١٥، ١٦). من الواضح، أن هذا لن يحقق أي منفعة على الإطلاق.

أدرك يعقوب أن البعض سوف يعارضون خلاصته ويزعمون أن الإيمان والأعمال يمكن أن يتواجدا بصورة منفصلة عن بعضهما البعض. كما أنه علم أن البعض سيقول: "أنت لك إيمان، وأنا لي أعمال!" (يع ٢: ١٨). فتحداهم قائلاً: "أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني". فالإيمان يُعرَف بالأعمال التي هي ثمرته. والإيمان الحقيقي يتواجد فقط إذا أثمر أعمال صالحة. وبالتالي فإن الإيمان والأعمال أمران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما.

يتكلم يعقوب لمن يحاولون فصل الإيمان عن الأعمال، ويحذرهم بأن إيمانهم باطل. وهو يقول لهم: "أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون!" (يع ٢: ١٩). الإيمان الذي هو مجرد معرفة بالحقائق ليس كافياً. مثل هذا الإيمان يكشف عن افتقار الإنسان إلى التجديد.

يستكمل يعقوب حديثه ليُظهِر من العهد القديم أن الإيمان بمعزل عن الأعمال ميت. وهو يسأل: "ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح؟" (يع ٢: ٢١). تذكر أنه عندما أمتحن الله إبراهيم، قال له: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة" (تك ٢٢: ٢). وعندما سمع إبراهيم هذه الدعوة، أطاع كلمة الله وعمل بحسب أمره. فأخذ إبراهيم ابنه إلى الجبل، وبنى هناك مذبحاً، وربط إسحاق، ووضعه على المذبح. وقد فعل إبراهيم هذا لأنه كان يمتلك إيماناً بالله وكان راغباً بأن يضحي بإسحاق، وهذا يظهر في عمله، لقد تم اختبار إيمان إبراهيم وكشف عن أصالته. لقد تبرر

إبراهيم بأكثر من الإيمان – "بالأعمال أكمل الإيمان ... ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده" (يع ٢: ٢٢، ٢٤).

لمزيد من التوضيح لصورة العلاقة بين الإيمان والأعمال، يُذكِّر يعقوب قراءه بحادثة أخرى في العهد القديم. "كذلك راحاب الزانية أيضاً، أما تبررت بالأعمال، إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر؟" (يع ٢: ٢٥؛ قارن يش ٢). فقد خاطرت راحاب بحياته، حينما خبأت الجاسوسين اللذين دخلا أريحا ثم أطلقتهما في طريقهما. فقد كان لراحاب فرصة ضئيلة لمعرفة الله، باعتبارها زانية من كنعان؛ لكنها صارت مقتنعة أن إله إسرائيل هو الإله الحقيقي الحي. وعندما جاءتها الفرصة لتعبر عن إيمانها، كانت مستعدة لبذل كل شيء – حتى حياتها – لتخدم الله. لقد خَلُصت كنتيجة لأعمالها.

هاتان الحادثتان تشيران إلى خلاصة مفادها أن الإيمان والأعمال متلازمان لا يمكن الفصل بينهما. "لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت" (يع ٢: ٢٦). لابد للإيمان أن يعبر عن نفسه بالإعمال لكي يكون إيماناً حقيقياً. وبدون أعمال لا يوجد إيمان مُخَلِّص وبالتالي فلا يوجد تبرير. تلك هي الرسالة التي رغب يعقوب أن يفهمها قراؤه.

تركيز يعقوب هذا لا يتعارض مع كتابات بولس. فإن المعنى الذي يعطيه كل منهما للأعمال مختلف تماماً عن الآخر، عاكساً تغيراً في الأجواء التي كتابا فيها. فبولس كان يواجه مشكلة المسيحيين المتهودين الذين يعيقون الإنجيل بزعمهم أن المرء يحتاج إلى حفظ ناموس موسى لكي يخلص، وهذا يعني أن التبرير بالأعمال. بينما كتب يعقوب مظهراً أن الإيمان المسيحي سوف يصاحبه رغبة حقيقية لعمل مشيئة الله كبرهان بالأعمال التقوية. فبالنسبة ليعقوب تعني الأعمال طاعة مشيئة الله نتيجة لكون الإنسان لديه إيمان بالله. وهذا يتفق مع تعليم بولس في رومية ٦ وغيرها من الأماكن.

مشيئة الله للمؤمن

رأينا أن الله يرغب من المؤمن أن يكون مطيعاً. والسؤال الذي يجب أن نسأله هنا هو: ما الذي يجب أن يطيعه المؤمن؟ وكيف يعرف أن الله يريده أن يفعل ذلك؟

أولاً وقبل كل شيء نجد الإجابة في الرد الذي قاله الرب يسوع للناموسي، الذي سأله: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت ٢٢: ٣٦-٤٠؛ قارن لو ١٠: ٢٧، ٢٨؛ مر ١٢: ٣٠، ٣١؛ قارن تث ٦: ٥؛ ١٠: ١٢، ١٣؛ لا ١٩: ١٨).

تجد المحبة تجاه الله التعبير عنها في حفظ وصايا الله التي وصلت إلينا بواسطة ابنه. لقد قال الرب يسوع لتلاميذه: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" (يو ١٤: ١٥). وكتب الرسول يوحنا: "بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله: إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه. فإن هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة" (١يو ٥: ٢، ٣). المحبة هي الوصية العظمى التي على المؤمنين حفظها، لكنها ليست الوصية الوحيدة. إذ يجب على المؤمنين أن يحفظوا كل الوصايا التي أعطاها الرب يسوع المسيح وتلاميذه للكنيسة.

إن وصايا الله في معظمها ليست سوى تعبيرات عن المحبة. فقد أدرك الرسل أن المحبة هي تتميم للناموس.

"لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة: أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً

للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس". (رومية ١٣: ٨-١٠؛ قارن غلاطية ٥: ١٤؛ كولوسي ٣: ١٤؛ يعقوب ٢: ٨).

ثانياً: علينا أن ندرك أن شريعة الله أو وصاياه ليس منشأها من الإنسان نفسه، بمعنى أن المرء لا يقرر ما الذي يعتقد أنه صواب ثم بعد ذلك يفعله. حيث أن مصدر معرفة الصواب والخطأ ينبع من سلطة خارجية، وهي كلمة الله، الكتاب المقدس. فالمؤمنون ينالون المعرفة والقوة من خلال الكلمة المكتوبة لكي يحيوا حياة التلمذة.

يعلن الكتاب المقدس مشيئة الله لأن الله هو الذي أوحى به. وقد أكد بولس على هذه الحقيقة حينما كتب: "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملا، متأهبا لكل عمل صالح" (٢تيمو ٣: ١٦، ١٧). الكتاب المقدس هو مصدر العقيدة ويجب أن يُستخدم للتوبيخ والتقويم والتعليم الذي في البر.[١] يجب على المؤمن أن يكون راغباً أن يطيع حرفياً تعاليم الكلمة،[٢] من أول القضايا الكبرى مثل محبة الأعداء (مت ٥: ٣٨-٤٥) وحتى عدم ارتداء الذهب، وارتداء الملابس المحتشمة وغير الباهظة الثمن (١تيمو ٢: ٩؛ ١بط ٣: ٣)، ... الخ. يجب عدم تجاهل التعاليم الكتابية؛ فقد أعطاها لنا الله لمنفعتنا وصالحنا.

هناك نقطة أخرى يجب تذكرها أنه توجد مملكتان، ملكوت الله ومملكة العالم (إبليس). وقد كانت رسالة ملكوت الله أمراً مركزياً في تعاليم الرب يسوع ووعظه. وأول رسالة له كانت: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥). والذين ينتمون لهذا الملكوت يمتلكون قيماً جديدة، والتي نجد مثال عليها

---

[١] للإطلاع على معالجة مُفصلة أكثر عن الكتاب المقدس، انظر كتاب المؤلف The Authority of Scripture.

[٢] ينبغي على القارئ أن يدرك أنه بحسب القاعدة العامة ليس علينا أن نتعامل حرفياً مع الكتابات الرمزية والمجازية.

في الموعظة على الجبل (مت ٥ — ٧). هذه المعايير مختلفة بشكل ملحوظ عن معايير مملكة العالم. لأن مملكة العالم تتكون من أبناء إبليس (مت ١٣: ٣٨؛ يو ٨: ٤٤) وملكها هو إبليس نفسه (أف ٢: ٢). لكن المؤمن مدعو لأن يأتي من العالم لا أن يكون جزءاً منه (يو ١٥: ١٩؛ ١٧: ١٤، ١٦).

أيضاً نجد المبدأ الأساسي للمملكتين واضحاً في الرسائل. إذ بدأ بولس الجزء الثالث من رسالة رومية (الأصحاحات ١٢-١٦) بتقديمه نصائح عملية فيما يتعلق بحياة المؤمن. وكتب: "ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (١٢: ٢). يجب على المؤمن ألا يعتمد على العالم في تشكيل منظومة قيمه وقواعد سلوكه. طالما أن ذهنه قد تغير عندما تجدد، فلم يعد يرى الأمور كما يراها العالم. لأن ذهنه المتجدد يجعل من غير الملائم بالنسبة له أن يتطلع إلى العالم بحثاً عن الإرشاد. ولكن عندما يتحول عن العالم ويتغير بتجديد الذهن يمكنه عندها فقط أن يعرف ما هي مشيئة الله.

وبالمثل يقول بطرس: "كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم، بل نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضا قديسين في كل سيرة [سلوك]. لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (١بط ١: ١٤-١٦). "لا تشاكلوا" تعبر بطريقة سلبية عن القداسة. فإن هدف المؤمن أن يكون قديساً لأن الله قدوس.

كتب الرسول يوحنا: "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو ٢: ١٥-١٧). وهنا نرى من جديد التناقض بين العالم وبين الله. يجب على المؤمن أن يدير ظهره لشهوات وغرور العالم، طالما أنها ليست من الله. وفي المقابل عليه أن يتجه نحو الله، محباً له وعاملاً مشيئته. هذا التوجه

مهم لأنه يحمل الوعد بأن من يفعلون مشيئة الله سوف يثبتون فيه ويمكثون معه للأبد. كثيراً ما يواجه المؤمنون مواقف لا يجدون كلمة مباشرة من الله تتناول هذا الموضوع. وهذا لا يعني أن المؤمنين يصيرون بلا إرشاد، لأنهم دائماً لديهم مبدأ المحبة، أي، لا تحبوا العالم، الخ.

سوف يعرف المؤمنون مشيئة الله لأنهم يسلكون بالروح ولا يكملون شهوة الجسد (غل ٥: ١٦). الروح يجاهد ضد الجسد ويحرض المؤمنين على عدم أتباع أعمال الجسد. فقد كتب بولس الرسول: "أعمال الجسد ... هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر" (الآية ١٩-٢١). على المؤمنين ألا يشتركوا في مثل هذه الممارسات. بل ينبغي أن تثمر حياتهم بثمر الروح، والذي هو: "محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف" (الآية ٢٢، ٢٣). ويختتم بولس حديثه قائلاً: "إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضا بحسب الروح" (الآية ٢٥). أيها الأخوة الأتقياء امتنعوا عن أعمال الجسد واسلكوا بحسب الروح.

كذلك يجب على المؤمنين أن يتذكروا أن قادة الكنيسة والإخوة الآخرين يمكن أن يساعدوهم في فهم مبادئ الكتاب المقدس وبالتالي معرفة ما هو الصواب في جميع المواقف. إذ باستطاعة الإخوة والشيوخ في الكنيسة أن يشاركوا بأفكارهم وخبراتهم بشأن هذه المواقف والحالات.

رسالة العبرانيين

لقد ناقشنا واحدة من المشكـــلات الكبرى التي واجهها المسيحيون من أصل يهودي — وهي العلاقة بين الناموس وبين الرسالة المسيحية. كما واجههم أيضاً قضية العلاقة بين رئيس الكهنة في العهد القديم، ونظام الذبائح، الخ. وبين الإيمان المسيحي.

لذلك جاءت رسالة العبرانيين كجواب على هذه التساؤلات. وتأتي هذه الرسالة في المرتبة الثانية من حيث الجرعة العقائدية في أسفار العهد الجديد. فبدون فهم صحيح لما حققه يسوع المسيح في عمله الفدائي، كان بعض المسيحيين اليهود الأوائل في خطر فقدان الثقة في إيمانهم الجديد. وكانوا يفكرون في العودة إلى طرقهم القديمة التي تقوم على أتباع الناموس. ومن أجل منع ذلك، كان من الضروري أن يشرح الكاتب لهم أن الغاية من العهد القديم قد تحققت في المسيح وصار العهد الجديد ساري المفعول الآن.

أراد كاتب العبرانيين أن يظهر كيف أن يسوع جلب فداءً أفضل عما كان متاحاً في إطار العهد القديم. وكلمة أفضل هي كلمة مفتاحية في هذه الرسالة.

بعد أن شرح الكاتب مدى تفوق يسوع على الملائكة، ذهب إلى التحذير: "لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته ... فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟" (عب ٢: ١، ٣). وهناك تحذيرات أخرى، وكل منها أكثر جدية من الذي يسبقه، وهي تأتي في جميع أنحاء السفر، وهذه التحذيرات هي:

"اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم ... انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي، بل عظوا أنفسكم كل يوم، ما دام الوقت يدعى اليوم، لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية. لأننا قد صرنا شركاء المسيح، إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية". (عبرانيين ٣: ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٤)

"لأن الذين استنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه". (عبرانيين ٦: ٤-٦)

"فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين". (عبرانيين ١٠: ٢٦، ٢٧)

تذكرنا هذه الآيات بكلمات الرب يسوع: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو ٩: ٦٢). بالتأكيد كان هذا تحذيراً لليهود المسيحيين، وكذلك لكل المسيحيين، ألا "يهملوا خلاصاً هذا مقداره" ويرتدوا عنه.

بعد هذا التحذير الأول من إهمال خلاص عظيم بمثل هذا المقدار، يوضح الكاتب كيف جاء هذا الخلاص. لقد جاء يسوع إلى الأرض كإنسان، والآن صار كل شيء خاضعاً له. "نراه مكللاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت" (عب ٢: ٨، ٩). لقد صار إنساناً "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (الآية ١٤، ١٥). الإنسان الطبيعي يخشى الموت، وهذا أمر حقيقي. ويمكن لهذا الأمر أن يقيده بالعبودية طوال حياته. لكن يسوع انتزع شوكة الموت لأجل المؤمنين (١كو ١٥: ٥٤-٥٧)، ولذا ليس عليهم فيما بعد أن يخافوا الموت. "من ثم كان ينبغي أن [يسوع] يشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً، ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب" (عب ٢: ١٧). وعندما صار يسوع إنساناً بلا خطية، استطاع بذلك أن يتألم ويموت لأجل خطايا الإنسان ويصير وسيطاً وشفيعاً لأجل الإنسان. وبموته وقيامته قضى على سلطان الموت وفتح للإنسان باب الخلاص.

ثم يذهب الكاتب إلى شرح وظيفة رئيس الكهنة بالكثير من التفصيل. فبالنسبة لوظيفته، فهو "يقام لأجل الناس في ما لله، لكي يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا" (عب ٥: ١). وكذلك كان يسوع معيناً لهذا العمل. وهو لم يرتفع بنفسه لمنصب جديد يتجاوز أي منصب تولاه الناس من قبل. ومن ثم فقد تم تنصيبه رئيساً للكهنة على رتبة ملكي صادق (الآية ٦). وتعلم يسوع "الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي، مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" (الآية ٨-١٠).

كان ملكي صادق مثالاً من العهد القديم يرمز لكهنوت يسوع. تولى ملكي صادق كهنوتاً فريداً وممجداً. وقد كان فريداً لأنه بحسب ما يقول الكتاب المقدس عنه كان "بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة. بل هو مشبه بابن الله. هذا يبقى كاهناً إلى الأبد" (عب ٧: ٣).

حصل ملكي صادق على مكانة سامية. "ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء عشراً أيضاً من رأس الغنائم" (عب ٤: ٧). لم يكن إبراهيم ملزماً بحسب العادات أو الشريعة أن يعطي ملكي صادق عطية. وفيما بعد صارت هناك وصية على الشعب أن يدفعوا العشور لنسل سبط لاوي، ولكن هذا لم ينطبق على إبراهيم، الذي عاش قبل ذلك بحوالي ٥٠٠ سنة. لقد قدم إبراهيم عشوره لشخص له مكانة أسمى من لاوي. كذا فإن ملكي صادق "بارك الذي له المواعيد" (الآية ٦). وحيث أن "الأكبر يبارك الأصغر" (الآية ٧)، فهذا يظهر أن رتبة أو مكانة ملكي صادق كانت أسمى من مكانة إبراهيم. طالما أن هذه الأمور حدثت قبل أن يولد لاوي، الذي هو أبو الكهنوت اليهودي، لذلك يكون لاوي قد قدم عشوره في إبراهيم، وهذا يظهر أن رتبة اللاويين أقل من رتبة ملكي صادق (الآية ٩). وحيث أن كهنوت يسوع كان على رتبة ملكي صادق، بالتالي يكون كهنوت المسيح أيضاً أسمى من الكهنوت بحسب اللاويين.

أوضح الكاتب مدى ضرورة الكهنوت الجديد: "فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال – إذ الشعب أخذ الناموس عليه – ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يقال على رتبة هارون؟" (عب ٧: ١١). فبخدمته تحت الناموس، لم يستطع الكهنوت الذي على رتبة هارون أن يجعل الإنسان كاملاً، لكنه فقط استطاع أن يقدم الذبائح لأجل خطايا الإنسان.

وحيث أن يسوع جاء من نسل يهوذا، وهو سبط لم يذكر موسى أبداً أن له أي علاقة بالكهنوت، فقد بدا واضحاً أن هناك تغيير في الكهنوت. كان كهنوت يسوع

"ليس بحسب ناموس وصية جسدية، بل بحسب قوة حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦). هذا التغير في الكهنوت، والذي حل محل الكهنوت بحسب لاوي، كان ضرورياً لأن الكهنوت السابق تجلى "ضعفها وعدم نفعها" (الآية ١٨). والسبب في هذا الضعف أن "الناموس لم يكمل شيئاً" (الآية ١٩). لم يستطع الناموس تغيير القلب، أي تحقيق ولادة جديدة لأي إنسان. ولكن الآن، مع الكهنوت الجديد، هناك رجاء أفضل "به نقترب إلى الله".

يختلف هذا الكهنوت الجديد عن القديم في أمور عديدة. أولاً: ليس هناك الكثير من الكهنة بل كاهن واحد. في التدبير السابق، كان من الضروري الاستمرار في تنصيب المزيد من الكهنة من أجل تغطية النقص الناتج عن موت الكهنة، ولكن طالما أن يسوع "يبقى إلى الأبد، [فإن] له كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤). ونتيجة كهنوته الدائم أنه "يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (الآية ٢٥).

ثانياً: يسوع، رئيس كهنتنا، "قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات" (عب ٧: ٢٦). وهذا يعني أنه "ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة، إذ قدم نفسه" (الآية ٢٧). وكانت ذبيحته الوحيدة كافية لأجل خطايا الإنسان مرة واحدة وللأبد.

خلاصة هذه الفكرة أن "لنا رئيس كهنة مثل هذا، قد جلس في يمين عرش العظمة في السماوات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان" (عب ٨: ١، ٢). ومن ثم ليس على المسيحيين اليهود أن يقلقوا من عدم وجود رئيس كهنة في الإيمان المسيحي. إذ يوجد رئيس كهنة وخدمته أسمى من "شبه السماويات وظلها" الموجود في الناموس (الآية ٥). فهو "قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو

وسيط أيضا لعهد أعظم، قد تثبت على مواعيد أفضل" (الآية ٦). وهذا العهد الأفضل كان ضرورياً نتيجة لضعف العهد القديم. لقد تكلم الله لبني إسرائيل بواسطة نبيه إرميا عن ضعف هذا العهد وكشف لهم عن ضرورة وجود عهد جديد (إر ٣١: ٣١-٣٤). هذا العهد الجديد جعل القديم عتيقاً وموشكاً على التلاشي (عب ١٣: ٨).

ويزيد الكاتب من شرحه بواسطة مناقشة تنظيمات العهد الأول فيما يتعلق بالتقديس والعبادة. ويشير إلى أن تقدمة رئيس الكهنة للعطايا والذبائح التي كانت تتم مرة واحدة في السنة في خيمة الاجتماع "تقدم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم، وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط، موضوعة إلى وقت الإصلاح" (عب ٩: ٩، ١٠). وكان على الناس أن يتبعوا هذه التنظيمات حتى ظهور المسيح فقط. وعندها سيكون هناك "مسكن أعظم وأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة. وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً" (الآية ١١، ١٢). فإذا كان العهد القديم يزيل الخطية، "فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي!" (الآية ١٤).

كيف كان من الممكن للعهد الجديد أن يحل محل العهد القديم؟ كان ذلك ممكناً لأن المسيح "هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون - إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي" (عب ٩: ١٥).

لقد تم التصديق على العهد القديم بالدم. ويرمز الدم لحدوث الموت، وهذا يجعل العهد سارياً. وكانت أهمية الدم كبيرة للغاية لدرجة أن الكتاب المقدس يقول: "وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة!" (عب ٩: ٢٢). كذلك حصل العهد الجديد أيضاً بواسطة سفك الدماء.

ولكن هذا العهد حصل بواسطة سفك دماء ذبيحة أفضل، هذه الذبيحة لا تحتاج إلى أن تتكرر كل سنة.

"لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا. ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة، كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه. وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، هكذا المسيح أيضاً، بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عبرانيين ٩: ٢٤-٢٨).

وفي الأصحاح التالي يستمر الكاتب في تأكيده على العلاقة بين العهدين القديم والجديد، وهو أولاً يبرز حقيقة أساسية عن الناموس وعن ذبائحه: "الناموس، إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة، التي يقدمونها على الدوام، أن يكمل الذين يتقدمون" (عب ١٠: ١). هذه الذبائح كانت "ذكر للخطايا" (الآية ٣). لكنها لم تستطع أن تنتزع الخطايا أو تزيل الشعور بالخطية. "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (الآية ٤). لقد كانت رغبة الله الأصيلة ألا يُقَدَم له الذبائح والتقدمات — فهي لا ترضيه على الإطلاق. لكنه أراد من المرء أن يأتي ليفعل مشيئته (الآية ٧) ومن ثم "ينزع الأول لكي يثبت الثاني" (الآية ٩). وقد تحقق هذا عندما جاء يسوع وصار هو الذبيحة التي بها "نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (الآية ١٠). إن ذبيحته الكاملة الفاعلية جعلت التقديس ممكناً. إذ كانت هذه التقدمة "ذبيحة واحدة ... إلى الأبد ... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (الآية ١٢-١٤).

كما ذكرنا من قبل، لقد قيل عن الحاجة إلى تغيير العهد في داخل نفس العهد الأول. "هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم" (عب ١٠: ١٦). ويكون تأثيره هو: "لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد" (الآية ١٧؛ قارن إر ٣١: ٣٣، ٣٤).

في ضوء هذا، نستطيع أن يكون لنا "ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب، أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو أمين" (عب ١٠: ١٩-٢٣).

بعد أن شرح الكاتب للمسيحيين اليهود علاقة تقدمات وذبائح العهد القديم بالعهد الجديد. يمكنهم الآن أن يتمتعوا بالثقة في الطريق الجديد الأفضل في يسوع. ولن يرغب المسيحيون اليهود في إهمال هذا الطريق الأفضل. إذ أنه أسمى في كل المناحي عن العهد القديم.

ولكي يشجع الكاتب القراء من المسيحيين اليهود ألا يهملوا هذا الطريق، فهو يذكرهم بالآلام التي اختبروها عندما صبروا "على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات" لأنهم أتبعوا يسوع (عب ١٠: ٣٢، ٣٣). وقد قبلوا سلب أموالهم بفرح لأنهم علموا أن لهم "مالاً أفضل في السماوات وباقياً" (الآية ٣٤). متذكرين أنهم لم يختبروا هذه التجارب هباءً. لكنهم سينالون مكافأة عظيمة لو أنهم صبروا. "لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. لأنه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطئ. أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتد لا تسر به نفسي. وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" (الآية ٣٦-٣٩).

رومية ٩–١١، بنو إسرائيل

لقد فشل معظم بني إسرائيل في فهم الرسالة المسيحية والدخول في العهد الجديد. وكان الأمر الثاني الذي ناقشه بولس الرسول هو لماذا رفض اليهود يسوع باعتباره المسيح؟ لماذا تحول بنو إسرائيل الذين "لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد" تحولوا عن المسيا الخاص بهم، مسيحهم (رو ٩: ٤، ٥). ويجيب بولس عن هذا السؤال في رومية ٩–١١.

إن فشل اليهود في المجيء إلى المسيح "ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت" (رو ٩: ٦). ولكن، "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد" (الآية ٦، ٧). لقد كان لإبراهيم ولدان، لكن الوعد أعطي لواحد فقط منهما، وهو إسحاق. أما إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم، الذي ولدته الجارية هاجر، فهو لم ينل الوعد (تك ١٦؛ ٢١: ١٢؛ ٢٥: ١، ٢). والأمر ذاته جرى مع أبناء إسحاق. إذ لم يُمنَح الوعد للابن الأكبر عيسو، بل للابن الثاني يعقوب. وهذا يظهر أن "ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً" (الآية ٨).

بعد ذلك يشرح بولس اختيار يعقوب بالمزيد من التفاصيل. قبل أن تحمل رفقة بالتوأم، وما كانا قد "فعلا خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو، قيل لها: إن الكبير يستعبد للصغير. كما هو مكتوب: أحببت يعقوب وأبغضت عيسو" (رو ٩: ١١–١٣). لقد حدد الله نفسه من الذي سيتم به تنفيذ الوعد الذي قطعه مع إبراهيم و لم يتم ذلك بناءً على أي أعمال للإنسان. ولا يتعلق هذا الاختيار بهبة الحياة الأبدية بل بشرف وامتياز إعداد الله لشخص ما ليعد البشرية لمجيئه الفدائي. فإن الله لم يدن عيسو ونسله لأنه دعا يعقوب، كما أن يعقوب ونسله لم ينالوا الحياة الأبدية بسبب دعوتهم. في الحقيقة، لقد رفض الله

الكثير من نسل يعقوب بسبب شرورهم. ومع ذلك، كانت هناك بقية أمينة، واستطاع الله أن ينفذ غايته بينهم ليجعل الخلاص متاحاً لكل البشرية.

بمعرفة هذه الحقائق، رأى بولس أن القارئ قد يتساءل: "ألعل عند الله ظلما؟" (رو ٩: ١٤). ولذا فقد طرح السؤال وأجاب عليه. حيث أن الله أختار الأشخاص الذين سيحقق من خلالهم الفداء، فهل هذا يعني ضمناً أن الله ظالم؟ يقول بولس "حاشا". إن الظلم يتنافى مع جوهر طبيعة الله. لأن قداسته وبره لن يسمحا أبداً لهذا أن يحدث.

ثم يقتبس بولس من كلمات الله لموسى لإظهار أن الله ليس ظالماً. فقد قال الله لموسى، عبده: "إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف" (رو ٩: ١٥؛ قارن خر ٣٣: ١٩). إن استخدام الله لموسى ليس بسبب أي عمل عمله بل بسبب رحمة الله. لقد استخدم الله موسى كما استخدم إسحاق ويعقوب لتتميم أهدافه. "فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم" (رو ٩: ١٦). ربما رغب إبراهيم أن يتحقق الوعد من خلال إسماعيل، وربما رغب إسحاق أن يتحقق من خلال ابنه البكر عيسو، وربما سعى عيسو لذلك؛ إلا أن الله، بدافع رحمته، أعطى الوعد لإسحاق ويعقوب. وهذه الاختيارات لم تجعل الله ظالماً بل رحيماً في اختياره للأشخاص الذين من خلالهم سوف يتحقق الوعد.

ومن جديد يقتبس بولس من الكتاب المقدس لتدعيم فكرته. لا يمكن للمرء أن يُنسَب خطأ إلى الله لأنه استخدم أفراداً معينين لتتميم أهدافه. "لأنه يقول الكتاب لفرعون: إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادى باسمي في كل الأرض" (رو ٩: ١٧). لقد استخدم الله الأحداث التي أحاطت بتمرد الفرعون القاسي والظالم ضد مشيئة الله لكي يكشف لبني إسرائيل أن الله دعا موسى لكي يقودهم من

أرض مصر ولكي يقوي إيمانهم في الله. والنتيجة النهائية لهذا سوف تكون اعلان اسمه في جميع أنحاء العالم.

هذه الآيات تنتمي لفئة من كتابات بولس التي قال عنها بطرس: "التي فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضا، لهلاك أنفسهم" (٢بط ٣: ١٦). ويستخدم البعض هذه الآيات في رومية ٩ لتدعيم الرأي القائل بأن الله اختار بعض الناس لكي يخلصوا وقسى قلوب البعض الآخر لكي ينالوا الدينونة. غير أن هذه الآيات لا تقدم هذا التعليم.

ففي المقام الأول، تتناول رومية ٩ ممارسات فرعون باعتباره قائداً سياسياً لمصر وتبرز كيف تم استخدامه لإظهار قوة الله. ولكن هذه الآيات لا تقول أي شيء عن اختياره للدينونة الأبدية. إنما هي تظهر فقط أن الله استخدم بعض الممارسات السلطوية من الفرعون لتتميم الوعود التي أعطاها الله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (خر ٥: ٢٢-٦: ٨).

وفي المقام الثاني، يجب فحص السؤال الذي يتعلق بكيفية استخدام الله لفرعون وكيف تقسى قلبه. يذكر سفر الخروج في البداية: "قال الرب لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون. ولكني اشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب" (خر ٤: ٢١). وللوهلة الأولى يبدو هذا نبوءة أن الله سوف يحرك فرعون وكأنه دمية في يده ويدفعه نحو الخطية ضد الشعب. ولكن ليس هذا هو حقيقة الأمر.

السبب الذي جعل قلب فرعون يتقسى يبدو واضحاً من أول لقاء له مع موسى وهارون. إذ كان رد فعل فرعون تجاه طلب موسى وهارون هو: "من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلق" (خر ٥: ٢). لم يستمع لهما الفرعون كما صنع أمورا جعلت قلبه يتقسى. وهذا انعكس في أحداث تالية: "فلما رأى فرعون ... أغلظ قلبه ولم يسمع لهما" (٨: ١٥؛ قارن الآية ٣٢). عندما

يُطلب من شخص أن يفعل شيئاً ويرفض فعله بعد تكرار الطلب، فإن قلبه يصبح غليظاً متقسياً حتى عندما يتم إجباره على تغيير رأيه.

كما يذكر الكتاب المقدس أيضاً أن الله قسى قلبه (خر ٧: ٣؛ ٩: ١٢؛ ١٠: ١، ٢٠، ٢٧؛ ١١: ١٠). وقد قسى الله قلب فرعون من خلال سماحه له بأن يختار الشر ومن ثم يتركه يحصد ثمار أفعاله. تلك هي الطريقة التي يعمل بها الله. ويقول بولس الرسول في الأصحاح الأول من رسالة رومية: "أسلمهم الله" (رو ١: ٢٤، ٢٦، ٢٨). وهذا هو ما حدث لفرعون. لقد أعطى الله علامات لفرعون، وعندما أختار ألا يؤمن واستجاب بتصرفات قاسية وظالمة للشعب، بدأ بذلك يترلق في منحدر فيه يتقسى قلبه. إذ لا يمكن للإنسان أن يقاوم كلمة الله دون أن يجني عواقب وخيمة.

الخلاصة التي يتوصل إليها بولس مما قيل لموسى وفرعون أن الله "يرحم من يشاء ويقسي من يشاء" (رو ٩: ١٨). لم يتمكن فرعون من المطالبة برحمة الله نتيجة للأفعال التي عملها؛ و لم يستطع أن يعترض على الله بسبب التطور الذي بلغته الأحداث. حيث إن موسى وفرعون قد استخدمهما الله لتحقيق خطته للفداء كما قررها.

لعل بعض اليهود يتخذون من هذه الأحداث أساساً لفكرة أن الله اختار بعض الناس للحياة والبعض للموت، ويسألون: "لماذا يلوم بعد لأن من يقاوم مشيئته؟" (رو ٩: ١٩). والخطوة الأولى التي يتخذها بولس لدحض هذا التطبيق هي بأن يذكرهم، "بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟" (الآية ٢٠). إن للخزاف سلطة على الخزف. وإذا كان الله يرغب في اختيار شعب ويستمر معهم فذلك "لكي يبين غنى مجده"، لذلك علينا ألا نشتكي من ذلك (الآية ٢٣).

إن الغنى الذي استعلن لليهود هو الآن مستعلن أيضاً للأمم. وقد دبر الله لذلك منذ زمن طويل. فقد قال هوشع: "سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة

محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي" (رو ٩: ٢٥، ٢٦؛ قارن هو ٢: ٢٣؛ ١: ١٠).

كذلك فقد تحدث إشعياء فيما يتعلق ببني إسرائيل. "وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص" (رو ٩: ٢٧). يبرز هذا مجدداً أن ثمة فارق بين أبناء الوعد وأبناء الجسد. وهذه البقية مهمة لكل إسرائيل لأنه لولا هذه البقية، لصارت مثل سدوم وشابهت عمورة (الآية ٢٩؛ قارن إش ١٠: ٢٢، ٢٣).

كما تكلمت النبوات منذ زمن طويل، فها هي الأمم تدخل في الوعد، و لم يحتفظ من بني إسرائيل سوى ببقية قليلة فقط. ما الذي يمكن أن يقال إزاء هذا؟ "إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر – البر الذي بالإيمان. ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر! لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس" (رو ٩: ٣٠-٣٢). لا يمكن لأحد أن يلوم الله لأجل حالة بني إسرائيل. فقد كان ذلك باختيارهم. فهم قد تعثروا نتيجة لرفضهم يسوع باعتباره المسيح.

ليس تعثر إسرائيل في يسوع أمراً نهائياً ودائماً. وهذا يظهر في رغبة بولس لأجلهم أن يخلصوا. فقد كتب: "أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص" (رو ١٠: ١). إن رفض إسرائيل راجع لخطأهم هم ولا يمكن توجيه اللوم فيه على الله. ولكن عندما يرجعون وينفذون شروط الله، فسوف يخلصون. لو أن هذا لم يكن هو حقيقة الأمر، لما استطاع بولس أن ينطلق بما قاله.

أدرك بولس أين تكمن مشكلة بني إسرائيل. "لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة. لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله" (رو ١٠: ٢، ٣). والسبب الرئيسي وراء ذلك كان فشلهم في رؤية "غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن" (الآية ٤).

لقد فشل إخوة بولس من اليهود أن يفهموا غاية الناموس، وكيف سوف يقود إلى المسيح. غير أن هذا كان من المفترض ألا يحدث، طالما أن العهد القديم أحتوى على هذه الرسالة. إذ حذرهم موسى: "إن الإنســـان الذي يفعلها [الشرائع] سيحيا بها" (رو ١٠: ٥؛ قارن لا ١٨: ٥). والبر الذي يجري الحديث عنه هنا هو البر الذي يناله المرء بواسطة الطاعة الكاملة للناموس. والإنسان الذي يحصل على هذا البر لا يمكن أن يدان طالما أنه سوف يوفي مطالب الناموس. فلن يكون هناك أي سند أو أساس لإدانته.

بعد أن يشير بولس إلى كلمات موسى عن البر، تتجه إشارته التالية إلى طريق آخر للحصول على البر المطلوب. "وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء؟ (أي ليحدر المسيح) أو من يهبط إلى الهاوية؟ (أي ليصعد المسيح من الأموات)" (رو ١٠: ٦، ٧). هذه إشارة إلى كلمات موسى في تثنية ٣٠: ١٢-١٤. فقبيل حديث موسى إلى الشعب، نجده يشير إلى الوصايا التي أعطاها لهم "ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك" (تث ٣٠: ١١). وبالنسبة لقراء بولس فإن هذه الكلمات تعني أنه لم يطلب منهم شيئاً مستحيلاً، بل شيئاً ممكناً حقاً.

يمثل تجسد المسيح وقيامته أمرين مركزيين بالنسبة للإنجيل. ولا يحتاج المرء إلى القيام بمهام مستحيلة للحصول على الخلاص. فهذا سوف يتناقض مع ما يقوله الكتاب المقدس. "لكن ماذا يقول؟ «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك» (أي كلمة الإيمـــان التي نكرز بها).لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ٨-١٠). ومن ثم فإن الخلاص قريب منا وسهل الحصول عليه. وإهمال هذه الحقيقة دفع بالكثير من اليهود إلى خسارة المسيح.

في نهاية رومية ٩، كشف بولس كيف أن العهد القديم تنبأ عن أن الأمم سوف يصيرون جزءاً من شعب الله. وهو يشرح الآن هذا بمزيد من التفصيل. الفداء متاح

بصورة شاملة لليهود والأمم طالما أن "الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يخزى" (رو ١٠: ١١؛ قارن إشعياء ٢٨: ١٦). وكلمة كل لا تحد الخلاص في قومية معينة، أي اليهود. لكن كلمة كل تتضمن الأمم أيضاً. ومن ثم يمكننا استنتاج "أنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رو ١٠: ١٢، ١٣). وهذا الاقتباس مستمد من نبوة النبي يوئيل بالعهد القديم. وتتعلق هذه النبوة بالمسيا الآتي (يوئيل ٢: ٢٨، ٣٢؛ قارن أع ٢: ٢١) ويشير إلى عدم وجود أي حواجز بين الأمم فيما يتعلق بالخلاص.

حتى يمكن للإنسان أن يدعو باسم الرب، يجب أن يؤمن. ولكي يؤمن، يجب أن يسمع. ولكي يسمع، يجب أن يتواجد كارزون. ولكي يتواجد الكارزون، يجب أن يتم إرسالهم. وقد تنبأ إشعياء بهؤلاء الكارزين، وهذه النبوة يقتبسها بولس لتدعيم مبدأ الكرازة بالإنجيل للجميع: "ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات" (رو ١٠: ١٥؛ قارن إشعياء ٥٢: ٧).

أدرك بولس أن القليل فقط ممن يسمعون بشارة الإنجيل يستجيبون. وقد توقع ذلك إشعياء أيضاً. "لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول: يا رب من صدق خبرنا؟" (رو ١٠: ١٦؛ قارن إش ٥٣: ١). الخبر أو البشارة تحمل الخيرات، ولكن القليل جداً هم الذين يؤمنون لدرجة أن إشعياء تساءل إذا كان هناك من يؤمن. كما تحدث الرب يسوع عن رفض الإنجيل في مثل الزارع. إذ من بين البذار الكثيرة، لم تثمر سوى القليل منها (مت ١٣).

حتى مع أن الاستجابة ستكون محدودة، فإن الكلمة مازالت متجهة نحو الجميع. ربما يعترض البعض ويقول: "ألعلهم لم يسمعوا؟" ويجيب بولس: "بلى! إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم" (رو ١٠: ١٨). لقد تم الكرازة

برسالة الإنجيل للجميع. وطالما أنه تم الكرازة بها للجميع، فيجب أن تكون قد قصدت الأمم كما اليهود.

ولكن بالتأكيد، " ألعل إسرائيل لم يعلم؟" ألم يعلم بنو إسرائيل أنه سيأتي وقت عندما يدعو الأمم باسم الرب، وبنو إسرائيل سوف يرفضون نفس الدعوة؟ بلى لقد علموا. فقد تحدث موسى عنها: "أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم" (رو ١٠: ١٩). كما تحدث إشعياء عنها: "وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني" (رو ١٠: ٢٠؛ قارن تث ٣٢: ٢١؛ إش ٦٥: ١). وبالتالي فقد تعلم اليهود أن الأمم سوف يصيرون جزءاً من شعب الله. وليس لدى اليهود أي عذر لرفضهم وتعثرهم من تضمين الأمم في شعب الرب.

كان الله صبوراً في تعامله مع بني إسرائيل. فقد كتب إشعياء عنه: "طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" (رو ١٠: ٢١؛ قارن إش ٦٥: ٢). وبذلك فهو لم ينبذهم ويطردهم لكنه فعل كل ما يمكن فعله ليخلصهم. ومع ذلك كان رد فعلهم العصيان والتمرد ضده.

وبسبب رفض بني إسرائيل، علم بولس أن الكثير من اليهود ربما يتساءلون عن تعاملات الله معهم. والسؤال الذي قد يجول بخاطر البعض منهم: " ألعل الله رفض شعبه" (رو ١١: ١). ويجيب بولس بتوضيح أن رفض إسرائيل ليس كاملاً ولا نهائياً. فإن بولس نفسه كان واضحاً في هذا. "لأني أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين" (الآية ١، ٢).

لم يكن بولس مجرد يهودي وجد المسيح لكنه كان واحداً من بقية إسرائيل الذين وجدوه. كانت هذه البقية موجودة تماماً مثلما تواجد سبعة آلاف تقي في أيام إيليا. فحينما صرخ إيليا لله ضد إسرائيل: "يا رب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي" (رو ١١: ٣). وأجابه الله: " أبقيت لنفسي سبعة آلاف

رجل لم يحنوا ركبة لبعل" (الآية ٤). فمن يظنون أن الله قد رفض شعبه عليهم أن يدركوا أنه "فكذلك في الزمان الحاضر أيضا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة" (الآية ٥). ويواصل بولس حديثه: "فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً" (الآية ٦). لقد بقيت البقية لأن البعض من بني إسرائيل وجدوا المسيح ولم يعثروا بالأعمال.

كان أغلب شعب إسرائيل يطلبون الله، ولكن "ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله ولكن المختارون نالوه. وأما الباقون فتقسوا" (رو ١١: ٧). وقد تنبأ أنبياء العهد القديم بهذا التقسي. "أعطاهم الله روح سبات و... لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين" (الآية ٨-١٠؛ قارن مز ٦٩: ٢٢، ٢٣؛ إش ٢٩: ١٠). ولكن البعض نال ما تطلع إليه بنو إسرائيل – أي الخلاص بواسطة المسيح. ولكن البعض الآخر لم ينالوه وهلكوا نتيجة لعدم إيمانهم ورفضهم للمسيح. لقد أغمضوا أعينهم ولم يروا يسوع باعتباره المسيح.

إن العثرة التي اختبرها بنو إسرائيل لم تكن كاملة، كما يبرز بولس، كما أنها ليست سقوطاً نهائياً. "ألعلهم عثروا لكي يسقطوا" ولا يقوموا مرة ثانية؟ ويجيب بولس على ذلك "حاشا!" (رو ١١: ١١). العثرة لم تكن للسقوط الذي يعني أنه لن يقبل اليهود المسيح على الإطلاق باعتباره المسيا الخاص بهم. فهذا الرفض ليس رفضاً نهائياً.

ثمة حقيقة تكمن في عثرة اليهود وهي أن "بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم" (رو ١١: ١١). وهذا لا يعني أن الأمم ما كانوا يقبلون الأخبار السارة لو أن إسرائيل لم تتعثر. إذ كان الأمم متضمنين في وعد الله لإبراهيم. وبسبب هذا الوعد قبلوا الإنجيل. ولكن رفض إسرائيل كان له تأثير على قبول الأمم للإنجيل. فعندما رفض

اليهود يسوع باعتباره المسيح، زاد الرسل من جهودهم لكسب الأمم. وقد أشار الرب يسوع إلى هذا التحول إلى الأمم في مثله عن وليمة العرس. إذ قال: "أما العرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين. فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس" (مت ٢٢: ٨، ٩).

ويمكن رؤية هذا التحول من اليهود إلى الأمم في كورنثوس، حينما كان بولس "يشهد لليهود بالمسيح يسوع. وإذ كانوا يقاومون ويجدفون نفض ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم. أنا بريء. من الآن أذهب إلى الأمم" (أع ١٨: ٥، ٦).

حتى ذلك الوقت، كان بولس يبذل قصارى جهده في محاولة ربح اليهود للمسيح. ولكن بسبب مقاومتهم واستهزائهم، وجه بولس جهوداً أكبر نحو ربح الأمم. ومع ذلك، لم ينصرف كلية عن اليهود. فهناك جزء من جهوده لربح الأمم كان مدفوعاً برغبته لإثارة غيرة اليهود. لقد أراد أن يجعلهم يشعرون بالغيرة من الأمم، ويقبلون يسوع، على رجاء أن اليهود سوف يرغبون في المشاركة في البركة التي جلبها يسوع. فكتب بولس: "بما أني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي. لعلي أغير أنسبائي وأخلص أناسا منهم" (رو ١١: ١٣، ١٤).

أدرك بولس أن قبول اليهود ليسوع سوف يكون بركة أعظم طالما أن رفضهم كان مصالحة لعالم الأمم. "لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات؟" (رو ١١: ١٥).والمبدأ الأساسي التالي هو: "وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين! وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان!" (رو ١١: ١٦). ويبدو من خلال السياق أن "الباكورة" تشير إلى الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، الذين كانوا أول شعب الله المختار. ومنهم انبثق بنو إسرائيل. ولأن هؤلاء الآباء كانوا قديسين، فإن أبناءهم الروحيين الحقيقيين يجب أن يكونوا قديسين أيضاً. أما هؤلاء الذين لم يكونوا قديسين، فسوف يتم اقتلاعهم.

من خلال المبدأ الأساسي السابق، يحذر بولس الأمم: "فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها. فلا تفتخر على الأغصان. وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل!" (رو ١١: ١٧، ١٨). لقد تم اقتلاع الفروع اليهودية لأنهم لم يسعوا وراء البر على الأساس الصحيح (٩: ٣٠ وما بعدها). والأمم باعتبارها زيتونة برية، تم تطعيمها في الشجرة الأم لأنهم طلبوا البر على أساس الإيمان. هؤلاء يحصلون على حياتهم من الجذر الغني، وهو أبونا إبراهيم. كان الآباء هم الذين من خلالهم اختار الله أن يشكل بني إسرائيل. كانوا هم الشعب المختار لكي يعدوا الإنسان للفداء الذي سيجلبه ابنه. لذلك كانوا الجذر الذي من خلاله جلب الله الحياة التي صارت لنا الآن في يسوع. فعلى الأمم ألا يزدروا باليهود. حيث أن جذور الأمم هي في الشعب المختار.

أدرك بولس أن بعض الأمم ربما يصابون بالغرور ويفتخرون قائلين: "قطعت الأغصان لأطعم أنا" (رو ١١: ١٩). ولكن ليس هذا أساساً للتفاخر، "من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان ثبت. لا تستكبر بل خف! لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضا!" (الآية ٢٠، ٢١). وحيث إن الأمم يستندون على الإيمان وحده، فعليهم أن يخافوا من احتمال أن يتم قطعهم أيضاً لو أنهم فقدوا إيمانهم. وعليهم أن يراعوا "لطف الله وصرامته" (الآية ٢٢). فقد ظهرت صرامة الله لهؤلاء الذين سقطوا. أما لطف الله فظهر لهؤلاء الذين حافظوا على إيمانهم. ولهؤلاء سوف يستمر لطف الله، "إن ثبت في اللطف وإلا فأنت أيضا ستقطع" (الآية ٢٢). هؤلاء الذين سقطوا، اليهود غير المؤمنين، حصلوا أيضاً على وعد: "إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعمون. لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً" (الآية ٢٣). حيث أن الله كان قادراً على تطعيم أغصان الزيتونة البرية (الأمم الوثنيون)، فسوف يكون من الأسهل

بالنسبة له أن يطعم اليهود الساقطين طالما أنهم أغصان طبيعية وكانوا من قبل أحراراً من الوثنية (الآية ٢٤).

ولكي يساعد بولس الأمم في إيمانهم، يشرح لهم سراً. "إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو ١١: ٢٥، ٢٦). وقد تنبأ إشعياء بنفس الأمر (إش ٥٩: ٢٠، ٢١؛ ٢٧: ٩ بحسب الترجمة السبعينية؛ قارن زك ١٤ لمزيد من الضوء على المُخَلِص). كما ذكر الرب يسوع أحداثاً مستقبلية تتعلق بإسرائيل: "وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم" (لو ٢١: ٢٤).

"وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" هذه الجملة تعني أن بني إسرائيل سوف يقبلون الرب يسوع باعتباره المسيا الخاص بهم في المستقبل. فهم مازالوا "أحباء من أجل [خاطر] الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (رو ١١: ٢٨، ٢٩). فإن عهد الله الذي أعطاه للآباء مازال قائماً. (انظر تك ١٢: ١-٣، ٧؛ ١٣: ١٦؛ ١٥: ٥، ٧، ١٨؛ ٧: ٦ وما بعدها؛ ١٠: ١٥). تلك الوعود كانت غير مشروطة ولذلك فهي لا يمكن إلغاؤها. فلابد لكلمة الله أن تبقى؛ ومن المحال أن تتغير.

على المؤمنين من الأمم أن يتذكروا أنهم كما كانوا من قبل عصاة ونالوا الرحمة، هكذا اليهود الذين هم الآن عصاة يمكن أيضاً أن ينالوا الرحمة (رو ١١: ٣١، ٣٢). إن رفضهم ليس نهائياً ولا كاملاً. ومع إدراك كيف أن فداء الله عمل لأجل خير اليهود والأمم معاً، كتب بولس: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!" (الآية ٣٣). يا له من عمق عظيم لحكمة الله ومعرفته بينما ينفذ خطته للفداء. ونحن لا يمكننا أن نستوعبها بالكامل؛ فإن حكمته تتسامى كثيراً فوقنا. وعندما ندرك هذا يمكننا أن نقول مع بولس: "لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين" (الآية ٣٦).

الأمم، جزء من شعب الله المختار

رأينا أن رسالة رومية تناقش رفض اليهود وضم الأمم إلى عائلة الله. أوضح بولس في رسالة أفسس كيف أن هذين الفريقين المنفصلين صارا واحداً. تعد هذه الوحدة فكرة أساسية في رسالة أفسس.

في البداية كتب بولس: "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" (أف ١: ٤). ويتضمن الضمير المفعول في (اختارنا) الأمم أيضاً (٢: ١١، ١٤، ١٦؛ ٣: ١، ٦، ٨؛ ٤: ١٧). لقد خطط الله في البداية لجعل الأمم جزءاً من شعبه.

يُذكِّر بولس قراءه من الأمم بحالتهم السابقة وبركاتهم الحالية لأن الله "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ... وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٥، ٦).

لم يتمتع الأمم بهذه البركات دائماً. فقبل ذلك كانوا منفصلين عن الله (أف ٢: ١١، ١٢). ولكن تضمينهم في ملكوت الله تحقق بواسطة يسوع المسيح. إذ أحضرهم وهم الذين كانوا "قبلاً بعيدين" (الآية ١٣) وقربهم إلى الله بواسطة دمه. يسوع هو سلامنا لأنه هو "الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط" (الآية ١٤). ويسوع، عندما أبطل "ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً" [بدلاً من اثنين] (الآية ١٥). لقد صالح "الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب" (الآية ١٦). والآن صار "به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب" (الآية ١٨). وحيث أن يسوع صنع ذلك، صار باستطاعة بولس أن يكتب:

"فلستم إذا بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً

معاً ينمو هيكلاً مقدسا في الرب. الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا، مسكناً لله في الروح". (أفسس ٢: ١٩-٢٢)

كان إحضار اليهود والأمم معاً فيما قبل سراً، "الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٥، ٦). لكن بولس دعي كخادم لكي ينير "الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله" (الآية ٩).

كما أن توحيد اليهود والأمم مذكور في رسالة غلاطية. "ليس يهودي ولا يوناني ... لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨).

ويذكر بولس مرة أخرى في رسالة كولوسي هذه الوحدة. "حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل" (كو ٣: ١١).

وهكذا تكشفت خطة الفداء تدريجياً. وأختار الله أن ينفذ خطته عبر اليهود، ولكن القصد أن يصير الأمم جزءاً من شعبه كان سراً أمام الناس. غير أنه الآن لم يعد هذا واقع الأمر. فالمسيحيون من اليهود والأمم يعرفون الآن أن باستطاعتهم الوقوف أبراراً أمام الله فقط بواسطة الرب يسوع.

إتحاد المؤمنين مع المسيح

دعنا نسترجع ملمحاً آخر من الفداء في المسيح. في حديثه عن خبز الحياة، تكلم الرب يسوع عن موسى والمَنّ وعن "الخبز الحقيقي [الذي] من السماء ... الواهب حياة للعالم" (يو ٦: ٣٢، ٣٣). يسوع هو هذا "الخبز" الذي من السماء (الآية ٤١)، و"من يؤمن بي [بيسوع] فله حياة أبدية" (الآية ٤٧). إن يسوع، وهو الخبز الحي، عندما قال: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز

يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (الآية ٥١)، كان بذلك يشير إلى بذله حياته على الصليب. وواصل يسوع حديثه بصورة رمزية حينما قال: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" (الآية ٥٦). هذا الأكل ليس يشبه أكل المَنّ (الآية ٥٨) ولكنه اتحاد بين اثنين تحقق بواسطة الإيمان بالمسيح. وحيث أن التلاميذ ظنوا أن هذا كان "كلاماً صعباً"، ومن المستحيل أتباعه، فإن يسوع قال لهم: "الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (الآية ٦٣). إن الروح الساكن فينا هو الذي يعطي حياة روحية (يو ٣: ٦؛ رو ٨: ٩-١١). وتتضمن هذه المشاركة اتحاداً بين المسيح وبين المؤمن يجلب الحياة للمؤمن.

وفي حديث الرب يسوع عن الأغصان والكرمة، قال يسوع لتلاميذه "اثبتوا فيّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فيّ ... إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته" (يو ١٥: ٤، ١٠). الثبات في المسيح يثمر نمواً مسيحياً: "كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (الآية ٢؛ قارن الآية ٥، ٦). أما إذا لم يكن هناك نمو فإن الفرع يُقطع. وبعد ذلك، في صلاة يسوع التشفعية، صلى يسوع من أجل تلاميذه "ليكونوا واحداً كما أننا نحن [يسوع والآب] واحد. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" (يو ١٧: ٢٢، ٢٣). هذه السكنى في المسيح والثبات فيه هي الأساس للوحدة بين المؤمنين وبين المسيح.

كتب بولس مراراً كثيرة عن هذه الوحدة. عندما نسلم كل شيء للمسيح، ونكرس حياتنا له بالإيمان، نصير عندئذ متحدين به. وقد استخدم بولس عدة كلمات يونانية مركبة مع البادئة su، والتي تعني مع، ليشرح هذه العلاقة السرية. هذه الكلمات

اليونانية – والتي يمكن ترجمتها متحدين أو شركاء في الصليب، متحدين في الدفن، متحدين في الإحياء، متحدين في القيامة من الأموات، متحدين في الجلوس معاً – وهي جميعاً تستخدم في ثلاث من رسائل بولس للتعبير عن وحدة المؤمنين مع المسيح.

الكلمة الأولى – متحدين في الصلب – تتضمن اتحاد المؤمنين مع المسيح في الموت. كتب بولس "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ... إنساننا العتيق قد صلب معه [المسيح]" (رو ٦: ٥، ٦). هذا الاتحاد في الصلب يقلل من قوة وسلطان الطبيعة القديمة. استخدم بولس هذا التعبير اليوناني الذي يعني يقلل من قوة خمس وثلاثين مرة لكي يظهر أنه لم يعد باستطاعة إبليس أن يستعبد هؤلاء الذين اتحدوا مع المسيح. هذا الاتحاد لا يقضي على إبليس لكنه يحرر المؤمنين من قيود الجسد، أي من الطبيعة الخاطئة التي نتجت على الخطية الأصلية. كما كتب بولس إلى مؤمني غلاطية: "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥: ٢٤؛ قارن ٦: ١٤). وفي رسالة فيلبي ٣: ١٠، ١١ يتكلم بولس عن هدفين له: "لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبها بموته؛ لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات".

إن أداة الشرط اليونانية ei التي تترجم إن في "فإن كنا قد متنا مع المسيح" (رو ٦: ٨)، تستخدم بطريقة توحي بحقيقة هذا الأمر. ولذا، فإن على المؤمنين أن يحسبوا أنفسهم "أمواتا عن الخطية" (الآية ١١). هذا الموت عن الخطية هو حقيقة ولذلك "لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته" (الآية ١٢). وبموت المؤمنين مع المسيح هم أيضاً متحدين معه في دفنه: "فدفنا معه بالمعمودية للموت" (رو ٦: ٤) وأيضاً "مدفونين معه في المعمودية" (كو ٢: ١٢). هذا الدفن الروحي للمؤمنين في المعمودية يظهر أنهم ماتوا وانتهى سلطان الخطية في حياتهم. وبموتهم مع المسيح، لم يعد المؤمنون راقدين في القبر؛ إذ أنهم أقيموا "أيضاً معه بإيمان عمل الله" (الآية ١٢). "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح

جالس عن يمين الله" (٣: ١). "كما أقيم المسيح من الأموات ... هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة" (رو ٦: ٤؛ قارن أف ٢: ٥).

وكما أقيم المسيح من الأموات، وصار حياً، هكذا فإن الله "أحيانا مع المسيح" (أف ٢: ٥؛ قارن كو ٢: ١٣)، وبذلك نحن "سنحيا أيضا معه" (رو ٦: ٨). والذين ماتوا مع المسيح سينالون الحياة نتيجة لاتحادهم معه. إذ جعل الله منهم أمواتاً عن الخطايا ولكن أحياء لله؛ بمعنى آخر، لقد نالوا حياة جديدة (الآية ١١).

كتب وينجر Wenger عن بعض الملامح المهمة للاتحاد مع المسيح:

"الاتحاد مع المسيح لا يزيل التباين الفارق بين شخصية المسيح وشخصية المؤمن. حيث يظل المسيح هو رب المجد، بينما يظل المؤمن مخلوقاً على الأرض. ولا يتضمن الاتحاد مع المسيح إعفاء المؤمن من مسئوليته تجاه القداسة أو فيما يتعلق بالقرارات التي يتخذها. إذ يظل المسيح هو المسيح والمؤمن يظل تلميذاً للمسيح. غير أن الاتحاد مع المسيح هو بالأحرى ارتباط إيماني. فالإنسان عندما يصبح مؤمناً يرجع إلى الرب. وكان هناك عدد ضخم من الناس في أنطاكية عندما استمعوا إلى الكرازة عن الرب يسوع المسيح "رجعوا إلى الرب" (أع ١١: ٢١). والإيمان بالمسيح هو شرط أساسي للحصول على السكنى الإلهية: "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله" (١يو ٤: ١٥). كما يتضمن الاتحاد مع المسيح أيضاً تكريس المحبة، إذ يذكر يوحنا عن ذلك: "الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (٤: ١٦).

الاتحاد مع المسيح لا يعني فقط أن نعيش الإيمان به، وأن نحبه: لكنه يتضمن أيضاً تطابق الإرادة والنية، والخضوع له بطاعة كاملة. "بهذا نعرف أننا فيه: من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً" (١يو ٢: ٥). كما كتب يوحنا أيضاً: "وهذه هي وصيته: أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ونحب بعضنا بعضا كما أعطانا وصية. ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا: من

الروح الذي أعطانا" (٣: ٢٣، ٢٤). وبالتالي فأن تكون في المسيح يعني أن تكون تلميذاً له، وخادماً ملتصقاً به، ومتحداً تماماً معه في الإرادة والغاية: "إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته" (يو ١٥: ١٠).[٣]

النتيجة النهائية للاتحاد مع المسيح أن الله "أجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع" (أف ٢: ٦، ٧). لذا دعنا نلقي نظرة على الدهر الآتي بمزيد من التفصيل.

[٣] Introduction to Theology, pp. 299, 300

الفصل السابع

تتميم الفداء

المجيء الثاني ليسوع

في بداية هذا الكتاب، الذي تناولنا فيه عملية الفداء، تكلمنا عن خلق آدم وحواء وسقوط الإنسان. ورأينا كيف فدى الله الإنسان من عواقب خطاياه. ثم درسنا دعوة إبراهيم وبني إسرائيل والعجائب التي حدثت في حياة وموت وقيامة ربنا يسوع المسيح. بعد ذلك انتقلنا إلى تفسير الرسل للفداء الذي حققه لنا الرب يسوع. غير أن قصة الفداء لا تتوقف عند نهاية القرن الأول. فهناك المزيد الذي يستحق أن نتتبعه.

فبعد قيامة يسوع، مكث على الأرض لمدة أربعين يوماً مصاحباً لتلاميذه، ومظهراً لهم "نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع ١: ٣).

وبعد انتهاء فترة الأربعين يوماً، صعد يسوع إلى السماء. وقبيل رحيله، أعطى لتلاميذه تكليفاً بأن يكونوا شهوداً له:

"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أعمال ١: ٨- ١١).

وقَبِلَ التلاميذ هذه الرسالة – "إن يسوع هذا ... سيأتي" (أع ١: ١١) – وعملوا على نشرها مراراً وتكراراً. وهكذا صار إعلان عودة يسوع المسيح إلى الأرض نقطة محورية في مركز رسالة العهد الجديد. لا.. لم يختلق أو يُلفق التلاميذ هذه الحقيقة بل أعلنها لهم الرب يسوع نفسه.

أخبر الرب يسوع تلاميذه عن مجيئه الثاني عندما أعلن لهم أنه ذاهب لكي يعد لهم مكاناً. "في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤: ٢، ٣). وبعد ذلك قال لهم: "سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني" (الآية ٢٧، ٢٨).

وسرعان ما أدرك التلاميذ معنى وعده. وأثناء الأيام الأخيرة ليسوع في أورشليم، سألوه أكثر عن مجيئه الثاني: "قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت ٢٤: ٣؛ قارن مر ١٣: ٤؛ لو ٢١: ٧). ورداً منه على هذا السؤال، كلمهم الرب يسوع في حديثه على جبل الزيتون، وهو الحديث الموجود في متى ٢٤ و٢٥، ومرقس ١٣، ولوقا ١٧ و٢١. وفي هذا الحديث ركز يسوع على مجيئه: "ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير" (مت ٢٤: ٣٠). "وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٣٧؛ قارن لو ١٧: ٢٦). "اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" (مت ٢٤: ٤٢؛ قارن الآية ٤٤؛ لو ٢١: ٣٦). "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده" (مت ٢٥: ٣١). كما ذكر الرب يسوع مجيئه أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة. "من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً

عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (مت ٢٦: ٦٤). وكثيراً ما تحدث يسوع عن مجيئه الثاني، مظهراً بذلك أن عودته إلى الأرض ثانية تمثل عقيدة مهمة في الإيمان المسيحي.

نرى إعلان المجيء الثاني ليسوع المسيح منتشراً في كل أنحاء العهد الجديد. وهو ليس موجوداً فقط في الأناجيل الأربعة، ولكن أيضاً في أعمال ١: ١١؛ ١كو ١: ٧؛ ٤: ٥؛ ١١: ٢٦؛ ١٥: ٢٣؛ كو ٣: ٤؛ ١تس ١: ١٠؛ ٢: ١٩؛ ٣: ١٣؛ ٤: ١٥ – ١٧؛ ٥: ٢؛ ٢تس ١: ٧، ١٠؛ ٢: ٢، ٨؛ ١تي ٦: ١٤؛ تي ٢: ١٣؛ يع ٥: ٧؛ ١بط ٥: ٤؛ ٢بط ١: ١٦؛ ٣: ٤، ٨– ١٢؛ ١يو ٢: ٢٨؛ ٣: ٢؛ رؤ ١: ٧؛ ١٩: ١١ وما بعدها؛ ٢٢: ١٢، ٢٠. وحيث أن المجيء الثاني قد حظي بمثل هذا التركيز والتأكيد، فإن على المؤمنين أن يدرسوا هذه العقيدة، وخاصة في ضوء الوعود الموجودة في نهاية سفر الرؤيا.

يسوع يخبر بمجيئه

بينما كان يسوع يتكلم عن مجيئه الثاني في متى ٢٤: ٢، أشار تلاميذه إلى روعة مباني الهيكل. وحيث إنهم قضوا معظم فترات أعمارهم في الجليل، ولم يزوروا أورشليم إلا زيارات قليلة وقصيرة؛ لذلك فإن روعة مباني الهيكل أثارت إعجابهم للغاية. وانتهز يسوع هذه الفرصة لكي يخبرهم بالأحداث التي ستصاحب مجيئه الثاني.

بعد ذلك وفي نفس اليوم، عندما كانوا معاً على جبل الزيتون، كانت كلمات يسوع هذه مازالت تحيرهم، وجعلتهم يطرحون على يسوع سؤالاً مكوناً من ثلاثة أجزاء. "قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت ٢٤: ٣؛ قارن مر ١٣: ٤؛ لو ٢١: ٧). وقد جاء الجزء الأول من هذا السؤال مختصاً بدمار الهيكل؛ أما الجزء الثاني والثالث فهما يتعلقان بمجيء يسوع الثاني والأحداث التي

تصاحب نهاية الأيام. غير أن الرب يسوع لم يقدم إجابات منفصلة وواضحة المعالم لهذه الأجزاء المختلفة من السؤال. بل يبدو أن النبوات التي قدمها يسوع كانت تنطبق على حدثين أحدهما سيأتي عاجلاً والآخر لاحقاً. وهذا التطبيق الثنائي للنبوءة يتبع نموذجاً تكرر كثيراً في نبوات العهد القديم.

أعتقد المسيحيون في القرن الأول أن كلمات يسوع تنطبق على زمنهم. وقد أصغوا لهذه الكلمات فنجوا عندما دمر الرومان مدينة أورشليم سنة ٧٠ م. غير أنه يوجد الكثير من النبوات مازالت لم تتحقق بعد. وحيث أن هناك العديد من الآراء بشأن الطريقة التي يمكن بها مطابقة الأمور التي ذكرها يسوع عن مجيئه الثاني، لذا فلن نخوض في هذا الأمر الآن، لكن ما نريد أن نتناوله هو الدينونة الأخيرة.

الدينونة الأخيرة

يخبرنا يوحنا الرسول بأنه رأى "عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه" (رؤ ٢٠: ١١)، ووقف الموتى أمامه. هؤلاء هم الموتى الذين لم يقوموا في القيامة الأولى. وكان يوحنا قد تحدث عنهم من قبل: "وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة" (الآية ٥). وهؤلاء الذين لم يشاركوا في حكم الألف سنة والذين اتبعوا تمرد إبليس وقفوا جميعاً أمام العرش لكي يدانوا (الآية ١١). جميع الموتى "صغاراً وكباراً" (الآية ١٢)، سيقفون ليحاسبوا في هذه الدينونة الأخيرة. لقد رآهم يوحنا جميعاً واقفين أمام العرش. وسلم البحر والموت والهاوية الأموات الذين فيهم (الآية ١٣).

لا ينفرد سفر الرؤيا بتعليمه عن قيامة الموتى لمواجهة الدينونة. فقد تحدث يسوع عنها أثناء خدمته على الأرض:

"الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون. لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون

له حياة في ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة". (يوحنا ٥: ٢٥- ٢٩)

وفي مكان آخر تكلم يسوع عن هذه الدينونة القادمة في مثل ألقاه ثم شرحه:

"فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم: يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع". (متى ١٣: ٤٠- ٤٣)

ثم شرح أكثر: "هكذا يكون في انقضاء العالم: يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار" (الآية ٤٩).

وفي إنجيل يوحنا، تحدث يسوع عن القيامة الآتية، ولكن فيما يختص بالمؤمنين فقط. "إن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً، بل أقيمه في اليوم الأخير ... أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٣٩، ٤٠). كما تحدث عن هذه القيامة التي ستحدث في اليـــوم الأخير في أماكن أخرى كثيرة (الآية ٤٤، ٥٤؛ ١١: ٢٤).

كما تكلم يسوع عن الدينونة القادمة في حديثه على جبل الزيتون، ولكن ثمة اختلاف بشأن متى يحدث هذا. البعض يرى بأن هذه هي دينونة "العرش الأبيض العظيم". بينما يرى البعض الآخر أن هذه هي الدينونة التي تصاحب الاختطاف طالما أنه يأتي "في مجده، وكل ملائكته معه" (مت ٢٥: ٣١)، وتبدو التفاصيل الأخرى مختلفة عن تلك التي لدينونة العرش الأبيض العظيم.

ربما علينا ألا نحاول معرفة متى تحدث هذه الدينونة. طالما أنها ستحدث في المستقبل، فيمكننا أن نتعلم عن الدينونة التي سيواجهها الكثيرون، سواء حدثت في زمن

الاختطاف أو كانت هي نفسها دينونة العرش الأبيض العظيم. في هذه الدينونة: "يجتمع أمامه جميع الشعـــوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليســـار" (مت ٢٥: ٣٢، ٣٣). هذا التمييز والفصل الكبير سوف يستند على كيف تعامل المرء مع "أحد أخـــوتي هؤلاء الأصـــاغر" (الآية ٤٠) الذين كانوا جوعى وعطشى ومرضى ومسجونين.

أساسات الدينونة

إن دينونة العرش الأبيض العظيم ســـوف تستند على ما يوجد في "الأسفار" أو "سفر الحياة" (رؤ ٢٠: ١٢). "ودين الأموات مما هو مكتـــوب في الأسفار بحسب أعمالهم ... ودينوا كل واحد بحسب أعماله ... وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار" (الآية ١٢، ١٣، ١٥).

إنها الحقيقة أن سفراً أو كتاباً واحداً سيخصص لتسجيل أسماء الأبرار بينما ستخصص أسفاراً أو كتباً لأسماء الأشرار. وهذا أيضاً ما قاله الرب يســـوع في تعاليمه: "لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه!" (مت ٧: ١٣، ١٤). الأساسات التي تبنى عليها المحاكمة هنا هي الأعمال. وهذا الأساس مذكور في نصوص أخرى من الكتاب المقدس.

"كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم". (متى ٧: ٢٢، ٢٣)

"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله". (متى ١٦: ٢٧)

"الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر". (رومية ٢: ٦- ٩).

"لأنه لا بد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً". (٢كورنثوس ٥: ١٠).

"لا تضلوا! الله لا يشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية". (غلاطية ٦: ٧، ٨).

"وأما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محاباة". (كولوسي ٣: ٢٥).

"ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار". (يهوذا ١٥)

"فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب، وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله". (رؤيا ٢: ٢٣).

لا تتكلم هذه المقاطع الكتابية عن الأعمال باعتبارها الأساس للدينونة أو المحاكمة، لكنها تخبرنا أن الإنسان سوف يحاكم أيضاً بحسب كيفية تجاوبه مع يسوع المسيح وإنجيله.

"لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين". (مر ٨: ٣٨؛ قارن لوقا ٩: ٢٦؛ متى ١٠: ٣٣).

"الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة". (يوحنا ٥: ٢٤).

"أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة ... من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير". (يوحنا ١٢: ٤٦، ٤٨).

"وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح". (٢تسالونيكي ١: ٧، ٨).

هل هذان الأساسان للمحاكمة متعارضان؟ كيف يمكن أن يحاكم شخص على أساس الأعمال وأيضاً على أساس تجاوبه مع يسوع المسيح ومع الإنجيل؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الأعمال الصالحة تعقب تجاوب الشخص وإيمانه بالإنجيل. عندما يتجاوب الإنسان ويؤمن بالإنجيل ويكون له إيمان بالمسيح يسوع، يولد من جديد ومن تلك اللحظة فصاعداً يبدأ في السعي لعمل مشيئة الله. ويثمر هذا العمل لمشيئة الله ثماراً طيبة وهي الأعمال الصالحة التي هي أساس المحاكمة. لا يوجد تناقض بين التأكيد هذه الأعمال والتأكيد على أهمية تجاوب الشخص تجاه يسوع المسيح، طالما أن هذه الأعمال هي ثمرة تجاوب إيجابي للشخص نحو الإنجيل.

ذات مرة، تكلم المسيح، في نهاية أحد الأمثال عن الخدمة، وأخبر عن ماذا ينبغي أن يكون تجاوب المسيحي عند المحاكمة. فقال: "كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إننا عبيد بطالون. لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧: ١٠). فالمؤمن لا يستحق أي شيء لكنه فعل فقط ما عمله الروح القـــدس ونعمة الله في حياته.

العقاب الأبدي

"وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار" (رؤ ٢٠: ١٥).

كثيراً ما تستخدم صورة "النار" لوصف المكان الذي سيعاقب فيه الأشرار. ويكثر أن تستخدم كلمة جهنم أو جهنوم Gehenna في العهد الجديد لتصف هذا المكان المخصص للعقـــاب. Gehenna هي واحدة من الكلمات اليونانية التي تترجم "الجحيم أو جهنم" في النسخ العربية من الكتاب المقدس. وهناك تعبير يوناني آخر يترجم أيضاً "الجحيم أو الهاوية".

وقد استُمِد اسم جهنم من المكان الذي يسمى وادي هنوم أو بن هنوم Gehenna، وهو يقع جنوبي مدينة أورشليم، وكان يستخدم في حرق القمامة وجثث المجرمين. ونظراً لارتباط الأشرار بهذا الوادي، فقد تم استخدام اسمه لوصف مكان العقاب النهائي للأشرار. وكثيراً ما ترتبط جهنم بالنار، كما تظهر الآيات الكتابية التالية: "الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ" (مت ٣: ١٢)؛ "نار جهنم" (مت ٥: ٢٢)؛ "ويطرحونهم في أتون النار" (١٣: ٤٢؛ قارن الآية ٥٠)؛ "أن تلقى في جهنم النار" (١٨: ٩)؛ "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (٢٥: ٤١)؛ "جهنم إلى النار التي لا تطفأ" (مر ٩: ٤٣؛ قارن الآية ٤٨)؛ "فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ... لأني معذب في هذا اللهيب" (لو ١٦: ٢٣، ٢٤)؛ "إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق." (يو ١٥: ٦)؛ و"جعلت عبرة مكابدة عقاب نار أبدية" (الآيه ٧).

من أقصى وأشنع ملامح عقاب الأشرار هو انفصالهم الأبدي عن الله الآب ويسوع المسيح. ففي يوم الدينونة سوف يسمع الكثيرون هذه الكلمات: "اذهبوا عني يا فاعلي الإثم!" (مت ٧: ٢٣؛ قارن لو ١٣: ٢٧)، و"اذهبـــوا عني يا ملاعين إلى النـــار الأبدية المعـــدة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥: ٤١). في ذلك اليوم سيحدث انفصـــال

عظيم: "فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (الآية ٤٦)؛ "الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته" (٢تس ١: ٩).

وهناك فقرات كتابية أخرى تصف هذا الانفصال من ناحية كونه طرحاً في الظلمة. حيث أن الله يوصف بأنه النور، فإن الظلمة سوف تكون وصفاً للانفصال التام والكامل بعيداً عنه. ومن الفقرات الكتابية التي تستخدم مصطلح "الظلمة": "فيطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١٢؛ قارن ٢٢: ١٣؛ ٢٥: ٣٠)؛ "الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء" (٢بط ٢: ٤)؛ "قتام الظلام" (٢بط ٢: ١٧)؛ "نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد" (الآية ١٣).

وهؤلاء الذين في بحيرة النار سوف يتذكرون للأبد طردهم من محضر الله. إنهم سيرون في دينونتهم، القاضي يسوع المسيح، الذين رفضوه. وسوف تنتابهم ذكرى أنهم رفضوا يسوع المسيح كمخلص لهم. وربما أيضاً ستجول بخاطرهم صورة بهاء الله والسماء التي سوف لن يتمتعوا بها للأبد. سوف يتذكرون الفرص التي سنحت لهم للتجاوب مع الحق، ولكنهم سيدركون أنهم تجاهلوا هذه الفرص لكي يتبعوا رغباتهم الشريرة.

تظهر النصوص الكتابية الأخرى أن الجحيم أو جهنم سوف يكون مكاناً للمعاناة والآلام الشديدة. ومن النصوص الكتابية التي تظهر ذلك: "وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ" (مر ٩: ٤٥، ٤٦)، و"فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت ٨: ١٢؛ قارن ١٣: ٤٢؛ ٢٢: ١٣؛ ٢٤: ٥١؛ ٢٥: ٣٠؛ لو ١٣: ٢٨). تعكس كلمة "النار" صورة الآلام الخارجية، والديدان تمثل فكرة الآلام والمعاناة الداخلية. أما البكاء فهو يرجع لمشاعر الحزن والأسى والحسرة نتيجة لكونهم في الجحيم. سوف يختبر الذين في

الجحيم فقدان كامل للسعادة وسيبكون بمرارة عندما يفكرون بحالتهم. أما صرير الأسنان فهو يشير إلى حالة الكرب الذهني.

علينا ألا نستهين بتلك التعبيرات مثل: الظلمة، والنار، والديدان، والبكاء، وصرير الأسنان وغيرها، التي تستخدم للتعبير عن الآلام الهائلة في الجحيم. ولا يجب لأي تفسير لها أن يتجاهل مدى شناعة الجحيم. فالجحيم مكان رهيب، وهذه الكلمات لا يمكنها أن تصف بشاعته إلا جزئياً فقط.

هؤلاء الذين سيكونون في الجحيم لن يتألموا كلهم بنفس درجة الآلام؛ فهناك مستويات من العقاب في الجحيم. ويعتمد مستوى العقاب الذي سيكابده الأشرار على الفرص التي أتيحت لهم لمعرفة الحق وكيف كان تجاوبهم نحوها. عندما أرسل الرب يسوع تلاميذه لكي يكرزوا بالإنجيل، قال لهم، فيما يتعلق بهؤلاء الذين يرفضونهم: "ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة" (مت ١٠: ١٥). وبعد ذلك بقليل دان يسوع عدم إيمان القادة اليهود قائلاً: "ويل لك يا كورزين! ويل لك يا بيت صيدا! لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد. ولكن أقول لكم: إن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما" (مت ١١: ٢١، ٢٢؛ قارن لو ١٠: ١٣، ١٤).

لقد حذر يسوع الكتبة والفريسيين أن نتائج مجهوداتهم التبشيرية لم تكن كما توقعوها. "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً" (مت ٢٣: ١٥). وفي أحد الأمثال تكلم يسوع عن الوكيل الأمين والوكيل غير الأمين وقال: "وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته

فيضرب كثيراً. ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلاً. فكل من أعطي كثيراً يطلب منه كثير ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر" (لو ١٢: ٤٧، ٤٨).

جميع هذه النصوص الكتابية تظهر أنه ستكون هناك درجات من العقاب في الجحيم. فالله عادل، وحتى غير المؤمنين سوف يعاملهم الله بطريقة عادلة. وهؤلاء الذين لم تتح لهم سوى فرصة ضئيلة سوف ينالون عقاب أخف كثيراً عن هؤلاء الذين أتيحت لهم فرص كبيرة لقبول الفداء لكنهم رفضوها.

المكافأة الأبدية

عقب مشهد الفرس الأبيض العظيم، وصف يوحنا أنه رأى "سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد" (رؤ ٢١: ١). وسيكون هذا هو مسكن الله وسط شعبه، وهو سيسكن معهم. لقد رأى يوحنا مجيء لله لكي يسكن مع شعبه. "وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً. والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (الآية ٢، ٣). وقد ذُكِرَت هذه المدينة في بدايات هذا السفر: "مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي" (٣: ١٢).

كتب يوحنا أنه سمع "صوتاً عظيماً من السماء قائلا: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً. والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ ٢١: ٣). إن الإقامة مع الله هي أمر لا يمكننا أن نستوعبه، ولكننا نعلم أن سكنى الله مع أبنائه سوف يجلب البر والفرح للإنسان. "وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد"

(الآية ٤). هذه الأمور تعد جزءاً من العالم الساقط، وحيث أن "الأمور الأولى قد مضت" (الآية ٤)، لذا فلن تكون هذه الأمور في السماء. فقد وعد الله أنه سيصنع "كل شيء جديداً" (الآية ٥). ونحن لدينا هذا الرجاء لأن "[الله] الجالس على العرش" قال ليوحنا "اكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة" (الآية ٥).

وعد الله بأن يعطي "العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً" (رؤ ٢١: ٦). وبالطبع لن يشرب الجميع من هذا الينبوع. لأن غير المؤمنين والرجسين والقاتلين والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة سيكون نصيبهم "في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني" (الآية ٨).

لقد فسدت السماء والأرض الحاليتان بواسطة إبليس والخطية والشر. وبذلك صارت مكاناً غير صالح للملكوت الأبدي لله. ولكن السماء والأرض القديمة سوف تزول، وستحل محلها سماء جديدة وأرض جديدة بلا خطية ولا شر. ويمكننا أن نجد فكرة زوال الخليقة الحـــاضرة في العديد من النصوص الكتابية (مز ١٠٢: ٢٥، ٢٦؛ مت ٥: ١٨؛ مر ١٣: ٣١؛ ٢بط ٣: ١٢). أما بالنسبة لعبارة أن "البحر لا يوجد فيما بعد" (رؤ ٢١: ١) فهي تُظهِر أن الأرض الجديدة مختلفة بشكل مغاير تماماً عن الأرض القديمة. ومع أن يوحنا لم يخبرنا لماذا لن يوجد البحر. غير أن البحر هو استعارة رمزية تشير إلى الأمم في اضطرابها وعدم استقرارها. ولعل غياب البحر هنا يبرز أن في الأرض الجديدة لن يكون بها أي شقاق أو خلاف أو فوارق بين الأعراق.

نجد وصفاً لهذه السماء الجديدة والأرض الجديدة في نبوة إشعياء النبي بالعهد القديم. فقد كتب إشعياء وهو يتحدث على لسان الرب الإله: "لأني هئنذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هئنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ" (إش ٦٥: ١٧- ١٩). وفيما بعد

كتب: "لأنه كما أن السماوات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم" (٦٦: ٢٢). وهكذا سوف يعيش أبناء الله في السماء في فرح ولن يذكروا العالم الحاضر الشرير.

أما في العهد الجديد فقد كتب الرسول بطرس عن مجيء الرب. وكتب أن تأخر الرب إنما حدث لكي يمنح الوقت للناس أن يتوبوا، ولكن:

"سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. فبما أن هذه كلها تنحل، أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر". (٢بطرس ٣: ١٠- ١٣)

تُرى، ماذا سيكون شكل هذه السماء الجديدة والأرض الجديدة؟ ليس لدينا تصور متكامل بل مجرد بعض اللمحات عنها. فبولس، رغم أنه لم يكتب عن السماء، تكلم عن نظرتنا غير المكتملة: "فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (١كو ١٣: ١٢). ويقدم يوحنا رأياً مشابهاً: "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، و لم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به، يطهر نفسه كما هو طاهر" (١يو ٣: ٢، ٣).

تكشف النصوص الكتابية المُقتَبَسَة من كتابات بطرس عن السماء الجديدة والأرض الجديدة ملمحاً مميزاً للسماء، وهو أن البر يسكن هناك. فرغم أن الخطية والشر يسودان في عالمنا الحاضر، إلا أنهما سيزولان ويحل محلهما أجواء من البر. وبذلك لن يكون ثمة حاجة لانفصال الله عن شعبه ولكنه سيتمكن من السكنى بينهم من جديد كما كان يفعل في البدء. وهذا يفسر تطلع الخليقة وانتظارها إلى "أزمنة رد كل شيء"

(أع ٣: ٢١). وكان بولس يضع هذا في اعتباره حينما كتب: "لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن" (رو ٨: ٢١، ٢٢). فهذا الخلاص سوف يعني أنه "حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣).

يقدم سفر الرؤيا ملمحاً آخر للسماء إنها ستكون مكاناً للفرح. "سيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت" (رؤ ٢١: ٤). كما كتب إشعياء بطريقة مماثلة أن الموت سوف يُبتَلَع "ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض. لأن الرب قد تكلم" (إش ٢٥: ٨). وبعد ذلك قال إشعياء: "افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هئنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ" (٦٥: ١٨، ١٩). كما كتب كاتب المزامير: "أمامك شبع سرور" (مز ١٦: ١١).

في السماء لن تكون أجسام الذين نالوا الخلاص مشابهة لأجسادنا الحالية بل سيكون لهم أجساد جديدة ممجدة. نحن لا نعرف بالضبط ماذا سيكون شكل هذه الأجساد. ولكن كما ذكرنا من قبل، نحن "نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله" (١يو ٣: ٢). من الواضح أنه سيحدث تغيير جذري وشامل في أجسادنا طالما أن أجسادنا الحاضرة قد تأثرت بالخطية، وأجسادنا الجديدة سوف تشبه جسد المسيح.

وقد طرح بولس تصوراً مماثلاً للتناقض بين أجسادنا الحاضرة وأجسادنا السماوية، حينما قال: "كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضا صورة السماوي." والسبب الذي يجعل القديسين سوف يحملون صورة جديدة "أن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد" (١كو ١٥: ٤٩، ٥٠).

في كورنثوس الأولى ١٥ كان بولس الرسول يرسخ ويؤكد على عقيدة القيامة. وفي ذلك هو يجيب على الاعتراضات التي قد يطرحها البعض عندما يتساءلون: "كيف يقام الأموات وبأي جسم يأتون؟" (الآية ٣٥). وفي إجاباته التي يعرضها رداً على هذه التساؤلات، نتعلم أن أجسادنا المقامة سوف تكون مختلفة عن أجسادنا الحالية.

يمكننا أن نرى هذه الاختلافات مصورة في خبراتنا الحاضرة في العالم من حولنا. فعندما يغرز المرء بذرة، فإن البذرة تموت (أي تتوقف عن كونها بذرة) وتخرج براعم التي تُكوِّن النبتة الجديدة. "الذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة ... ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البزور جسمه" (١كو ١٥: ٣٧، ٣٨). تماماً كما أن كل بذرة تخرج برعماً من شكل الحياة الخاص بها، وهذا التنوع في الأجساد نجده في مجالات أخرى من خبراتنا. فنحن نرى هذا التنوع في الحياة الحيوانية. "ليس كل جسد جسداً واحداً" (الآية ٣٩). الناس والوحوش والأسماك والطيور جميعها لديهم أنواع مختلفة من الأجساد. كذلك يوجد تنوع بين الأجساد السماوية والأرضية (الآية ٤٠، ٤١).

"يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني" (١كو ١٥: ٤٤). الجسم الأول يأتي من الإنسان الأول، آدم. أما الجسم الثاني فقد جلبه لنا آدم الأخير، يسوع المسيح. إنه روح محيي، ومنه يستمد المؤمنون أجسامهم الروحانية. "وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضا صورة السماوي" (الآية ٤٩). أجسامنا الحالية تحمل سمات الإنسان الأول، ولكن الراقدين في المسيح سوف يقامون على صورته.

لقد ذكر الرب يسوع اختلافاً مهماً سوف تتميز به هذه الأجسام الجديدة. إذ قال إن المؤمنين في السماء "لا يزوِجون ولا يزوَجون بل يكونون كملائكة في السماوات" (مر ١٢: ٢٥؛ قارن مت ٢٢: ٣٠؛ لو ٢٠: ٣٥). ففي السماء لن يكون هناك حاجة للتكاثر وإنجاب الأطفال؛ ومن ثم فلن تكون هناك حاجة للزواج والجنس.

وسوف يكافئ المؤمنون على طاعتهم لمشيئة الله وخدمته له. وقد قال الرب يسوع إن المؤمنين الذين احتملوا الاضطهاد والسب والتشويه وقيل عليهم كلمات كاذبة سوف ينالون أجراً عظيماً في السماوات (مت ٥: ١٢). كما قال أيضاً إن الذين يقدمون صدقات كاذبة "ليس لكم [لهم] أجر عند أبيكم الذي في السماوات" (٦: ١) وأشار إلى أجر الرجل البار (١٠: ٤١) كما أوضح أن من يحبون أعداءهم ويقرضونهم، سوف يكون أجرهم عظيماً (لو ٦: ٣٥).

متى يحدث المجيء الثاني؟

بعد أن أخبر يسوع تلاميذه عن الأحداث المرتبطة باليوم الأخير في حديثهم معهم على جبل الزيتون (انظر مت ٢٤ و٢٥، مر ١٣، ولو ٢١)، تكلم معهم عن زمن مجيئه وعن الحاجة للاستعداد لهذا الحدث العظيم.

دعا يسوع تلاميذه قائلاً: "فمن شجرة التين تعلموا المثل: متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب" (مت ٢٤: ٣٢، ٣٣؛ مر ١٣: ٢٨، ٢٩؛ لو ٢١: ٢٩- ٣١). لقد تعلم الإنسان قراءة علامات الطبيعة. وهو يستطيع أن يميز مجيء الصيف حينما تنبت شجرة التين أوراقها فوق الأغصان. هكذا ينبغي على التلاميذ أيضاً أن يكونوا مستعدين لقراءة علامات الأزمنة. "متى رأيتم هذا كله" (مت ٢٤: ٣٣)، عندها سوف يعرف تلاميذ المسيح أن مجيئه الثاني ونهاية الأيام قد اقتربا.

واصل الرب يسوع حديثه ليوضح أن اقتراب مجيئه يأتي مقترناً بظهور العلامات. "الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (مت ٢٤: ٣٤، ٣٥؛ قارن مر ١٣: ٣٠، ٣١؛ لو ٢١: ٣٢، ٣٣).

والجيل الذي يرى العلامات التي وصفها يسوع في حديثه على جبل الزيتون سوف يرون أيضاً عودة الرب يسوع. فإن المجيء سوف يكون قريباً جداً من هذه الأحداث، خلال جيل واحد، وهي فترة تبلغ حوالي ثلاثين سنة.

يوم وساعة مجيئه

من الطبيعي أن يفكر المؤمنون فيما وراء هذا الوصف العام لوقت المجيء الثاني، وربما يتساءلون عن اليوم المحدد والساعة التي سيحدث فيها هذا. فهذه الأحداث تشير إلى الوقت بشكل عام. وقد علم يسوع أن الكثيرين سوف يرغبون في معرفة الوقت بالتحديد. ولهذا أكمل يسوع حديثه ليوضح أنه لا يوجد من يعرف يوم وساعة مجيئه. إذ سيحدث هذا بصـــورة مفاجئة وغير متوقعة، "لأنه كما أن البرق يخرج من المشـــارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٢٧؛ قارن لو ١٧: ٢٤). "وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٣٧- ٣٩؛ قارن لو ١٧: ٢٦- ٣٠؛ انظر أيضاً تك ٦: ٥؛ ٧: ٦- ٢٣). لقد سمع الناس في زمن نوح رسالة نوح عن الدينونة القادمة ولكنهم لم يعرفوا الوقت بالتحديد. ولكونهم لم يستعدوا لمجيء الدينونة واستمروا يعيشون بنفس نمط حياتهم المعتادة؛ كانت النتيجة أن أحداث الطوفان غير المتوقعة داهمتهم وعصفت بكل شيء (تك ٧: ٢١- ٢٣).

كن مستعداً

يعرف المؤمنون أن مجيء الرب يسوع سيحدث بصورة مفاجئة وغير متوقعة. وقد

طلب منا يسوع أن نفتكر هذا دائماً. إذ قال: "اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم. واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٤٢- ٤٤).

بعد هذه النصيحة قال يسوع لتلاميذه ثلاثة أمثال لينبههم بشأن أهمية الاستعداد لمجيئه. وفي المثل الأول قال لهم إنهم يجب أن يكونوا مثل "العبد الأمين الحكيم" (مت ٢٤: ٤٥) الذي حمَّله سيده مسئولية البيت. "طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا" (الآية ٤٦). فسوف يكافئ العبد الأمين. ولكن لو قال في قلبه: "سيدي يبطئ قدومه" (الآية ٤٨) وصار غير أمين، "يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (الآية ٥٠- ٥١؛ انظر أيضاً لو ١٢: ٣٩، ٤٠؛ ٢١: ٣٤- ٣٦). يشدد هذا المثل على ضرورة أن نكون مستعدين لمجيئه في جميع الأوقات. فالتهاون والتراخي هنا سيكون ثمنه باهظاً. ولأن المؤمن لا يعلم ساعة مجيء يسوع، فعليه أن يعيش حياة الأمانة في كل الأوقات. وينبغي ألا يظن أن باستطاعته أن ينغمس في الخطية لفترة ثم يتوب قبيل مجيء سيده. إذ عندما يجيء المسيح، سوف يكون زمن التوبة قد فات ولم يعد لها مجال. وستكون ساعة الدينونة قد حانت.

جاء المثل الثاني من أمثال يسوع الثلاثة ليركز على الحاجة لنكون مستعدين ويقظين. يصف هذا المثل عشر عذارى ينتظرنّ وليمة العرس. وفي التقليد اليهودي للقرن الأول، عندما يتم خطبة فتاة لرجل كانا يعتبران بمثابة الزوجة والزوج، ولكنهما يستمران في العيش منفصلين مع والديهما لفترة. وبعد مرور فترة معينة، يذهب العريس، ومعه أصدقاؤه، إلى بيت العروس ويحضرها مع صديقاتها العذارى إلى بيتهما الجديد. وهناك يجتمع الجميع لحضور وليمة العرس.

وكان على كل عذراء من صديقات العروس أن تحتفظ بمصباح متقد بالزيت عندما تذهب المجموعة لملاقاة العريس، وإلا فلن تتمكن من الدخول لوليمة العرس مع العريس والعروس. وفي هذا المثل تأخر العريس. "وفي نصف الليل صار صراخ: هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه" (مت ٢٥: ٦). نهضت العذارى اللاتي كنّ نائمات وقمنّ بضبط مصابيحهن. وكانت خمس عذارى من بين العشرة قد أحضرن معهن زيتاً إضافياً فملأن به مصابيحهن. أما الخمس الأخريات الجاهلات فقلنّ "للحكيمات: أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئ" (الآية ٨). لكن الحكيمات أجبنّ عليهنّ: "لعله لا يكفي لنا ولكنّ بل اذهبنّ إلى الباعة وابتعن لكنّ" (الآية ٩). فمشت العذارى الخمس الجاهلات وذهبنّ ليبتعنّ زيتاً. وبينما كنّ ذاهبات في الطريق، "جاء العريس والمستعدات دخلنّ معه إلى العرس وأغلق الباب" (الآية ١٠). وعندما عادت العذارى الخمس الجاهلات ومعهن زيتهن وكنّ مستعدات للدخول، نادينّ على العريس: "يا سيد يا سيد افتح لنا" (الآية ١١). ولكنه لم يفتح الباب بل قال لهم: "الحق أقول لكن: إني ما أعرفكن" (الآية ١٢).

واستخرج يسوع من هذا المثل الدرس التالي: "فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان" (مت ٢٥: ١٣). يجب أن يكون المؤمن مستعداً عندما يجيء المسيح. إذ لن يكون هناك وقت للاستعداد لمجيئه في اللحظة الأخيرة.

أما المثل الثالث (مت ٢٥: ١٤- ٢٨) فيختص برجل، قبل أن يذهب في رحلة، ائتمن عبيده على ممتلكاته. "فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة - كل واحد على قدر طاقته" (الآية ١٥). ذهب العبدان الأولان وتاجرا بما لديهما فضاعفا قيمتها. "وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده" (الآية ١٨).

وبعد زمن طويل عاد السيد ودعا عبيده ليحاسبهم. فقال للعبدين الأولين، اللذين حققا ربحاً جيداً:

"نعماً أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك ... ثم جاء أيضا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال: يا سيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض. هوذا الذي لك. فأجاب سيده: أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربا. فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات". (متى ٢٥: ٢١- ٢٨)

والدرس الذي استخرجه يسوع من هذا المثل هو: "لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت ٢٤: ٢٩، ٣٠). لذا يجب على المؤمن ألا يهمل المواهب التي لديه. بل يستغلها لامتداد الملكوت. ومن لا يفعل ذلك سوف يتعرض للخسارة وسينال العقاب على ذلك.

هذه الرسالة قيلت في أماكن أخرى من الكتاب المقدس

إن هذه الرسالة السابقة التي قالها الرب يسوع قيلت أيضاً لأناس آخرين. فقبيل صعود المسيح سأله تلاميذه: "يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٦، ٧). فأزمنة هذه الأحداث الأخرى ليس لنا أن نعرفها.

وقد كتب بولس الرسول إلى مؤمني تسالونيكي:

"وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون: سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة، كالمخاض للحبلى، فلا ينجون. وأما أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة. فلا ننم إذا كالباقين، بل لنسهر ونصح". (١تسالونيكي ٥: ١- ٦)

وهكذا، ليس المؤمنون في ظلمة وهم لا يجهلون المجيء الثاني والدينونة. بل إنهم يعلمون عنه وهم مدعوون للبقاء صاحين ومستعدين لكي لا يهلكوا مع هؤلاء الذين في الظلمة.

وفي أماكن أخرى قيل للمؤمنين "وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح" (١كو ١: ٧). كما كتب الرسول بطرس:

"لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ؛ لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب ... أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب ... لذلك أيها الأحباء، إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب، في سلام ... فأنتم أيها الأحباء إذ قد سبقتم فعرفتم، احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم. ولكن انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح". (٢بطرس ٣: ٩- ١٢، ١٤، ١٧، ١٨)

وقد قال الرب للكنيسة التي في ساردس: "اذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب، فإني إن لم تسهر أقدم عليك كلص، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك" (رؤ ٣: ٣). وهكذا نرى أن الرسالة التي قدمها الرب يسوع على جبل الزيتون قد تكررت مرات عديدة. فهي حقاً رسالة مهمة للغاية ويجب على المؤمنين ألا ينسوها.

آمين تعال

في البدء خلق الله الإنسان على صورته وأعطاه عالماً مثالياً ليعيش فيه. "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تك ١: ٣١).

لقد وضع الله الإنسان في الجنة. وفي هذه الجنة كانت هناك شجرتان لهما وضع خاص – "شجرة الحياة" و"شجرة معرفة الخير والشر" (تك ٢: ٩). وأمر الله الإنسان ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. فبواسطة الإيمان البسيط كان يمكن للإنسان أن يحيا في حضور الخير وحده ويتجنب معرفة الخير والشر معاً. ولكن الإنسان اختار أن يعصى إرشاد الله. وأستمع لنصيحة إبليس فأخذ من "شجرة معرفة الخير والشر".

هذا التصرف العاصي المتمرد وضع حاجزاً من الخطية بين الله وبين الإنسان. غير أن الله لم يترك الإنسان أو ينساه. إذ قال لإبليس: "واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تك ٣: ١٥).

وفي هذا الكتاب رأينا كيف تحقق هذا الوعد. وتتبعنا سير الأحداث التي قادت نحو الفداء الذي جاء به الرب يسوع المسيح. كما تتبعنا أعمال الله عبر التاريخ في تدمير حاجز الخطية وإتاحة السبيل أمام الإنسان للسير من جديد مع الله.

إننا نعيش في عصر فيه يتسارع التقدم التكنولوجي وتتزايد معرفتنا بخليقة الله في الكون المادي. غير أن هذا لا يغير الحقائق البسيطة التي أعلنها الله في كلمته عن الفداء الذي حققه المسيح يسوع. وهذه المعرفة بالفداء هي أهم ما يجب أن نعرفه جميعاً أنا وأنت.

"الروح والعروس يقولان: تعـــال. ومن يسمع فليقل: تعـــال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً. نعمة ربنا يســـوع المسيح مع جميعكم. آمين". (رؤيا ٢٢: ١٧، ٢٢).

مراجع الكتاب

Arndt, William F., and F. Wilbur Gingrich. A Greek-English Lexicon of the New Testament. Chicago: University of Chicago Press, 1979.

Clarke, Adam. Clark's Commentary. New York: Abingdon, n.d.

Edersheim, Alfred. The Life and Times of Jesus The Messiah. American Edition. Grand Rapids: Eerdmans, 1962.

Elwell, Walter A., ed. Baker Encyclopedia of the Bible. Grand Rapids: Baker Book House, 1988.

Evangelical Dictionary of Theology. Grand Rapids: Baker Book House, 1984.

Greathouse, William M., Donald S. Metz, and Frank G. Carver. Beacon Bible Commentary. Kansas City: Beacon Hill, 1968.

Grider, J. Kenneth. A Wesleyan-Holiness Theology. Kansas City: Beacon Hill, 1994.

Hodge, A. A. Outlines of Theology. Reprint. Grand Rapids: Zondervan, 1879, 1972.

Lange, John Peter. Commentary of the Holy Scriptures. New ed. Grand Rapids: Zondervan, 1960.

Lehman, Chester K. Biblical Theology. Scottdale, Penn.: Herald Press, 1974.

Lenski, R. C. H. Interpretation of ..., Columbus, Ohio: Wartburg Press, 1946.

MacArthur, John F., Jr. Faith Works. Dallas: Word, 1993.

Miley, John. Systematic Theology. New York: Eaton and Mains, 1892.

Morgan, G. Campbell. The Gospel According to Matthew. Old Tappan, N. J.: Fleming Revell, n.d.

Pope, William Burt. A Compendium of Christian Theology. 2nd ed. London: Beveridge, 1879.

Robertson, Archibald Thomas. Word Pictures in the New Testament. Grand Rapids: Baker Book House, 1933.

Smith, J. B. A Revelation of Jesus Christ. Scottdale, Penn.: Herald Press, 1961.

Stauffer, John L. Studies in the Revelation of Jesus Christ. Harrisonburg, Va.: Sword and Trumpet, 1956.

Shank, Robert. Elect in the Son. Springfield, Missouri: Westcott, 1970.

Sheldon, Henry C. System of Christian Doctrine. Cincinnati, Ohio: Jennings and Pye, 1903.

Strong, James. Strong's Exhaustive Concordance of the Bible. New York: Abingdon, 1890.

Thayer, Joseph Henry. A Greek-English Lexicon of the New Testament. Grand Rapids: Baker Book House, 1977.

Vincent, Marvin R. Word Studies in the New Testament. Peabody, Mass.: Hendrickson, n.d.

Wenger, John Christian. Introduction to Theology. Scottdale, Penn.: Herald Press, 1954.

Lay Guide to Romans. Scottdale, Penn.: Herald Press, 1983.

The Way to a New Life. Scottdale, Penn.: Herald Press, 1977.

Wiley, H. Orton. Christian Theology. Kansas City: Beacon Hill, 1943.

The Epistle To The Hebrews, Kansas City: Beacon Hill, 1959.

Wiley, H. Orton, and Paul T. Culbertson. Introduction to Theology. Kansas City: Beacon Hill, 1946.

Whedon, D. D. Whedon's Commentary. revised ed. Harrisonburg, Va.: Christian Light Publications, 1981.

عندما سقط الإنسان في الخطية في جنة عدن، كان لله خطة جاهزة لفدائه. وبسبب محبة الله للبشر، أرسل الله ابنه الوحيد يسوع المسيح ليبذل حياته على الصليب لكي تصير النعمة متاحة مجاناً لكل من يقبلون إليه. ونعمة الله هي التي تسمح لكل من يتوب ويؤمن أن يصير تلميذاً وأن يعيش حياة جديدة متوافقة مع مشيئة الله.

هذا الكتاب يقدم دراسة كتابية متعمقة بشأن الرسالة المعلنة للفداء، من السقوط وحتى يسوع المسيح وتفسير العهد الجديد لعمله الفدائي. وبحسب الأسلوب المتبع في الكتب السابقة ضمن هذه السلسلة، فإن هذا الكتاب يقتبس باتساع من الكتاب المقدس مما يُمكِّن القارئ من تتبع برنامج الفداء من منظور الكتاب المقدس.